من ريدرز دايجست

[illegible] حصى الكلى

(ص ٢٥)

متى تتوقف ممارسة الجنس؟

(ص ١١)

نصائح للتغلب على الارهاق

(ص ٥٣)

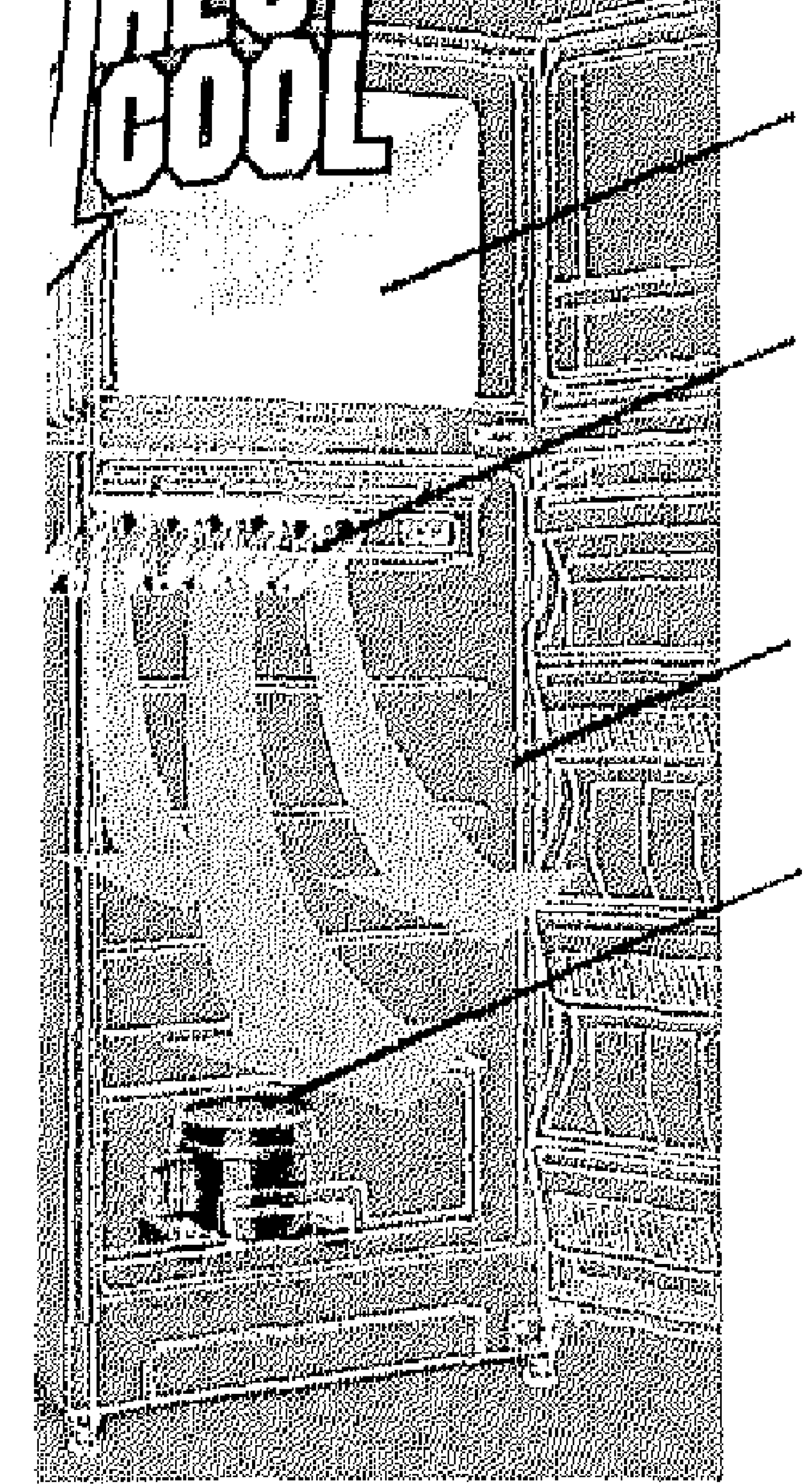
لبنان ٦٠٠ق – سوريه ٧٠٠ق – الاردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربيه المتحده ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعوديه ١٠ر – مصر ٥٠٠م – السودان ١ج – ليبيا ٧٠٠د – اليمن ٨ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest June 84 No 67

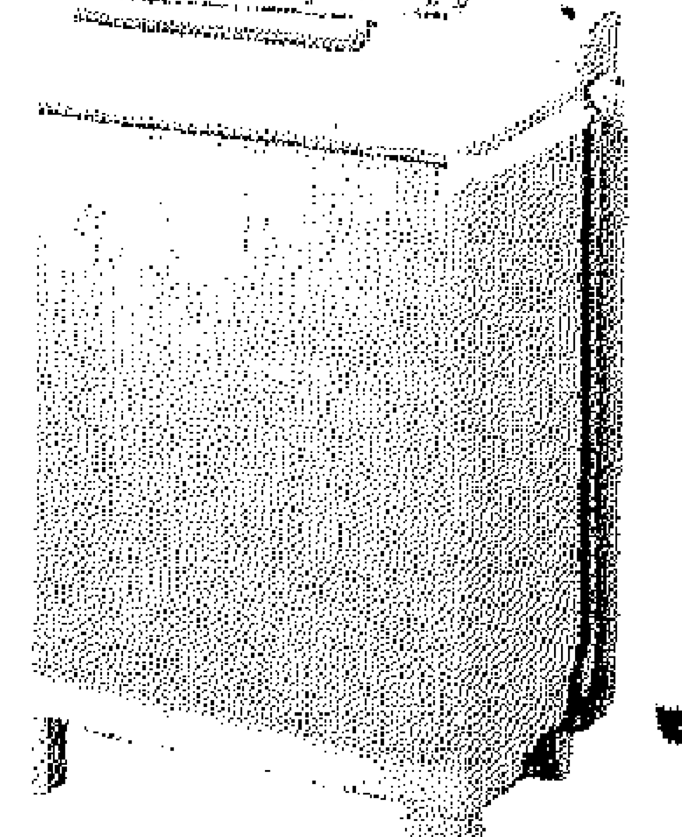
جديد توشيبا
أفكار خلّاقة لحياة أفضل

براد توشيبا **GR-333ESV** الجديد يمتاز بتصميم فريد للتبريد المباشر يعطي تجليداً اسرع، بمجرد ضغط زر التجليد تنخفض الحرارة بسرعة في الثلاجة الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، لتصبح ابرد بكثير من اي ثلاجة عادية اخرى، ونتيجة لذلك يتجلد الطعام بسرعة وفاعلية اكبر ويحفظ طازجاً مع نكهته وفائدته الغذائية.

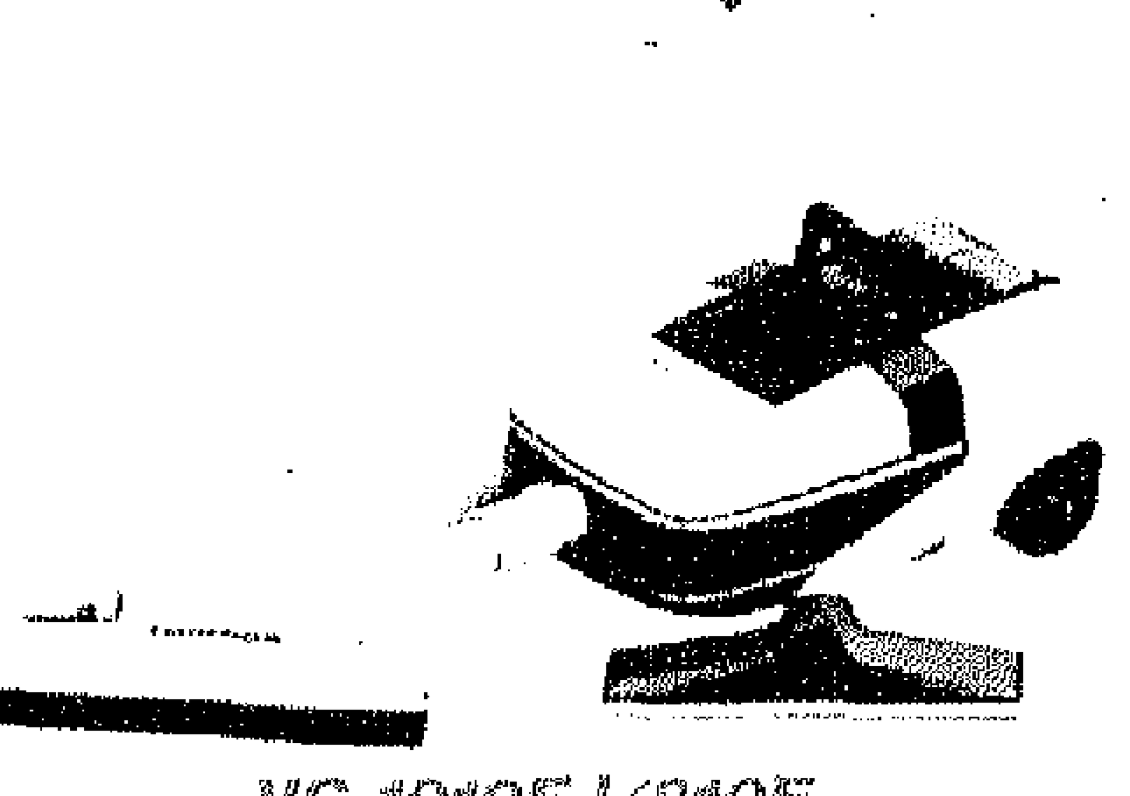
براد توشيبا **GR-333ESV** ــ هو نموذج آخر عن تفكير توشيبا الخلاق في حقل الادوات المنزلية.



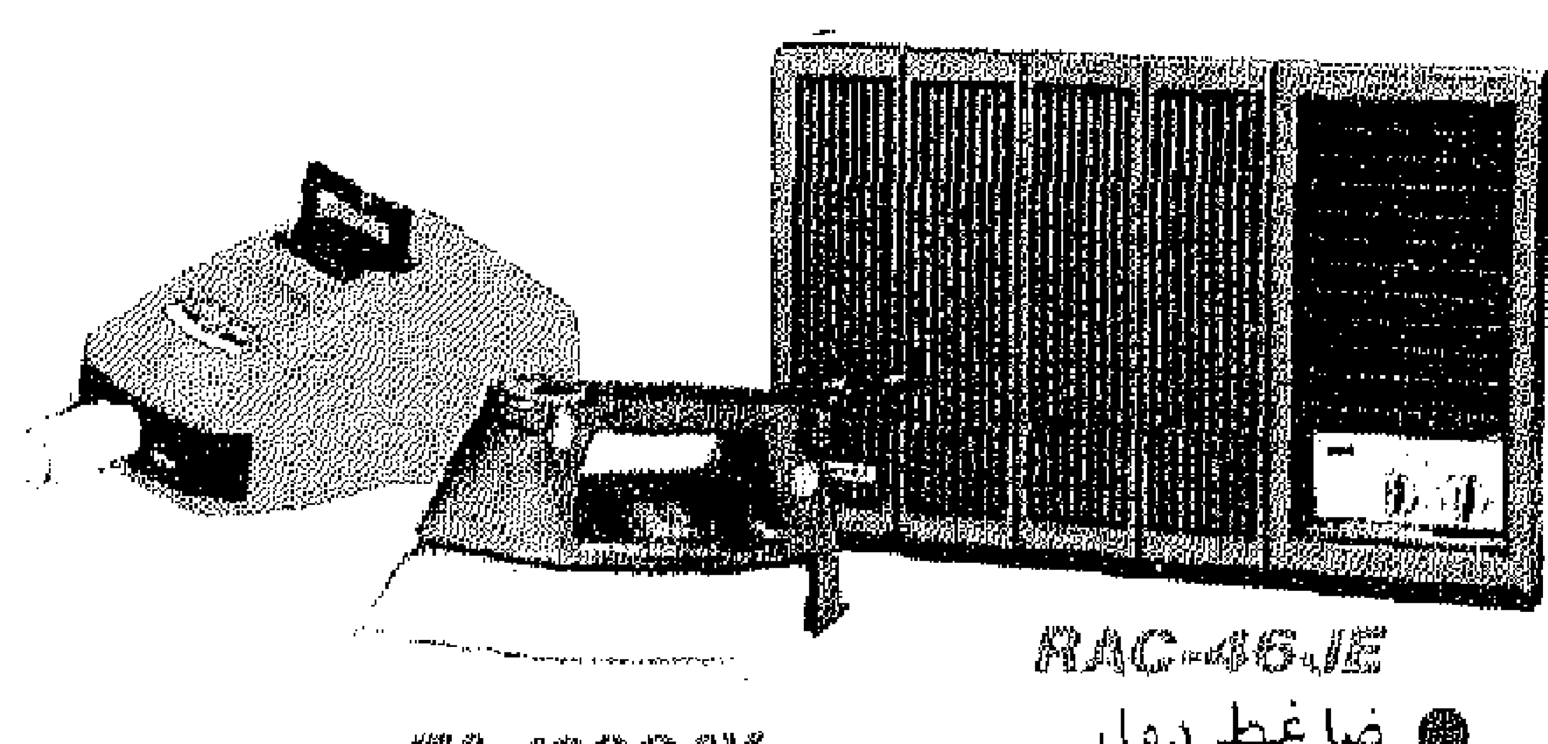
GR-333ESV



VH-1400
● غسالة كبيرة جديدة



VC-1010EJ/810E
● طاقة قصوى ١٢٠٠ واط

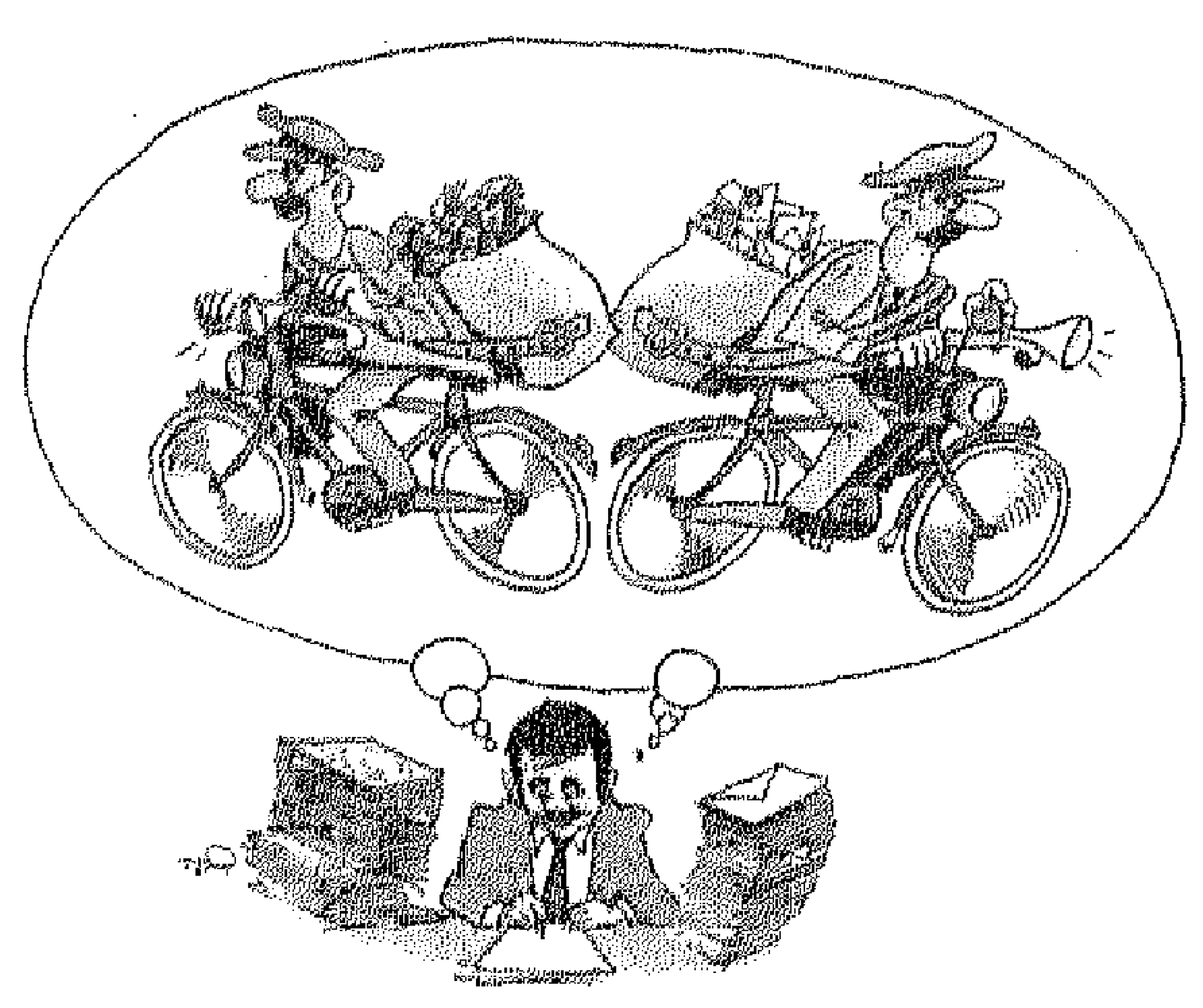


TA-1000AY
● مكواة متينة

RAC-46JE
● ضاغط دوار صامت
● ١٨٠٠٠ وحدة حرارية

TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPA



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. ندفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

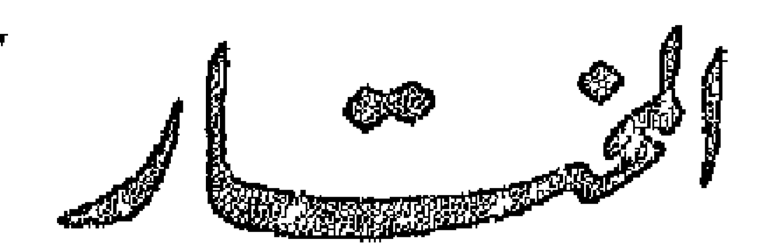
المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست - شارع المقدسي - بناية الشرتوني - ص.ب ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.





من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب .
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري .

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون . مدير التحرير: آلان دوليرو . المدير العام: جون ا. اوهارا .

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس . الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت . التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت . ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلفون ٣٥٠٧٦٠ ـ ٣٥٤٤٢١ (الموقت) التلكس 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت . الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان . التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية .

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: الشيخوخة (للامريكي آل برترام)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
June 84 No 67 (New Series) Vol. 6



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة .

بويك پارك أفنيو.
الراحة فيها
في متناول اليد.

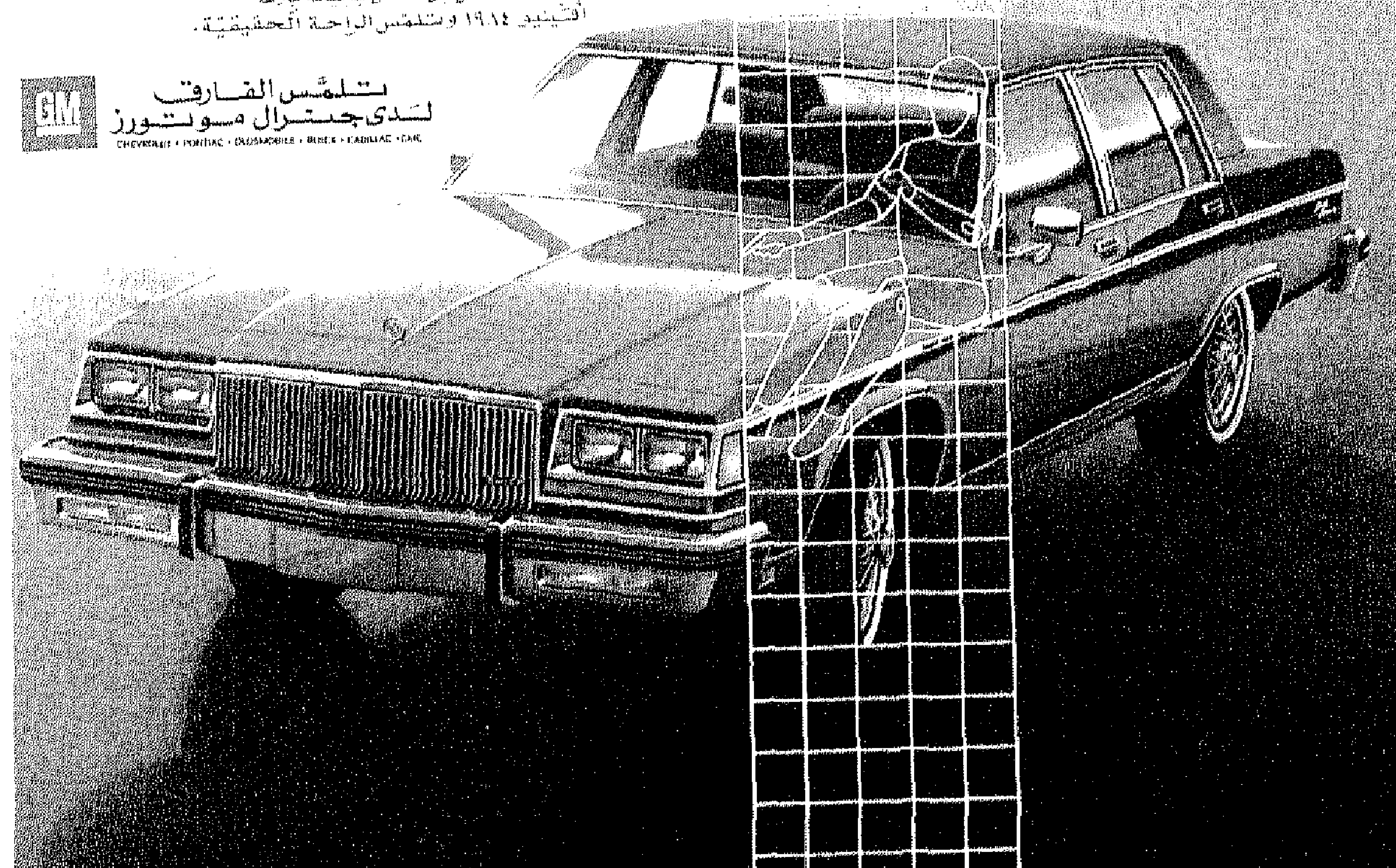
تتمتع بيويك بشهرة فريدة في تصميم سيارات على درجة عالية من الراحة مثل پارك أفنيو التي تتصدر مجموعة سيارات بويك . وسيارة پارك أفنيو توفر لكم الرحابة القصوى بالإضافة الى الراحة والتجهيزات المتكاملة .

ولكن راحة پارك أفنيو لا تكمن فقط في حجمها ورحابتها بل هي نتيجة اعتماد التكنولوجيا المتطورة . ولعل أفضل مثال على هذه التكنولوجيا هو جهاز تكييف الهواء الالكتروني اللمسي حيث اعتمد الكمبيوتر لتصميم أكثر أجهزة التكييف تطورا في العالم .

لقد صمم هذا الجهاز ليغني عن المفاتيح والأذرعة التقليدية . إذ إن نظام التحكم مطبوع على لوحة ناعمة . ولتشغيل الجهاز ما عليك سوى لمس لوحة الوظيفة المطلوبة حيث يقوم جهاز الكتروني بتولي عملية تكييف الجو . فتظهر درجات الحرارة على عداد ضوئي وما عليك سوى لمس مستوى الحرارة المطلوبة على العداد لتحصل على درجة الحرارة التي عينتها . صممت پارك أفنيو لتكون على أعلى درجات الأناقة والتطور . وتشمل تجهيزاتها الأساسية مصابيح الباب ومقاعد [illegible] ونوافذ كهربائية بالإضافة الى جهاز إقفال مركزي .

ندعوك لزيارة الوكيل المعتمد
لسيارات جنرال موتورز الأمريكية .
تفضل الى داخل بويك پارك
أفنيو ١٩٨٤ وتلمس الراحة الحقيقية .

GM
تلمس الفارق
لدى جنرال موتورز
CHEVROLET • PONTIAC • OLDSMOBILE • BUICK • CADILLAC • GMC



ما سر الطبقة الخضراء على صفار البيض المسلوق؟ وما سبب التصاق عيدان المعكرونة وانبعاث الروائح الكريهة من الثوم والبصل والقنبيط؟ هنا تفسيرات كيميائية لهذه الظواهر ولسواها

وَصْفاتٌ مَطبَخيّة



عندما كنت في السادسة من عمري أصابني مرض جدري الماء، وبعدما استنفدت والدتي جميع وسائل التسلية المتبعة رأت أن تصحبني الى المطبخ لتشرح لي طريقة سلق بيضة، بدأت: "يجب اضافة ملح الى الماء لحفظ البيض من التشقق... وعلى رغم ذلك فانه يتشقق." بحثنا في الامر لفترة ثم هزرت رأسي موافقا على أن البيضة لا تسلق من دون رشة ملح، سواء أتشققت من السلق او لا.

وداومت على وضع الملح مع البيض لدى سلقه. وكنت أطبق وصفات الطعام بحذافيرها، فاذا فكرت في طبق يحتاج تحريكه الى ملعقة خشبية وأنا لا املك سوى ملعقة معدنية، كنت اعدل عن ذلك الطبق وأطبخ غيره. كنت متحجراً في اتباع التعليمات من دون محاولة فهمها. وككيميائي، قررت ان اكشف أسرار القوانين العلميةالتي ترتكز عليها تعليمات كتب الطهو. وبنتيجة بحثي العلمي أقدم اليكم معلومات تسخر الكيمياء لخدمة الطبخ. ويبدو مناسبا أن نبدأ بالبيض.

البيض

من تقاليدنا أن العروس التي لا تعرف أن تسلق بيضة لا تفوقها جهلا بأعمال المنزل سوى العروس التي تحرق الخبز وهي تحمصه. ومن الطبيعي أن يتشقق البيض عند سلقه ويترك طبقة كلسية بيضاء في الوعاء، والاسوأ من ذلك تكون طبقة رمادية خضراء حول صفار البيضة المسلوقة.

لنبدأ بالكارثة الاولى. يحصل التشقق لدى ارتفاع درجة الحرارة بسرعة، إذ يتمدد الهواء داخل البيضة ويصعب مروره من المسام في مؤخرها دفعة واحدة. ويمكن فتح بضعة ثقوب صغيرة بواسطة رأس دبوس في مؤخر البيضة ليسهل خروج الهواء المتمدد.

وعند سلق بيضة تمكن مراقبة الهواء وهو يخرج من الثقب في خط مستقيم. كذلك يحصل التشقق في البيض نتيجة اخراجه من الثلاجة ووضعه في ماء يغلي. لذلك ننصح بوضع البيض في ماء بارد ورفعهما سوية على النار.

أما وضع الملح في الماء فلا يمنع التشقق، لكن الملح المذاب يسرع عملية التخثر عند الشقوق فيساعد في ختمها تلقائيا.

وماذا عن تلك الطبقة الخضراء المقيتة؟ مع ارتفاع درجة الحرارة داخل البيضة يتكون غاز كبريتور الهيدروجين الذي يسمى عن جدارة واستحقاق "رائحة البيض النتن". ليست البيضة نتنة، بل هي مسلوقة. وعندما تبرد ببطء يتفاعل غاز كبريتور الهيدروجين على سطح الصفار الدافىء. والحديد الموجود في الصفار يطرد الهيدروجين وتتكون طبقة قاتمة من كبريتور الحديد. وللحصول على صفار جميل توضع البيضة في الماء البارد بعد سلقها مباشرة ليبرد صفارها بسرعة.

المعكرونة

يحصل التصاق عيدان المعكرونة بعضها ببعض عندما يتسرب النشاء من المعكرونة الى الماء لدى سلقها، وحين يبرد يتحول مادة صمغية تسبب الالتصاق. وأحد الحلول هو غسل المعكرونة بماء حار بعد السلق.

هناك طريقتان أخريان لمنع التصاق المعكرونة. أولا، يمكن سلقها بكمية وافرة من الماء، فيختلط النشاء المتسرب بكمية أكبر من الماء ونتخلص منه بعد تصفية المعكرونة. ثانيا، تمكن اضافة ملعقة كبيرة من الزيت أو السمن الى ماء السلق مما يغلف المعكرونة بطبقة تمنع التصاقها كما تمنع تصاعد رغوة ماء السلق.


الثوم والبصل

يحتوي الثوم على مادة كيميائية تدعى "أليين" وعلى خميرة (أنزيم) تدعى "أليبيناز". وكلما اتصلا صدرت عنهما رائحة الثوم الكريهة. وغلاف خلية الثوم في العادة يمنع اتصالهما وتفاعلهما، وبالتالي يمكنك التحكم بنكهة الثوم بعد قشره بسحقه بسرعة او تقطيع فصوصه. كذلك يمكن تخفيف رائحته بواسطة الطبخ فيتقلص تفاعل الخميرة الى الحد الادنى.

قطع البصل أيضا يحرك خميرة مماثلة تتسبب في انسكاب الدمع من مجاريه. ولما كانت الجزيئات المسببة لانهمار الدمع تذوب في الماء، فان تلافي انسكاب الدمع ممكن بقشر البصلة تحت الماء الجاري حيث تذوب هذه الجزيئات قبل ان تصل الى مجرى الدمع في العينين.

الملفوف وسواه

الكرنب والملفوف والبركولي والفجل والقنبيط تحوي مركبات يتكون منها كبريتور الهيدروجين، ولذلك تصدر روائح غير مقبولة في منازل من يحبون تناول هذه الخضر. وأفضل الطرق الوقائية ضد هذه الروائح الكريهة هي طبخها بسرعة.



سانيو ترضيك
في كل ما تحتاجه من اجهزة منزلية لبيتك العصري
SR-425V
GR703PGE
SAPFC241B
ASWL400T
SC9400EM
EM5601B
JBG500E
EFD16EL
SAPFC241B مكيف هواء طراز ارضي صامت يشتغل باستخدام جهاز خارجي يوفر ٢٤٠٠٠ وحدة حرارية BTU
SR-425V ثلاجة / فريزر بثلاثة ابواب وسعة ٨.٧ قدم مكعب، كومبرسور مدمج دوار ذو اداء موثوق به
EM5601B فرن «ميكروويف» «MASTER CHEF» بنظام هواء ساخن يعطي احمراراً للمأكولات، صينية دوارة
ASWL400T غسالة اوتوماتيكية بمضخة نابضة «GENTLE PULSE» خاصة بسانيو، تعمل برفق وتمنع تشابك الغسيل
GR703PGE طباخ غاز متعدد الاستعمال ٥ عيون مع سيخ معدني للشواء يدور بواسطة الكهرباء، اشعال بالقدح
EFD16EL مروحة منضدية بأداة الكترونية معينة لتبسيط التشغيل
SC9400EM مكنسة كهربائية بقدرة ١٠٠٠ واط، طريقة سهلة للتخلص من الغبار مع مؤشر لتحديد كمية الغبار
JBG500E ماكنة «FOOD FACTORY» متعددة الوظائف، مثالية للعصر، تخلط، تفرم، تطحن، تخفق وتعجن

اغلي الماء جيدا ثم اضيفي الخضر اليه لسلقها بأسرع ما يمكن.

الفاكهة

عندما تقشرين أنواعا من الفاكهة كالتفاح والمشمش والافوكادو والموز والتين والعنب والخوخ والدراق والكرز، يتحول لونها الى البني في درجة الحرارة العادية. هذه الفاكهة سريعة العطب وتحوي مركبا يتفاعل مع الاوكسيجين فيتحول الى اللون البني. يبدأ التأكسد عند تقطيع أنسجة الفاكهة، لأن المركب الشبيه بالفينول يمتص بسرعة الاوكسيجين الموجود في الهواء.

وهناك طريقتان لمنع حصول التأكسد. أولا، غطي الفاكهة بصلصة المايونيز، وبذلك تمنعين وصول الاوكسيجين اليها. ثانيا، رشي عصير الاناناس او الليمون الحامض او الخل على الفاكهة فتحتفظ بألوانها الطبيعية.

القهوة

هناك طرائق عدة تجعل طعم القهوة غير لذيذ حتى بات تحضير فنجان قهوة عملية صعبة. تخسر القهوة نكهتها اذا تركنا الماء يغلي اكثر من المطلوب فيتبخر كل الهواء الذائب فيه مما يترك القهوة عديمة النكهة. في المشروبات الساخنة عموما استعملي ماء باردا واغليه أقل ما يمكن.

والنظافة هي القاعدة الأهم لتحضير قهوة لذيذة. جميع الادوات المستعملة في صنع القهوة يجب ان تكون نظيفة جدا. تحتوي القهوة على زيت تصعب ازالته عن المعادن أو الزجاج أو الخزف. والزيت "يزنخ" ويفسد ويعطي نكهة كريهة.

خبراء القهوة يفضلون المطحنة النظيفة ايضا. معظم مقومات نكهة القهوة تتطاير وتتبخر في عملية الطحن. والبن المطحون المعبأ في أكياس ورقية يخسر نكهته بسرعة في درجة حرارة معتدلة، ومن الافضل حفظه في وعاء عازل للرطوبة داخل الثلاجة حيث درجة الحرارة المتدنية تحفظ النكهة.

عجينة الحلوى

كيف نحصل على عجينة رقائقية للحلوى؟ يكون ذلك بتحضير عجينة هي من اللين بحيث ترق من غير ان تتمزق، وبتوزيع رقائق من السمن بالتساوي في العجين.

هذه الرقائق الدسمة لن تذوب وتختفي أثناء التحضير اذا هي ابقيت باردة وصلبة. لذلك من المستحسن ان تترك العجينة في مكان بارد لفترة قصيرة قبل الاستعمال. ومن الافضل تبريد الوعاء وأدوات الرق واستعمال ماء مثلج. ومن المفيد استعمال خلاطة وشوكة بدلا من اليدين الدافئتين.

ضعي العجينة لتبرد قبل رقها. ولدى خبزها تتكون بثور بخارية حول السمن وتنفخ العجين مكونة رقاقات.

هذه المعلومات في فن الطبخ ستحسن طبخك وترضي فضولك وتمنحك اعجاب الاصدقاء. هنيئاً لك.

■ آرثر غروسر



إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء، أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي . كل تلك المزايا
الجديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة . . . لك من شارب .

استمتاع بالعروض
التلفزيونية والأشرطة
واسطوانات الفيديو

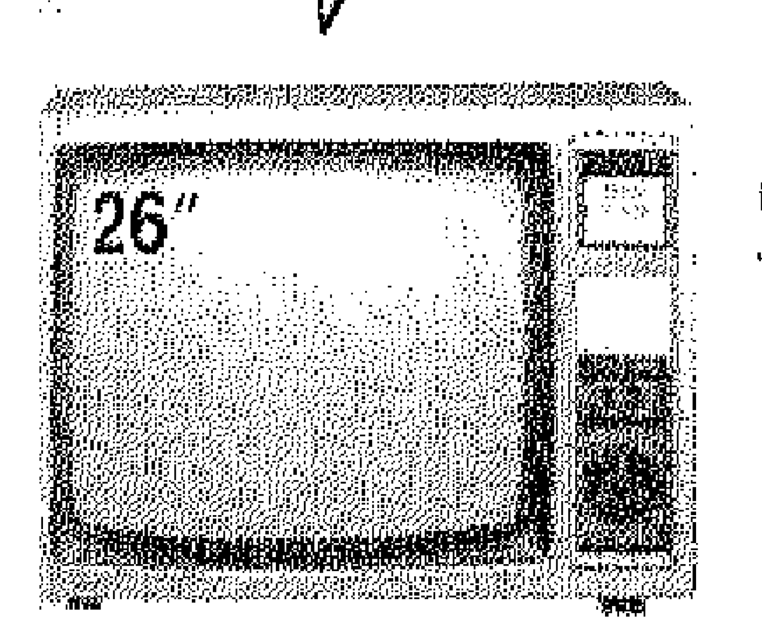
7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول
الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.
أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا
اليوم فيه ستحصل على الاداء الراقي . استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون
شارب الجديد ذي الانظمة السبعة فهو لك أينما تريد أن تكون . .



DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١ سم (٢٠ بوصة) مع ريموت كونترول قابل للإنفصال يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة، مجهز بسماعتين ثنائيتي القناة ستيريو لصوت صافٍ يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو، يبين رقم القناة على الشاشة. ريموت كونترول ... قابل للانفصال من شارب.
DV ١٦٠٠/١٢٠٠ أيضاً بأقبية مع وحدة ريموت كونترول ...



DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦ سم (٢٦ بوصة) مع ريموت كونترول يقوم بأداء ١٦ وظيفة، يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو، مجهز بذاكرة ... لـ ١٦ قناة.

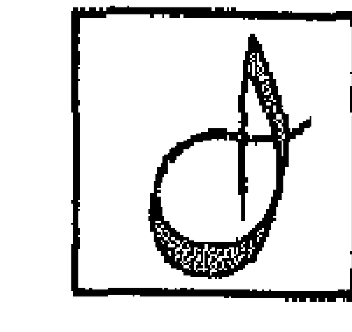
بكل فخر نقدم لك الترقي الى السعادة

شارب SHARP

شركة شارب، اليابان

كان "هوفر" يسبح كفقمة ويأكل كفقمة،
لكنه كان يتكلم بلكنة أمريكية شرقية

الفقمة الناطقة



لم يتعجب جورج سوالو وزوجته أليس عندما خابرهما سكوتي، شقيق أليس، صباح يوم من شهر مايو (أيار) ١٩٧١ ليسأل ان كانا يريدان أن يحمل اليهما فقمة، فقد اشتهر آل سوالو في بلدة كنديز هاربور من أعمال ولاية ماين الامريكية، التي يعيش سكانها على صيد السمك، بأنهما يأخذان الحيوانات الجريحة والمتيتمة للعناية بها.

ولكن، معرفة منه ان الفقمة الواحدة قد تزن بضع مئات من الكيلوغرامات، قال جورج لابن حميه: "الافضل أن ندع هذا الحيوان وشأنه."

وأجاب سكوتي: "انها فقمة صغيرة جداً لا تتجاوز حجم قدمك. وهي لا تكف عن ملاحقة كلبي أينما ذهب."

وما هي الا عشر دقائق حتى وصل جورج الى منزل سكوتي. وهناك، على شاطىء صخري، شاهد كلب سكوتي ينبح فوق كتلة من الفرو الفضي بين الصخور. وكان جورج

آنذاك في السابعة والخمسين. ووقف ينظر الى عيني الجرو السوداوين الواسعتين. وهو مخلوق يستحق الشفقة. ففي حين ان جرو الفقمة يزن تسعة كيلوغرامات عند الولادة، فان وزن هذا الجرو لم يتجاوز نصف المعدل الطبيعي. وما زال بعض حبله السُّري يتدلى من بطنه.

وراح جورج يمشط الشاطىء عله يعثر على ام الجرو. واذ لم يرَ أثراً لها قدَّر أنها قُتلت. فهناك صيادون ينظرون الى تلك الحيوانات على أنها منافسة لهم. ورفع جورج الجرو الهزيل وقال: "خير لك أن تأتي معي."

وبدا حظ الجرو في البقاء ضئيلا. ولما حمله جورج الى المنزل بقي أياماً يرفض الحليب الذي كان يضعه أمامه. وعبَّر جورج عن قلقه لصديق، فنصحه بأن يسحق بعض أسماك الاسقمري البحرية ويضعها في فم الجرو. ولكم كان سعيداً عندما نجحت تلك الطريقة. ويقول جورج: "منذ ذلك الحين لم يثنه شيء عن الطعام. وكان يأكل كثيراً حتى دعوناه "هوفر"، على اسم المكنسة الكهربائية التي تلتهم كل شيء في طريقها."

نجم القرية ـ بعد أيام ثلاثة في منزل آل سوالو غدا هوفر منتفخاً مثل كرة قدم. وفي البداية رتع باطمئنان في المغطس داخل الحمام، وكان يرفع رأسه بحذر كلما سمع وقع خطى. وبعد ذلك حمله جورج الى البركة وراء المنزل. وأخذ الجرو يسبح بين الاعشاب المائية مستكشفاً عالمه. وعاد جورج الى المنزل وقد سرّه انسجام هوفر بمحيطه الجديد. وبعد نصف ساعة سمع طرقة على الباب. ولما فتح رأى هوفر ينتظر بفارغ الصبر ليُعاد الى الداخل.

وخوفاً من الذئاب والحيوانات البرية الاخرى، أقام جورج سياجاً أمام باب المطبخ ونصب ضمنه خيمة لينام فيها الجرو. وراح هوفر يراقبه باهتمام وهو يلفّ الاسلاك الشائكة. وما أن رفع السياج حتى زحف هوفر تحته بحماسة واختفى داخل بيته الجديد. ولكن ما أن طلع الصباح حتى سمع جورج وأليس طرقاً على الباب. وتبين لهما أن هوفر اكتشف كيف يرفع السياج بأنفه متى شاء. وسرعان ما اعتاد هوفر حياته الجديدة. فكان ينام ليلا في خيمته، وفي الصباح يزحف تحت السياج ويشقّ طريقه الى البركة. وفي الوقت نفسه اعتاد آل سوالو أن يسمعا طرق هوفر على الباب كلما حلا له الامر.

وكثيراً ما كان يحمله جورج من المنزل الى البركة. ومع الوقت اكتسب وزناً كبيراً بالتهامه أربعة كيلوغرامات من السمك يومياً. وذات يوم وضعه جورج في عربة يد وراح يدور به حول البركة. وانتشى هوفر لذلك، وبات يقفز الى العربة ويستجدي النزهة.

وغدت الحياة بالنسبة الى هوفر حفلة سمر دائم. ويقول جورج: "في أقلّ من عشر دقائق تعلم أن يقفز ضمن طوق." كما تعلم أن يدور حول نفسه في الماء كلما طُلب منه ذلك.

الا أن رياضة هوفر المحببة كانت **السباحة البطيئة تحت ضفدعة صغيرة** تعيش في المكان نفسه ونَقْرها بخطمه لترتفع في الهواء. وأحياناً كان يشدّ جورج أو أليس شداً رفيقاً باليد أو بهدب السروال الى الماء.

وكلما تفقده جورج في البركة، كان يختبىء بين الاعشاب. وكان جورج يصرخ بصوته الاجشّ: "هيا، اخرج من هناك." أما هوفر فكان يتجاهل ذلك الامر، ثم لا يلبث أن يبرز ببطء فوق الماء كأنه ينفذ ارادته هو.

وذاع خبر هوفر في القرية، وبات الاولاد يقصدون البحيرة كي يروه ويجرّوه في عربة اليد. وكان يسبح في البركة في دوائر ليرضي جمهوره، ثمّ ينقف الضفدعة المسكينة عالياً، ويختم عرضه بالاسراع نحو الاولاد الضاحكين المتجمهرين على الشاطىء ورشهم بالرذاذ.

أكثر من حبه التنزه في عربة اليد، أحبّ هوفر الركوب في سيارة آل سوالو. وفيما جورج على عجلة القيادة، كان هوفر يقف على حضنه وينظر عبر النافذة. ومرة تركه جورج في السيارة وخرج الى محل لبيع الادوات المنزلية. وبينما هو في الداخل لاحظ أن الزبائن ينظرون بدهشة نحو الباب. ونظر هو أيضاً ليرى هوفر وقد خرج في اثره.

وبعد ذلك أدرك جورج أنه كان يكثر الكلام أمام هوفر. فكلما حمل كيساً من السمك اليه، كان ينقر باب الزريبة ويقول: "اخرج أيها الأحمق." **وكلما رآه مختبئاً بين أعشاب البحيرة،** قال: "هيا، اخرج من هناك." وأحياناً كان يسأله: "كيف حالك؟"

ويقول جورج اليوم: "الحق أني لم ألقن هوفر الكلام. وكل ما فعلته كان مخاطبته على نحو طبيعي، وتقليده كلما أصدر صوتاً غريباً. وربما استمد أفكاراً من ذلك."

قبلة الوداع — بعد مرور نحو ثمانية أسابيع على مجيء هوفر الى رعاية آل سوالو، هرع بعض الاولاد من ناحية البركة الى جورج قائلين: "أتعرف أن هوفر ينطق؟ لقد قال لنا: أهلا بكم." وأجاب جورج وهو يبتسم: "أجل، أعرف ذلك."

وذات عصر صادفه جورج في الطريق الى البحيرة، فبادره بالآتي: "مرحباً بك." وتخيل انه سمع هوفر يردد الكلام نفسه بصوت أجشّ **يحاكي صوت جورج ولكنته الامريكية الشرقية. وبعد أيام سمعه يقول: "هيا، اخرج من هنا." وكان** جورج وصل لتوّه الى شاطىء البحيرة. لكنه لم يصدق ما يسمع.

وفي شهر اغسطس (آب) ١٩٧١ كان هوفر يزن ٣٥ كيلوغراماً. وفكر جورج في اعادته الى مياه الميناء حيث وُجِد للمرة الاولى، ظناً منه ان الوقت حانَ لينضمّ هوفر الى سربه.

غير أن هوفر لم ينظر الى نفسه كفقمة. وكان جورج يتنزه في زورقه البخاري الصغير ومعه هوفر الذي ما برح، طوال ساعات، يقفز الى الماء ثم يعود الى الزورق الاحمر بعد أن يلعب طويلا وسط القش" الطافي.

وبدت اعادة هوفر الى البحر مستحيلة. ترى أيستطيع الذود عن نفسه؟ ألا يشكل قفزه بين المراكب خطراً على حياته؟ وأخيراً زال قلق جورج وأليس عندما اقترحت ادارة مربى نيو إنغلند المائي في بوسطن (مساتشوستس) أن تأخذ هوفر على عاتقها. ولكن حين فكر جورج ملياً في الامر قال لنفسه: "أُراهن على أنه سيحرم ركوب عربة اليد هناك." وأخذ الشعور بالفراغ طريقه الى الزوجين معاً.

وتتذكر أليس ذلك اليوم: "لقد بكيتُ طولَ الطريق الى بوسطن."

أما هوفر فقد راقته النزهة الطويلة في السيارة. وراح يتنقل من مقعد الى آخر ويمدّ رأسه من النافذة ليراقبَ السيارات والشاحنات.

في المربى المائي أخبر جورج المسؤولين انه سمع هوفر ينطق مرتين. وفوجئت الادارة لأن السجلات العلمية لا تتحدث عن حيوان ثديي يقلد الكلام البشري. زِد على ذلك أن الفقم التي تعيش في الموانىء لا تنبح بقوة كالفقم الاخرى.

ووقف جورج وأليس طويلا ذلك العصر أمام البركة التي وُضع فيها هوفر وهما يتذكران خبرتهما مع ذلك الجرو. وأخيراً قال جورج: "الحقّ أنه أحمق." وأخذه بين يديه، فطبع هوفر على وجهه قبلة مبللة باللعاب. وأعاده الى الماء ومشى وزوجته بسرعة. ولما رأى هوفر ذلك أخذ ينبح بشدة وانفعال. وبقي الزوجان صامتين معظم الطريق الى كنديز هاربور.

ذاكرة لا تخون — في البداية أكثر آل سوالو الزيارات لتفقّد هوفر. لكن كل وداع كان بمثابة تجربة نفسية أليمة. وأخيراً قرّ رأيهما على أن ترك هوفر وشأنه أفضل له.

وفي تلك الاثناء حدثت ظاهرة غريبة في مربى بوسطن المائي. فقد

سمع المسؤولون عن بركة الفقم صوتاً متميزاً منبعثاً من هناك. وفي العام ١٩٧٤ جاءت ملاحظاتهم تؤكد أن هوفر ينطق بصوت أجش.

وفي السنوات التالية زاد صوته حدة. وفي ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ سجل المسؤول عنه ما يأتي: "انه يقول "هوفر" بنبرة واضحة. ولدي شهود على ذلك."
وما لبث هوفر أن نطق بعباراته الاخرى: "مرحباً بك"، "كيف حالك؟"، "هيا، اخرج من هنا" محاكياً لهجة سكان الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

وسرعان ما أصبح هوفر نجماً بارزاً في وسائل الاعلام. وهرع العلماء من معهد سميثسونيان في العاصمة واشنطن لدراسة موهبته العجيبة. لكنهم لم يجدوا تفسيراً لتفرده بين أقرانه في تقليد الاصوات البشرية.

ووصلت أخبار هوفر الى آل سوالو في كنديز هاربور. وشعرا أكثر فأكثر بالكآبة لابتعادهما عنه. وبعد خمس سنوات من الانقطاع قال جورج لزوجته: "انه لا يتذكرنا. لذلك لا حرج في زيارته." وفي اليوم التالي كانا على الطريق الى بوسطن.

ووقف آل سوالو في المربى المائي ينظران الى فقمة كبيرة مخططة بالاسود والرمادي وهي تنطق أمام عدسات التلفزيون. وكان هوفر رفض تناول الطعام ذلك اليوم بسبب علة بسيطة أصابته. وفيما هما يراقبانه من مكان غير منظور دنا منه أحدهم محاولا اغراءه بسمكة رنكة. واذ ذاك سار جورج نحو حافة البركة وقال: "تعال الى هنا أيها الأحمق."

ولدى سماعه صوت جورج خفف هوفر حراكه وراح يتفرس في وجوه المشاهدين. وتطاير الرذاذ في كل ناحية عندما قفز هوفر خارج البركة، وأخذ يد أليس برفق ووضعها في فمه وهو يحاول سحبها معه الى الماء.

ثم أخذ جورج كيس السمك ورمى سمكة الى هوفر. وهو قال لاحقاً بصوت متهدج: "كان ينبغي أن تراه في تلك اللحظة وهو يلتهم الاسماك بشراهة كما لو صام دهراً."

أما اليوم فقد غدا هوفر حيوان مربى بوسطن الناطق، وقد تهافت على "مقابلته" مراسلو الصحف وشركات التلفزيون.

وكلما زار آل سوالو بوسطن ذهبا الى المربى المائي لتفقد صديقهما القديم. ولا يزال العلماء وغير العلماء حائرين أمام تلك الظاهرة الغريبة. وبين حين وآخر يتوقف أحد الزوار أمام البركة، فيبادره هوفر: "كيف حالك؟"

■ ريتشارد فولكومير

الخبرة الثمينة

تقاعدت بعد ٤٣ سنة في حقل التحرير الصحافي. وذات يوم خابرت ادارة برنامج لمحو الامية معبراً عن رغبتي في الانضمام الى البرنامج وواصفاً خبرتي في الصحافة. وسألني الشخص على الخط الآخر: "اتريد أن تأتينا استاذاً أو تلميذاً؟"

ه. ب.

كان غايوس بلينيوس مؤرخاً وجغرافياً وناقداً فنياً ومستشاراً امبراطورياً ومحامياً وجندياً وعالم طبيعة وراوية من الطراز الاول، وما زالت كتاباته بعد نحو ٢٠٠٠ سنة ترشد العلماء المعاصرين الى ينابيع الحضارة

مِن ينابيع الحضارة

كان غايوس بلينيوس رجلاً كبير البطن رقيق الصدر، وقد تميز بهدوء اعصابه حتى لكان في وسعه ان ينام نوماً عميقاً قرب بركان ثائر، وعهده معاصروه جندياً وضابطاً في روما الامبراطورية، ويدعوه الطلاب المحدثون بليني الأرشد او الاكبر (لتمييزه عن بليني الاصغر الذي تعهده غايوس وتبناه) ويبدون اعجابهم به كواحد من اشهر المؤلفين القدماء وكمرجع في موضوعات عدة من بينها تربية المواشي وصناعة الزجاج والورق وتقنيات التعدين واستعمال الرخام وعلم الجغرافية،

لقد بات بليني نموذجاً للعبقرية الشاملة ومثالا يحتذى في روما القديمة لتعطشه المستمر الى المعرفة ولعقله النير ولقوة شخصيته، وخلف بليني للأجيال اللاحقة موسوعة بعنوان "التاريخ الطبيعي" تقع في ٣٧ مجلداً وتتناول العالم الذي كان يعيش فيه،

وترجمت هذه الموسوعة الى كل اللغات الحضارية في العالم (★). وكان كريستوف كولومبوس قرأ مؤلفات بليني قبل ان يمضي في رحلته الاولى لاكتشاف العالم. ولم يفت الكاتب الالماني العظيم غوته ان ينعم النظر في تلك المؤلفات. واذا كان بعض نقاد القرن التاسع عشر يهزأون بموسوعته تلك ويعدونها موسوعة الاخطاء القديمة، فهذا لا ينفي انها لا تزال تحتفظ بمكانتها العالية كمصدر مهم لمعرفة اصول حضارتنا.

لولا بليني لكان كثير من أسماء المدن والموانىء والانهار لا يزال في طي النسيان. ففي العام ١٥٠٦ مثلا اكتشف الحفارون في احد الكروم الرومانية تمثالا من الرخام كان بليني ذكر انه "أروع اعمال الرسم والنحت" وهو ظل ضائعاً طوال قرون. وأثبت هذا الاكتشاف صحة ما ذهب اليه. ويمثل هذا العمل الفني لاوقون كاهن طروادة وولديه وقد التف عليهم ثعبانان عملاقان يحاولان خنقهما. والتمثال معروض اليوم في متحف الفاتيكان وهو من ابرز المعالم السياحية في روما.

عالم الطبيعة — ان مؤلف موسوعة "التاريخ الطبيعي" لا يدعي الابتكار في عمله، ويقول في اهدائه الى الامبراطور تيتوس انه اختار نحو عشرين الف موضوع من الكتّاب السابقين ومعظمهم من اليونان. وعلى رغم ذلك فان هذه الموسوعة التي تتضمن اكثر من ٣٥ الف مرجع حافلة بملاحظاته المبتكرة الناجمة عن حبه للمعرفة. فهو لا ينثني عن طرح الاسئلة على كل شخص يلتقيه سواء أكان صانع جبنة ام صائد لؤلؤ. وموضوع بليني المفضل هو الانسان وبيئته والتفاعل القائم بينهما. وفي الموسوعة ايضاً فصول مستقلة في علم الكونيات والجغرافية والمعادن والحيوان والارصاد الجوية وعلم النبات.

تناول بليني في ابحاثه الألماس وقوس القزح وعين الانسان والجنين والكرمة. وابدى اهتماماً واضحاً بالنمل والنحل وصغار الذباب والبعوض ودرس عاداتها. واشار ذات مرة الى كسوف الشمس. وكان يحلو له ان يتوقف ويستمع الى العندليب "الذي ينبعث من جسمه الضئيل صوت عال جداً وانفاس متلاحقة."

ويحبس بليني انفاسه عندما يراقب العنكبوت وهي تنسج بيتها ويلاحظ ان مشهدها وهي تهزم ضحيتها يذكره بحلبة الصراع حيث تقود الهزيمة الى الموت. ويطيل الكاتب كلامه على النحل فيعرض لنظامه الاجتماعي وتركيب القفران والحكمة في تأمين حراسة لها كما يتحدث عن انواع العسل حديث من يتذوق شهي الطعام. وهو يحذرنا من لسع النحل مشيراً الى ان القفير يمكن ان يقتل حصاناً. ويبدي المؤلف ايضاً دهشته من النملة، تلك الحشرة الصغيرة التي تملك قدرة عجيبة على

(★) الانكليزية والالمانية والايطالية والاسبانية والفرنسية والهولندية والعربية.

حمل الأثقال. وهي في ذلك تفوق جميع الحيوانات اذا اخذنا صغر جسمها في الاعتبار. ويعجب بليني عندما يراقب عمل النمل كيف يمكن هذه الحشرات ان تعرف بعضها بعضاً وان تتخاطب في ما بينها. ويقول مدهوشاً ان النمل وحده يشارك الانسان في دفن موتاه. ولكن "ليس في الطبيعة امور لا تُصدَّق."

نوادر القدماء – زار بليني منابع نهر الدانوب بحكم اهتمامه بالجغرافية وكان أول كاتب قديم يذكر ينابيع المياه الساخنة في بلدة فيزبادن الالمانية. وربما كان مصيباً في قوله ان الممرات المنحدرة استخدمت في بناء الاهرام. وقد ادرك ان البرَد هو مطر متجمد ووصف الرياح التجارية في الخليج العربي كما وصف الطريق البحرية الى الهند. وكان يعلم، كما نعلم الآن، ان الحيتان والدلافين حيوانات ثديية وليست اسماكاً. واليه يعود الفضل في رواية القصة الجميلة التي تتحدث عن دلفين كان يحمل ولداً صغيراً الى المدرسة عبر احد الخلجان في جنوب ايطاليا ثم يعود به بالطريقة نفسها.

لم يكن بليني عالماً بالمعنى الدقيق، وهو تكلم على وجود نماذج عجيبة في عالمنا الارضي. فبعض الناس لهم آذان طويلة جداً بحيث يمكن ان تلتف حول اجسادهم. وهناك خيول قرناء ومجنحة. وهناك وحش مخيف يستطيع قتل ضحيته بمجرد نظره الى عينيها. ويؤكد بليني وجود اسماك صغيرة قادرة بقوة المص على ان توقف اكبر المراكب. وكتب في هذا الشأن: "ما زلنا نتذكر السمكة التي اوقفت السفينة" التي كانت تنقل الامبراطور كاليغولا. ويضيف ان ذلك ربما كان نذير شؤم لأن الامبراطور تلقى طعنة قاتلة بعيد عودته الى روما.

كان بليني بارعاً في رواية القصص فأتت قصصه حافلة بالمُلَح والنوادر. فهو يخبرنا مثلا ان نيرون قبل هربه الى قصره واقدامه على الانتحار هشَّم قدحين نفيسين من البلور كي لا يتسنى لخلفائه ان يشربوا منهما. وهو يروي ان مدرسة كاليغولا لتدريب المصارعين كانت تضم عشرين الف رجل يتمرنون على المبارزة القاتلة. غير انه لم يكن من بين هؤلاء جميعاً سوى اثنين فقط لا تطرف لهما عين اثناء الهجوم.

جامع المعلومات – ولد بليني في العام ٢٣ الميلادي لعائلة ثرية في بلدة كومو الواقعة على ضفة بحيرة في شمال ايطاليا. درس القانون في روما ثم التحق بجيش بلاده في المانيا حيث كانت الفيالق الرومانية تقاتل القبائل المتاخمة لحدودها. ولما رجع الى روما مارس الحقوق ثم عين في مناصب عسكرية وادارية في فرنسا واسبانيا وشمال افريقيا، وكانت آنذاك تابعة للامبراطورية الرومانية. ولدى عودته عينه الامبراطور فسبازيان عضواً في مجلسه الخاص.

كان بليني شغوفاً بجمع المعلومات. ففي روما كان ينهض

منتصف الليل ليقرأ على بصيص قنديل زيتي ثم يدخل قبل الفجر على فسبازيان الذي يحب السهر مثله ليبحث معه في شؤون اليوم التالي. وبعد ان يتناول ظهراً قليلا من الطعام يتمدد في الشمس بينما يقرأ له احد مساعديه بصوت عال. كان الوقت بالنسبة اليه ثميناً جداً حتى ان معاونيه كانوا يقرأون له الكتب عندما يستحم او اثناء تدليكه. وحين يسافر كان يصطحب احد الكتبة ليملي عليه ما يريد. ولم يكن يفوته ان يدون ملاحظات وافرة حول كل ما يراه او يسمعه او يقرأه، وعند موته ترك لابن اخته وربيبه بليني الاصغر مئة وستين دفتراً ملئت صفحاتها جميعاً بخطه الصغير.

لم تكن نظرته الى العالم تختلف عن نظرة مثقفي عصره من الرومان. فالأرض في رأيهم كرة معلقة في وسط الكون الذي يدور حولها. والانسان هو محور العالم وقد خلق كل ما في الطبيعة لخدمته. غير ان على الانسان الا يسرف في تمتعه من نبات الارض وفاكهتها ومعادنها النافعة. فليس ينبغي مثلا ان نفسد الجبال بالافراط في استخراج الحجار من مقالعها لأن الجبال هي السقالات التي ترتكز عليها الارض. اما النجوم فهي منازل قديمة للنفوس الانسانية. واما الشمس التي تتحكم في الفصول والاراضي والكواكب كلها فهي عقل الكون وقلبه وسلطته العظمى. لذلك فان بليني لم يكن ليبارك ارسال رواد الى الفضاء. وقد ورد في موسوعته ما يأتي: "ان الانصراف عن عالمنا الارضي لاكتشاف ما يحدث خارجه هو الجنون عينه لأننا لا نزال نجهل كثيراً مما يحصل في عالمنا هذا."

وصفات طبية ـ كان "مذهب" بليني الشخصي قريباً الى فلسفة الرواقيين الذين يقولون ان الكون هو تجسيد لقوة الهية.

من بين النتائج الثانوية لامتداد الامبراطورية الرومانية الى آسيا ظهور موجة عارمة من السحر الشرقي حتى ان بليني نفسه لم يستطع التخلص من تأثيرها. فهو نقل الى مواطنيه بضعة آلاف من الرقى والادوية التي كان يصفها المشعوذون كما يصفها "الحكماء" في زمن شهدت مهنة الطب في اليونان تطوراً كبيراً.

يقول بليني على سبيل المثال: "ان افضل دواء للمعدة هو الحلزون شرط ان يغلي في الماء ثم يشوى ويغمس في الكحول ومرق السمك." ويذكر ان تدليك البطن ببعر الفأر ينفع في التخلص من حصى المثانة. والواقع ان اختلاط الحقيقة بالخيال في مؤلفات بليني هو جزء من روعتها، فأنت لا شك تبتسم حين تقرأ ان "لمس خرطوم الفيل يزيل اوجاع الرأس خصوصاً عندما يعطس هذا الحيوان." ولكن هل جربت هذه الوصفة؟

كارثة بومبيي ـ بعد موت زوج اخته بلينيا بات بليني ولي امر ابنها الصغير سيسيليوس. ولما كان بليني اعزب فقد تبنى ابن اخته وتعهده كما

لو كان ابناً له. وكان بليني الأصغر هو ايضاً محامياً وعاشقاً للطبيعة وموظفاً مدنياً، وقد خلد اسمه بعد موته بفضل رسائله التي تعد مثالا للنثر اللاتيني القديم لوضوحها ودقة معانيها. وفي رسالة كتبها الى المؤرخ تاسيتس وصف ببراعة الكارثة التي اصابت مدينة بومبيي عام ٧٩ وأودت بحياة بليني الاكبر.

في الرابع والعشرين من اغسطس (آب) فيما كان بليني الأكبر في بيته في ميسينوم منصرفاً الى كتبه اشارت اخته عبر خليج نابولي الى غيمة ضخمة تشبه مظلة من الصنوبر تصعد من جبل فيزوفيوس. فأمر بليني الذي كان اميرال الاسطول الروماني آنذاك باعداد السفن الحربية، وصعد هو نفسه الى احداها في محاولة لاجلاء اهالي مدينة بومبيي وهركولانيوم وسواهما بعدما نهض البركان الثائر من رقادة الطويل.

بدأ الرماد البركاني والصخور تتساقط على الشاطىء فيما كان الاسطول يقترب منه. وكان بليني يملي ملاحظاته على كاتبه بهدوء تام. وعندما اقترح عليه مدير الدفة الرجوع الى عرض البحر اجابه: "ان الحظ يحالف القوي، ولنذهب الآن الى منزل بومبونيانوس." وكان بومبونيانوس صديقاً له يملك منزلا في استابيه التي تبعد ستة كيلومترات عن بومبيي. ولما بلغوا المكان كان بومبونيانوس على اهبة الهرب في سفينة حملها مقتنياته.

ورأى بليني ان التيار القوي قرب الشاطىء يحول دون الهرب فعانق صديقه ثم طلب منه ان يرشده الى الحمام. وبعدما استحم تناول طعام العشاء. وقد كتب ابن اخته انه "كان مسروراً او ربما كان يدعي السرور، وفي هذا ايضاً شجاعة مماثلة." ثم مشى الى غرفة للضيوف. وما كاد ان يتمدد استعداداً للنوم حتى اخذت الحجار الساخنة تنهمر في فناء الدار وتهدد بحبسه داخل المنزل.

وفي ما بعد استطاع الخروج هو ورفاقه وقد ربطوا وسائد الى رؤوسهم اتقاء للحجار البركانية ومضوا في طريقهم نحو الشاطىء حيث كان الموج لا يزال عنيفاً كما في الليل السابق. واخذ اللهب يقترب واحاطت بهم سحابة من الغاز السام. وفيما لاذ الآخرون بالفرار على طول الشاطىء تمدد بليني على الرمل فوق قطعة من قماش القنب. وهناك مات مختنقاً بالدخان. وفي اليوم التالي وجد جسده سليماً وبدا اقرب الى النائم منه الى الميت.

ان بليني الأكبر وبليني الأصغر اللذين امتدت حياتهما قرابة قرن يعتبران معلمين من معالم التاريخ. فقد كانا في عداد اواخر الداعين الى التمسك بالفضائل الرومانية القديمة. واليوم نرى تمثاليهما اللذين مضى عليهما ٥٠٠ سنة يطلان من واجهة كاتدرائية كومو، المدينة التي ولدا فيها.

■ ارنست هوسر

المناظرة هي تبادل العلم. أما المجادلة فهي تبادل الجهل. ب.ع.م.

الذبذبة الصوتية العالية والموجات الصادمة ابتكاران طبيان يتيحان اليوم تفتيت حصى الكلى من دون جراحة

التكنولوجيا الحديثة تفتت حصى الكلى من دون جراحة



بدأت المعاناة بعيد الفجر ذات يوم كألم غامض في الخاصرة اليمنى. قلت لزوجتي التي أيقظها أنيني وتململي: "لا بد أني آذيت عضلة وأنا أهرول نهار أمس." ولكن في غضون دقائق أقض الألم مضجعي ولم أعد أجد متكأ يريحني من الوجع الشديد الذي اخذ يتشعب من أسفل الظهر حتى أربية فخذي الايمن. هرعت الى الطبيب وأخذت لي صور شعاعية، فأكد التشخيص وجود "حصاة" صغيرة في كليتي اليمنى. قال الطبيب: "ستنزل مع البول بلا ريب." وغادرت العيادة حاملا وصفة لعلاج مهدىء للألم وتعليمات بأن أشرب ستة أكواب من الماء على الاقل يومياً، مع تنبيه بأن أبقى متيقظاً لنزول حصاة في البول.

ان تحرك الحصاة عبر المسالك البولية، انطلاقاً من المجاري الدقيقة داخل الكلية نزولا عبر الحالب الى

المثانة وخارجاً من خلال المصرف البولي، هو من أقسى التجارب في الحياة. وقد استغرقت المعاناة ثلاثة أيام تخللتها تفجرات من الألم قبل ان تظهر الحصاة في المصفاة التي اخذت استعملها لمراقبة ادرار البول. وباستثناء بعض التشنج (المغص) الكلوي المترافق مع نوبات من البرد والغثيان وأوجاع في المسلك البولي والاعياء، انتهت "الأزمة" على خير.

الحرب والسلم ـ حين أخذت أقص على زملائي ما كابدته علمت أن عديدين منهم قاسوا مثل هذا العذاب، وقلة منهم كانت حصاتهم ثابتة في موقعها واستوجب الامر اخراجها جراحياً. وتبين ان الحصى الكلوية هي مشكلة صحية رئيسية في البلدان الغربية وتكاد تعرف انتشار داءي السّكري وارتفاع ضغط الدم. وقد تكون العلة ذات علاقة بالغذاء، لكن الاطباء لا يجزمون بهذا الامر.

٤٠٠ ألف مريض بحصى الكلى يدخلون المستشفيات سنوياً في الولايات المتحدة و٥٠ ألفاً يدخلونها في ألمانيا الغربية. وهؤلاء لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة من ضحايا هذا المرض، فكثيرون من المصابين بحصى الكلى لا تظهر لديهم أعراض بينة وبالتالي لا يسعون الى عون الطبيب. وحتى أولئك الذين تظهر عليهم أعراض مرضية غالباً ما "يسقطون" الحصى قبل استشارة الطبيب. وفي نحو ٨٠ في المئة من كل المصابين تخرج هذه الحصى الكلوية مع البول من دون مضاعفات خطيرة من طريق المعالجةالطبية او من دونها.

ترى ما هي حال العشرين في المئة الباقين؟

يقول اختصاصي بأمراض المسالك البولية: "هؤلاء مصابون بحصى ثابتة تسبب أزمات صحية في جميع الحالات تقريباً. وليس من غير المألوف أن تتضخم الحصاة حتى يبلغ قطرها ثلاثة سنتيمترات، وقد يصل حجم بعضها الى حجم ثمرة الشمام." وثمة حصى تدعى "ذات القرون" تتطور في شكل قرن الوعل وتمتد فروعها في مجار عدة داخل الكلية. وكلا النوعين يتعذر تماماً التخلص منهما، وغالباً ما تسد الحصاة الكلية او الحالب وتسبب احتقاناً شديداً في البول. عندما يحدث هذا لا يبقى مناص من نزعها جراحياً لتفادي حدوث التهابات وعطب دائم في الكلية.

لكن استخراج الحصاة من الكلية عملية خطرة. فالندوب التي تخلفها الجراحة في الكلية قد تصبح منبتاً لحصى جديدة، وفي بعض الحالات تصاب الكلية بالتلف مما يضطر الطبيب الى استئصالها كلياً. حتى وان تم كل شيء على ما يرام فعلى المريض أن يمكث في المستشفى مدة اسبوعين، وقد يحتاج الى نقاهة في المنزل لمدة ستة اسابيع.

أما الآن، وبفضل التقنية العالية، فقد أخذ كل هذا يتبدل. بعض الاختصاصيين يستخدمون الذبذبات الصوتية والموجات الصادمة لتفتيت الحصى الثابتة دونما حاجة الى شق

جسم المريض من أجل الوصول اليها في مكانها. وفي أحد الاساليب الجديدة لتفتيت الحصى يولج جهاز الذبذبة الصوتية العالية في تجويف ابرة ثخينة تخترق الجلد في جانب الكلية المصابة، فيتولى سحق الحصاة. وفي جهاز آخر تتولى موجات صادمة مركزة تكسير الحصاة. وفي كلتا الحالين يحتاج المريض الى مقدار ضئيل من التخدير، ويكون هذا عادة في شكل حقنة موضعية أو حاجز فقاري. ويعود معظم المرضى الى مزاولة اعمالهم في غضون عشرة أيام من دون أن يصاب الجهاز الكلوي بأي ندوب.

كيف تم هذا الانجاز؟

الذبذبات الصوتية العالية والامواج الصادمة نشأت من الابحاث العسكرية والفضائية. فالذبذبات الصوتية العالية تحدرت من جهاز الاستكشاف الصوتي (سونار) الذي تم تطويره في الحرب العالمية الثانية لاكتشاف مواقع الغواصات المعادية. وعلى غرار موجات الرادار الاثيرية، تحدد أجهزة الذبذبات الصوتية الاهداف تحت الماء من طريق اطلاقها وقياس الوقت الذي يستغرقه وصولها الى الهدف وارتدادها عنه.

بعد الحرب استخدم هذا الاكتشاف في مهمات سلمية مختلفة مثل تحديد مواقع اسراب السمك في البحر وقياس كثافة الجليد القطبي والتنقيب عن مخزونات النفط والغاز. والى ذلك، من طريق رفع الذبذبة الصوتية أي اطلاق مقدار أعلى من الاهتزازات في الثانية، يمكن استخدام الذبذبات الصوتية العالية في مجانسة الحليب والطلاء وسواهما من الخلائط، وفي تنظيف البقايا العالقة على سطوح قوالب السبك وأوعية الطهو.

انزعاج بسيط ـ أولى تجارب الذبذبات الصوتية العالية كانت تشبه الى حد بعيد عمل جهاز "سونار" الاصلي. ثبت مرسل للصوت على جلد المريض ووصل بدماغ الكتروني لتحليل الاصداء المرتدة، وهكذا استطاع الاطباء أخذ صور واضحة الى حد معقول للاعضاء الداخلية في الجسم. واستطاعوا كذلك فحص اختلالات البنكرياس وكشف الحصى في المرارة والتمييز بين الورم وكيس الماء في الكبد او الكلية وفحص جريان الدم في الشرايين والاوردة الرئيسية. وأهم من كل ذلك أن الصورة المأخوذة من طريق الذبذبة العالية فتحت "نافذة على الرحم" وأتاحت لاختصاصيي التوليد رؤية صورة للجنين ومراقبة نموه.

في كل هذه الاستعمالات تبقى قوة الذبذبات الصوتية منخفضة نسبياً. ترى ماذا يحدث اذا زيدت هذه القوة؟

يقول احد الباحثين: "أننا نعرف الجواب عن هذا السؤال. انه النغمة الموسيقية المرتفعة من طبقة "سوبرانو" التي تحطم كوباً رقيقاً من الزجاج." والحصى الكلوية التي تتألف من رواسب كلسية متحجرة وأملاح بولية وسواها من المواد تكاد تكون سريعة العطب كالآنية الزجاجية الرقيقة.

ولكن كيف يتسنى ايصال مسبار عالي الذبذبة الى الحصاة الكلوية من دون شق جسم المريض جراحياً؟

عام ١٩٧٦ طبق فريق من اختصاصيي طب المسالك البولية في كلية الطب في جامعة مينز في ألمانيا الغربية تقنية جديدة باستخدام جهاز يشبه الانبوب دعوه "الكاشف الكلوي" يمكن ادخاله عبر الجلد على غرار ابرة الحقن مباشرة الى الكلية. بهذه الطريقة يتوافر نفق قصير مستقيم باتساع كاف لاحتواء قنوات الارواء وجهاز الرؤية ومسبار مصغر للذبذبة العالية. وحين يدفع بهذا المسبار الى الحصاة وتطلق عبره ذبذبات صوتية بسرعة ٢٧ ألف ذبذبة في الثانية يعمل المسبار كأداة سحق للحصاة.

بين الذين يستخدمون هذه التقنية فريق من أطباء المسالك البولية في رودولفستفتونغ في فيينا عاصمة النمسا. وكان بين أوائل المرضى الذين عولجوا بطريقة الذبذبة العالية رجل هرم يعاني مرضاً في القلب، وهو خسر احدى كليتيه وغدا معرضا لاحتمال اجراء جراحة جديدة لاستخراج حصاة ثانية من كليته اليمنى.

يقول الدكتور مايكل ماربرغر من الفريق الفييني: "الى قلقنا على قلبه كنا نعرف أن شقاً جراحياً ثانياً الى داخل كليته اليمنى قد يقضي عليها. في هذه الحال بدا أن تقنية الذبذبة العالية الجديدة تستحق الاختبار العلمي."

أدخل المسبار الكلوي المكان المحدد له بينما الطبيب يراقب حركته بواسطة الكاشف البصري. سدّد رأس جهاز الذبذبة الصوتية الى الهدف وأعطاه القوة، فتحطمت الحصاة خلال سبع دقائق. وأثبت الفحص اللاحق أن المسالك البولية ظلت نظيفة ولم تتلف أي أنسجة في الجسد. وقال المريض انه لم يشعر سوى بانزعاج بسيط خلال العملية كلها وأضحى مستعداً لمعاودة نشاطاته العادية بعد خمسة أيام.

الشرارة الشافية – بالنسبة الى أطباء المسالك البولية في أوروبا وأمريكا الشمالية، بصرف النظر عن مرضى الحصى الكلوية أنفسهم، يمثل استئصال الحصى الكلوية عبر الجلد خطوة مهمة في معالجة بعض أمراض الحصى الكلوية. وفي العام ١٩٨٢ عبرت هذه الطريقة المحيط الاطلسي الى حيث أجريت عليها اختبارات في بضعة مراكز طبية رئيسية. ويقول اختصاصي أمراض المسالك البولية جوزف سيغورا من عيادة مايو في روشستر، ولاية مينيسوتا: "لقد بدلت هذه التقنية كلياً طريقة معالجة حصى الكلى."

وقد تكون المعالجة بالذبذبة الصوتية أسلوباً أمثل اليوم، لكنها قد لا تظل كذلك في الغد. فالموجات الصادمة تستخدم اليوم في عيادة غروسهاردن في جامعة لودفيغ – ماكسيمليان في ميونيخ (المانيا الغربية) لتحطيم الحصى الكلوية من خارج الجسم. وعلى غرار الذبذبة الصوتية العالية جاءت هذه التقنية نتيجة عرضية للابحاث العسكرية.

بدأت هذه الابحاث خلال الحرب العالمية الثانية حين واجه مهندسو الطيران الامريكيون مشكلة تحطم قاذفات القنابل "ب ـ ٢٩" في الجو. أظهرت التحقيقات أن هذه الحوادث تقع خلال العواصف الماطرة فقط، ثم كشفت التجارب المخبرية في أحوال تحاكي ما يقع في الجو أن اصطدام قطرات المطر بهيكل يرسل موجات صادمة ذات قوة كافية لتحطيم المواد السريعة العطب. وحلت المشكلة بتبديل نوعية زجاج قمرة الطيار.

بعدما وضعت الحرب اوزارها حفظت هذه المعلومات في الملفات ولفها النسيان. ثم ظهرت خلال الخمسينات مشكلات مماثلة للطيران النفاث. وعمد مهندسو شركة "دورنييه" للطائرات في فريدريكشافن (ألمانيا الغربية) الى اطلاق قطرات مطر بسرعة تبلغ ثمانية اضعاف سرعة الصوت على اجزاء ثابتة لطائرة مقاتلة من طراز "ف ـ ١٠٤". ويقول العالم الفيزيائي غونتر هوف الذي شارك في المشروع: "كانت قطرات المطر تحدث فجوات عمقها ٢٠ مليمتراً في رؤوس أجنحة الطائرات وعلى سطوحها. كما كانت الموجات الصادمة الصادرة عنها تحطم السقيفة الواقية في الطائرة."

بعد التوصية بادخال تعديلات على تصميم السقيفة الواقية لقمرة الطيار، وبناء على اقتراح من الاطباء الذين أثارت هذه الحقائق اهتمامهم، تحول فريق "دورنييه" الى تطبيق الموجات الصادمة في المجال الطبي. ولكن كان عليهم قبل كل شيء أن يبتكروا طريقة لتوليد القوة وضبطها ليمكن توجيهها الى نقطة محددة في الجسم. وخرجوا أخيراً بمولد الموجات الصادمة الذي يقوم على مبدأ شرارة تنطلق تحت الماء عن صدفة اهليلجية لها شكل رأس البيضة المستدق.

حين تنطلق الشرارة بين قطبين كهربائيين تحدث موجات صادمة يركزها سطح الصدفة على نقطة بعيدة. بهذه الطريقة يمكن إيصال الطاقة عبر الماء أو الأنسجة الجسمية الى هدف سريع العطب مثل الحصاة الكلوية.

كشفت التجارب أن الموجات الصادمة المولدة بهذه الطريقة فتتت بعض أنواع من الحصى المستخرجة من أجساد البشر والمزروعة في حيوانات التجارب من دون أن تحدث أي تلف في الانسجة المحيطة بها. وهكذا اقتنع المهندسون والاطباء الاختصاصيون بأنهم عثروا على أسلوب علاجي غير مضر اطلاقاً "ولا يستدعي حتى وخزة ابرة" كما قال أحد الاطباء.

الحقيقة والخيال ـ عام ١٩٨٠، بعد ست سنوات من البحث الطبي، أقيم جهاز للموجات الصادمة في دائرة طب المسالك البولية في عيادة غروسهاردن في ميونيخ (★). ويقول الدكتور كريستيان شوسي المكلف تشغيل هذه الوحدة: "منذ شهر فبراير (شباط) ١٩٨٠ عالجنا ٧٣٠ مريضاً،

(★) البلدان التي اشترت هذا الجهاز حتى الآن هي النمسا وألمانيا الغربية وبريطانيا واسبانيا وسويسرا والولايات المتحدة.

ولم تحدث لأي منهم مضاعفات جانبية ذات شأن." وقد تحرر ٩٠ في المئة من هؤلاء المرضى من الحصى بعد المعالجة. والاخبار السارة سريعة الانتشار، ولدى العيادة في ميونيخ الآن لائحة انتظار على مدى سنتين.

من أجل المعالجة بالموجات الصادمة يشد وثاق المريض الى محفة خاصة ذات ست وسائد منفصلة يمكن تحريكها الى أعلى وأسفل وجانبياً ودائرياً. وما ان يستقر المريض في الوضع المطلوب حتى ينقل فوق مغطس كبير من الفولاذ الذي لا يصدأ، ومن طريق التسيير الآلي عن بعد يغطس في الماء الدافىء.

الخطوة التالية هي تحديد مكان الحصاة. على كل من جانبي المغطس أذرع متحركة ذات رؤوس للتصوير الشعاعي يعكس كل رأس منها صورة الكلية على شاشة تلفزيونية يتقاطع عليها خطان رفيعان جداً. ويوضح الدكتور شوسي ذلك قائلا: "الأمر الجوهري في طريقة الموجات الصادمة هو تحديد موقع الحصاة بدقة ليتسنى ضربها بأكبر مقدار من الطاقة. ويحرك المريض حتى تصبح حصاته وسط تقاطع الخطين تماماً على الشاشتين معاً، فتغدو الحصاة مباشرة نقطة الهدف."

اما عملية تحطيم الحصاة في ذاتها فهي في منتهى البساطة. فليس هناك سوى أزيز الشرارات التي يبلغ عددها ٨٠٠ وهي تقفز من قطب كهربائي الى آخر. وطوال فترة العملية يبدو المريض – الذي يخدر القسم الاسفل من جسمه فقاريا – في راحة تامة. ويقول الدكتور شوسي: "يمكن تكرار عملية الموجات الصادمة من دون الحاق اي ضرر بالكلية، وهذا ما يجعل هذه الطريقة تقدماً عظيم الاهمية بالنسبة الى من يعانون تكراراً من حصى الكلى."

وتمثل طريقتا الذبذبة الصوتية العالية والموجات الصادمة في تحطيم الحصى الكلوية بداءة في ثورة التقنية الطبية العالية. وحتى الآن لا تزال الطريقتان رهن الاستقصاء في مجالات اخرى، خصوصاً في معالجة حصى المرارة.

يقول الدكتور هوف: "لا يزال أمامنا شأو بعيد في العمل. وأي شيء يتناول الحياة البشرية لا يكون سهلا." وعلى رغم ذلك، وبالنسبة الى العديد من المصابين بالحصى الكلوية على الاقل، يبدو أن العلم الذي كان بالأمس خيالياً أضحى اليوم حقيقة واقعة.

■ ستانلي انغلبارت

وقت للبكاء

قالت ممثلة مسرحية ان مديرها دخل عليها في ختام التمثيل وأعطاها النصيحة الآتية: "اهنئك على تمثيلك الرائع. ولكن لا تبكي كثيراً، لأن الجمهور لن يبكي عندئذ."

وفي اليوم التالي عملت بنصيحته ولم تبك. لكن النظارة بكوا كلهم.

ب.د.

تنتشر في العالم اليوم جمعيات خيرية
هدفها مساعدة ضحايا الجريمة

اليد البيضاء

هاجم لصان عاملا في محطة للمحروقات فأطلقا عليه النار وسلباه ما معه. وهو كتب في ما بعد ما يأتي: "جنّبوني إجراءات المحاكم لأن تمثيل أحداث قصتي تكراراً يدفعني الى الجنون."

وناشدت امرأة هولندية (٧٦ سنة) السلطات بعدما سرق معاشها التقاعدي الشهري من حقيبتها فقالت: "ساعدوني! فلست أدري الى من ألتجىء! إني أخاف أن أسير في الطريق."

يبدو ان المجتمع يهتم بالمعتدي أو اللص أو المغتصب أكثر مما يهتم بضحيته البريئة التي قد يكون أصابها أذى فتترك رازحة تحت هول الصدمة بلا معين وهي لا تفقه شيئاً من الاجراءات القانونية. صحيح ان كثيراً من الحكومات في أوروبا والولايات والمقاطعات في الولايات المتحدة وكندا تدفع تعويضاً لضحايا الجرائم (في العام ١٩٨٢ مثلا وزعت بريطانيا مبلغ ٤٢ مليون جنيه استرليني (٣٢ مليون دولار) على ١٧ ألف مواطن من هؤلاء، وفي هولندا ألزمت محاكم عدة

المعتدين أنفسهم تعويض المعتدى عليهم). إلا ان هذه المبادرات الرسمية تبقى بطيئة وغير شخصية مما يجعل مساهمتها هزيلة في محو الآثار العاطفية والجسدية التي قد تستمر مدى الحياة.

انطلاقاً من هذه الحقائق هب ألوف الاوروبيين الى مناصرة قضية ضحايا الجرائم. وفي أوروبا الآن ما يزيد على ٣٥٠ جمعية تضم متطوعين لمساعدة الضحايا موزعة في النمسا وبريطانيا وفرنسا واللوكسمبور وهولندا وألمانيا الغربية. وهي تمد بالعون اكثر من الف شخص في الاسبوع. وجميع هذه الجميعات تقدم للضحايا نصائح تشير الى تعاطفها معهم إضافة الى مساعدات عملية طارئة. وفي المانيا الغربية ولاهاي (هولندا) يوزع المتطوعون هدايا نقدية أيضاً.

الحلقة البيضاء — من بين الجمعيات الرائدة في هذا الحقل جمعية "الرأفة بضحايا الجريمة" في لاهاي. وقد أسسها مهندس يدعى هنريك هارت بعد سماعه ان فتاة في الثامنة عشرة خسرت إحدى عينيها عندما هاجمها رجل هولندي وغرز إصبعين في وجهها. واستبد الغضب بالمهندس هارت ولمس الحاجة الى جمعية تساعد الذين يتعرضون في الشارع لاعمال وحشية. فجمع عدداً من صفوة أصدقائه وأسس جمعية خيرية وأعلن حاجتها الى أعضاء. وفوجىء هارت بردود الفعل الايجابية التي لقيها إعلانه وتهافتت عليه الاعانات.

وتضم الجمعية اليوم خمسة عشر مندوباً وزعوا في العام ١٩٨٣ عشرين ألف غيلدر (سبعة آلاف دولار) على اكثر من مئة ضحية. ويعمد مجلس الجمعية المكون من خمسة أعضاء وممثلوها المحليون الى تقليب الصحف بحثاً عن تقارير الجرائم لاختيار من هم في حاجة ملحة الى المساعدة. وذات مرة قرأت رئيسة الجمعية السيدة ليسلوت برنس جاكوبس تقريراً عن رجل أعمى يعيش في مأوى للعجزة كانت إحدى الممرضات سرقت منه مبلغ ٣٥٠٠ غيلدر (١٢٠٠ دولار). فأسرعت السيدة ليسلوت الى المأوى ومعها هدية الى الرجل ووعدت بمنحه ٥٠٠ غيلدر (١٧٢ دولاراً) من مال الجمعية.

في ألمانيا الغربية توزع الهبات على الضحايا من خلال جمعية "الحلقة البيضاء" التي تضم ١٧٠ فرعاً وتكاد أعمالها تشمل البلاد كلها. ففي العام ١٩٧٧ تنبه ادوارد زيمرمن، وهو منتج تلفزيوني يقدم أفلاماً وثائقية عن الجرائم، الى الحال البائسة التي تحوط بالضحايا فاستخدم برنامجه التلفزيوني لحث الناس على التبرع لهم. وبلغ عدد الاعضاء الذين يدفعون رسوماً في "حلقتاً زيمرمن البيضاء" ١٨ ألف عضو (★). وقد أعانت الجمعية منذ نشوئها ما يزيد على عشرة آلاف ضحية وبلغ ما دفعته الى بعض الضحايا أحياناً ١٢ ألف مارك (خمسة آلاف دولار).

(★) "الحلقة" رمز الاتحاد و"البيضاء" رمز البراءة.

ويعد مايكل هاردكاسل (٢٧ سنة) من اشد المتطوعين حماسة في جمعية الحلقة البيضاء، وهو شرطي في مدينة مونشنغلابداخ الواقعة قرب الحدود الهولندية، واليك مثلا على أعماله، في إحدى الحانات ضرب أحد الزبائن النادلة مونيكا بروان (٣٥ سنة) ضرباً مبرحاً بكرسي في الحانة فأصيبت بعطب في الدماغ وبشلل في نصفها الاسفل، فوهبتها جمعية الحلقة البيضاء من وفرها مبلغ خمسة آلاف مارك (ألفي دولار) لمساعدتها في توفية ديونها، ولما باتت مونيكا عاجزة عن صعود سلم بيتها جعل هاردكاسل يطوف في المدينة ليبحث لها عن منزل جديد في طبقة سفلية، وما لبثت الجمعية ان منحتها مبلغاًاضافياً مقداره أربعة آلاف مارك (١٦٠٠ دولار) فاشترى به هاردكاسل متاعاً جديداً لمنزلها الجديد، وهو اليوم يتصل بها هاتفياً باستمرار، ويقول هاردكاسل: "اني أعطي الشرطة أسبوعياً أربعين ساعة من وقتي فيما أعطي جمعية "الحلقة البيضاء" عشرين ساعة، فمساعدة الآخرين متعة للانسان."

تعاون الشرطة ـ الوسائل التي يستخدمها المتطوعون متشابهة في معظم البلدان، فالسيدة بام يونغ التي مضى عهد طويل وهي تعمل في منطقة وندزورث في لندن لديها لائحة بكل ما ينبغي فعله، مثل التأكد من إخطار مدير المصرف الذي تتعامل معه الضحية بالحادث،وتجميد حساب الضحية المصرفي إذا كان دفتر شيكاتها قد سرق، وعند إصابة الضحية بأذى جسدي تتصل بام بشركة التأمين وتساعد الضحية في ملء طلب تعويض العطل والضرر، وهي تعمد احياناً الى التأكد من حصول الضحية على نسخة بديلة من رخصة القيادة، بل انها تحتفظ بطائفة من الاقفال لحوادث سرقة المفاتيح وتقول: "يمكننا تغيير القفل في عشر دقائق."

غير أن الاصغاء الى الضحية يبقى أوسع أنواع المساعدة انتشاراً وكثيراً ما يكون أعظمها شأناً، تقول آلسنور فان بورن، وهي عالمة نفس هولندية تطوعت في جمعية روتردام لاعانة الضحايا: "يعاني بعض الضحايا شعوراً بالذنب، فالناس حولهم يولدون فيهم إحساساً بأنهم ارتكبوا خطأ ما، ويحدث ذلك خصوصاً في حالات الاغتصاب، لكنه قد يحصل أيضاً في حالات الاعتداء والسرقة، وربما سأل أحدهم الضحية: لماذا لم تقفلي باب بيتك جيداً؟ إن من المهم جعل الضحايا يعلمون ان ما حدث لهم يمكن حدوثه لأي واحد منا."

يعتمد نجاح مشاريع مساعدة الضحايا على تعاون الشرطة، ففي كل من هولندا وألمانيا الغربية جرت العادة الا تفشي الشرطة أسرار المواطنين الخاصة، لذلك نجد موظفي الشرطة يترددون في كشف اسماء ضحايا الجرائم وعناوينهم، ويحاول المتطوعون الهولنديون التغلب على هذه العقبة بالاستعانة بشرطيين يبدون استعداداً لفهم دوافعهم ومن ثم يعطونهم سراً معلومات مفصلة عن

حالات معينة. وفي امسترداام عمدت إحدى جمعيات مساعدة الضحايا الى لصق مئات الاعلانات التي تحث ضحايا الجرائم على الاتصال هاتفياً بالجمعية أو زيارة مكتبها. وفي المانيا الغربية جعل ادوارد زيمرمن مسؤولين في الشرطة أعضاء شرف في جمعية "الحلقة البيضاء"، والى ذلك حفز عشرات من رجال الشرطة الادنى مرتبة والذين يحبون العمل الجماعي على التطوع في جمعيته.

في فرنسا وبريطانيا تدلي الشرطة بأسماء الضحايا بسهولة أكبر. وقد تأسست حديثاً جمعية فرنسية تدعى "جمعية مساعدة الضحايا واعطاء المعلومات حول القضايا الجزائية." ولقيت هذه الجمعية دعماً كبيراً من وزير العدل روبير بادينتر الذي خصص في موازنة وزارته للعام ١٩٨٣ مبلغ مليون فرنك (١٢٥ ألف دولار) لمساعدة مشاريع مماثلة. ويقول بادينتر: "إني أؤيد هذه الجمعيات بحماسة شديدة لأنها قادرة على توعية الرأي العام الى حال الضحية."

وفي بريطانيا لا ينى السير كينيث نيومان، قائد شرطة لندن، عن تشجيع رجاله على معاونة جمعيات إعانة الضحايا. وقد سهل موقفه هذا عمل أشخاص من أمثال كاثي هوبدل، وهي أم لصبيين تنسق من بيتها بين أعضاء جمعية إعانة الضحايا في منطقة آيلنغتون في مدينة لندن. فكل صباح يتصل بها موظفون في مراكز شرطة آيلنغتون الاربعة الرئيسية ويوافونها باسماء آخر ضحايا الجرائم التي يبلغ معدلها ثماني جرائم يومياً. وبات مألوفاً ان تتصل كاثي وفريقها البالغ ١٤ متطوعاً بالضحايا خلال ٢٤ ساعة. وقد يكون الاتصال بالرسائل أو بالهاتف أو بالزيارات الشخصية. وفي العام ١٩٨٢ أفاد ٤١٠٠٠ شخص من معونات الجمعيات البريطانية لمساعدة الضحايا التي يبلغ عددها ١٦٠ جمعية. ويعود الفضل الكبير في ذلك الى تعاون الشرطة.

هدايا مؤثرة – يزور أوروبا متطوعون مختلفو الاعمار والمراتب الاجتماعية، يدفعهم شعور بالشفقة وتحل بروح الجماعة. من بين هؤلاء اختصاصي بجراحة التجميل من بلدة كارلسروهي (المانيا الغربية) هو الدكتور هورست ساندنر. وقد أبدى هذا الجراح استعداده للمساعدة بعد حادث سلب شنيع تسبب في تهشيم وجه الضحية يواكيم شادي (٢٤ سنة) على نحو شبه كلي. وكانت أجريت للشاب ثماني جراحات لكن وجهه بقي أشبه بقناع قبيح. فاقترح ساندرز إجراء جراحة جديدة له وقال: "دعوني أحاول." وأجرى هو وزميل له العملية التي استغرقت سبع ساعات. وفي اليوم التالي وجد شادي صعوبة في تصديق ما رآه في المرآة وقال: "لم أكن أظن ان في امكان الجراحة انجاز عمل مماثل! إن هذا بداية جديدة لحياتي." والمعروف عن الدكتور ساندنر انه يقدم مهارته الجراحية مجاناً لجمعية "الحلقة البيضاء" لكونه أحد أعضائها.

وعلى رغم ان العاملين في تلك الجمعيات لا يتلقون أجراً فان معظم

الجمعيات تكافح لتغطي مصاريف المكاتب والنقل وتحاول ان تجد المال حيث تستطيع. وفي هولندا مولت وزارة العدل مشروع روتردام فيما تعتمد الجمعية في امستردام تبرعات من المجلس البلدي. وفي بريطانيا تحصل الجمعيات على المال من تبرعات الناس والشرطة ومن بعض الجميعات الخيرية.

أما في ألمانيا الغربية فالوضع المالي لحلقة زيمرمن البيضاء لا يشكو من اي صعوبة بفضل الرسوم التي يدفعها أعضاء الجمعية أنفسهم والاعلانات المستمرة في برامجه التلفزيونية. تضاف الى ذلك أيضاً الهبات التي تقدمها للجمعية شركات خاصة والمحاكم الجنائية الالمانية التي تتخلى عادة عن غرامات الجرائم للجمعيات الخيرية المستحقة. وقد بلغ دخل جمعية "الحلقة البيضاء" في العام ١٩٨٣ ستة ملايين مارك (٢،٤ مليون دولار).

وتقدم الجمعية غرامات الجرائم الى الضحايا المصابين بصدمات شديدة كي يمضوا مجاناً وقتاً يراوح بين أسبوعين وأربعة أسابيع في منتجعات مختلفة. تقول جيرهاردي بينر (٣٣ سنة)، وهي امرأة حسناء من ايسن قتل زوجها بالرصاص في عملية سلب قبل بضعة أشهر: "استطيع الآن ان أضحك قليلا."

والواقع ان كثيرين من الضحايا وعائلاتهم يبدون شكرهم الجزيل للاهتمام الشديد الذي يلقونه من تلك الجمعيات حتى انهم يقدمون هم أنفسهم هبات أو خدمات لمساعدة ضحايا آخرين. وربما كانت اكثر الهدايا تأثيراً في النفس تلك التي بعث بها أب أضناه الحزن الى جمعية في لاهاي. فعندما قتلت ابنته في أثر حادث اعتداء بعث اليه متطوعون في جمعية الرأفة بضحايا الجريمة ببعض الازهار وأرسلوا الى بيته مندوباً عنهم فقال له الأب: "إننا نؤثر ان نتحمل ألمنا وحدنا في الوقت الحالي." وفهم المسؤولون في الجمعية موقفه ولم يقوموا نحوه بأي مبادرات جديدة. لكنهم دهشوا حين بلغتهم في ما بعد رسالة منه جاء فيها: "هذا المال هو من دفتر توفير ابنتنا ونريد ان نعطيكم اياه لتساعدوا من هم في حال كحالنا."

من هنا يمكن القول إن غاية تلك الجمعيات هي إراحة الضحايا. غير ان المطلوب منها هو بذل مزيد من جهودها. والحق انها أنجزت مشاريع كثيرة في وقت قصير جداً. لكن هناك مناطق كثيرة لم تشملها أعمال هذه الجمعيات وينبغي ان يكون ذلك في رأس اهتمامات كل مجتمع يعبأ بمواطنيه.

■ ادوارد هيوز

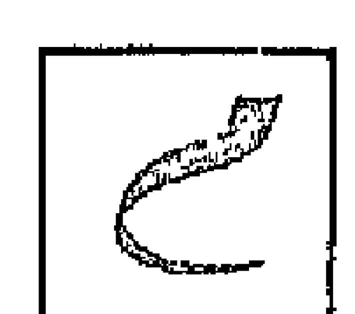
نصيحة زوجية

نشرت صحيفة مختصة بشؤون الزواج النصيحة الآتية للرجال: "اذا كنت تسعى الى الزواج، فابحث عن فتاة ذات اخوة وأخوات كثيرين. ان فتاة كهذه لا متطلبات كثيرة لديها، وهي بالتالي لن تخيبك لاحقاً."

ج.هـ.ب.

قصة تروى للمرة الاولى

فولكلور عائلي



ميغ هودكن ليبرت مستشارة تربوية وقاصة محترفة. وهي نظمت بمساعدة والدها ندوة في مدينة نيويورك دعتها "فولكلور العائلة: لحفظ قصص الماضي" حضرها عدد من البالغين ومعظمهم من الغرباء. قالت تخاطبهم: "الطريقة الاسهل لبدء تجميع فولكلور العائلة القصصي هي ان تبدأ بنفسك."

وبسرعة ضجت الغرفة بالاصوات. كان الحاضرون يتبادلون القصص، هذا عن اصل تسميته وذاك عن جدته وذياك عن ساعة جيب جد ابيه.

وبعد فترة طلبت ليبرت من الحاضرين ان يلزموا الهدوء. ثم سألت: "هل هناك من يتبرع بأن يروي لنا قصة يتذكرها؟"

وقفت سيدة صغيرة في متوسط العمر وبدأت تتكلم بعصبية: "ولدت في استونيا، ولم اخبر احداً بهذه القصة قبل اليوم." ونظرت حولها بتردد ثم بدأت تصف كيف اهدى اليها والداها، وهي طفلة، لعبة جميلة من فرنسا سمتها "شيري". فاضحت هذه اللعبة بعد ذلك اثمن ما تملك.

وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، حضرت دوريس ابنة عمها لتعيش مع العائلة بعد وفاة والدها. ودأبت دوريس على اللعب بشيري. ولما حان موعد رحيلها تمسكت باللعبة تريدها. وقالت الام لابنتها بلطف: "لقد خسرت دوريس والدها وتحتاج الى اللعبة اكثر منك. دعيها تأخذها وسيعيدها الله اليك."

وتابعت المرأة قصتها: "بكيت

كثيراً لفقد شيري. وهي لم تعد كما دعتني والدتي. ومع مرور الزمن بدأت افقد ايماني. وحل زمن رهيب واضطرت العائلة الى الهروب من استونيا بسبب الاحتلال النازي. وعلمت بعد ذلك ان منزل دوريس احرقته قنابل الطائرات وهدمته، وهربت دوريس مع افراد عائلتها من منازلهم وهم لا يحملون الا الثياب التي تستر اجسامهم.
وبعد ذلك هرب بقية سكان استونيا، ومن لم يمت في المجزرة الجماعية تفرق في ارجاء العالم وبدأ حياته من جديد في بلاد اخرى."

وتابعت المرأة قصتها. قالت انها وصلت الى الولايات المتحدة الامريكية. ومرت السنوات، لكنها لم تنس لعبتها شيري. ثم علمت ان دوريس لا تزال على قيد الحياة وتعيش ايضاً في الولايات المتحدة. والتقتا مرة او مرتين لكنهما لم تأتيا على ذكر اللعبة.

قالت المرأة: و"عندما وضعت طفلتي الاولى حضرت دوريس لزيارتي ومعها هدية." واغرورقت عيناها بالدموع وتابعت: "كانت هديتها شيري وهي اخبرتني انها حملتها معها في منديلها يوم هربت من بيتها المحترق."

واكملت المرأة: "انني بكيت كثيراً من قبل، لكنني لم اذرف دمعاً كما ذرفت عندما رأيت شيري. ولقد اعاد ذلك ايماني الي."

وجلست المرأة بعدما انهت قصتها.

وقفت ليبرت امام الحاضرين وقالت: "هذه القصص هي تراثنا، انها مهمة لنا ولحضارتنا. ان جزءاً من جمال فولكلور العائلة هو ان تذكر قصة وتسردها على الاخرين، فتصبح جزءاً من قصة حياتنا."

■ غلين كولنز

grob

زيت سمك للعيون

في مهنتي كطبيب عيون الجأ احياناً الى وصفة قديمة قل من الزملاء من يستخدمها اليوم، وهي قطرة من زيت كبد سمك القد. وقبل وقت وصفت ذلك العلاج لامرأة تعاني مرضاً في الشبكية، منبهاً اياها الى استعمال القطرة خلال النهار وقبل النوم. وعلقت اهمية كبرى على قطرة ما قبل النوم بما انها تفعل فعلها ردحاً من الليل.

وبعد ايام خابرت المريضة لاطمئن الى حالها، فقالت: "كل شيء على ما يرام. غير اني بت استيقظ باكراً في الصباح لأن الهرة تأتي وتلحس اهدابي."

و.ف.



السيجارة الأخيرة

جرب هذه الاقتراحات، وسوف تنقطع عن التدخين

يوماً بعد يوم يتكاثر عدد الاشخاص الذين ينقطعون عن التدخين. وفي تقرير حديث لجمعية السرطان الامريكية، قائم على استجواب ١٥٨ ألف شخص، جاء أن أكثر من نصف المدخنين السابقين تخلوا عن هذه العادة.

ويقدَّر ان ٩٥ في المئة يقطعون التدخين من غير وسائل خارجية كالتنويم المغناطيسي والعقاقير.

وفي ما يأتي بعض الاقتراحات التي تمكن كل من شاء أن يحذو حذو هؤلاء:

١. حدِّد وقتاً لقطع التدخين.

إن محاولة وقف التدخين باللجوء الى تقليل عدد السجائر شهراً بعد

شهر لا تجدي. كما ان اعتماد الاصناف القليلة القطران والنيكوتين لا يساعد كثيراً لانه يحفز على تدخين المزيد من السجائر وابتلاع الدخان.

ويبدو أن الانقطاع مرة واحدة أكثر جدوى. ويمكن تخفيف عدد السجائر بضعة أسابيع يضع صاحب العلاقة في أثنائها وقتاً محدداً، لنقل ثلاثين يوماً، للانقطاع النهائي، من غير أن يبدل هذا التاريخ وفي الامكان تعداد دوافع القطع كما في القائمة الآتية:

- التخلص من السعال الذي يصيب المدمنين.
- تجاعيد الوجه تصيب المدخنين أكثر مما تصيب غير المدخنين او المقلعين.
- التدخين يضعف حاستّي الذوق والشمّ.
- إن تدخين علبتي سجائر يومياً قد يكلف ٦٠٠ دولار في السنة. وهذا المبلغ كاف لرحلة سياحية تدوم اسبوعاً أو لشراء آلة فيديو.
- **التدخين يسبب السرطان** وانتفاخ الرئة وأمراض القلب.

٢. هيىء نفسك للانقطاع.

احفظ سجلا بعدد السجائر التي تدخنها في الصباح والعصر والمساء. ثم راقب فارق العدد خلال فترة التخفيف القصيرة التي تسبق الانقطاع. ستسر كثيراً وأنت ترى كيف يتناقص العدد يوماً بعد يوم.

ومن الوسائل الاخرى كتابة يوميات تسجل فيها عدد السجائر التي تدخنها والدافع الى تدخين كلّ منها. ويمكن أن تسجل في أعلى الصفحة خمس قوائم تحت العناوين الآتية: الوقت، الحاجة، المكان أو النشاط، مع مَن، المزاج أو الدافع. تحت خانة "الحاجة" سجل عدد السجائر التي أحسست حاجة اليها (٥ مثلا)، وتلك التي كان يمكنك الاستغناء عنها بسهولة (١)، والتي تقع بين بين (من ٢ الى ٤). بعد ذلك قارن ما يتجمع لديك خلال فترة من الزمن. وربما تبيَّن لك أنك تدخن عندما تكون في رفقة أشخاص معيَّنين، أو بعد وجبات الطعام، أو عندما ينتابك القلق.

جرّب بعض هذه النصائح لتخفيف عدد السجائر:

- أجِّل اشعال سيجارتك الاولى ١٥ دقيقة في اليوم الاول و١٥ دقيقة اخرى في اليوم الثاني وكل من الايام التالية.
- لا تشعل السيجارة كلما أحسست حاجة الى ذلك. وحاول الالتهاء عنها بفتح حديث أو بتناول كوب ماء أو باغماض عينيك وتخيُّل نفسك في مكان محبَّب.
- ضع لنفسك ساعات لا يجوز فيها التدخين، وأضف اليها ساعات جديدة يومياً.
- بعد تناولك الطعام انهض فوراً عن الطاولة وامشِ قليلا أو افرك أسنانك بالفرشاة.
- حاول حمل السيجارة باليد التي لا تستخدمها عادة للتدخين.
- اشترِ علبة واحدة، وأنهها قبل أن تشتري سواها.
- دخن كل سيجارة حتى نصفها.
- تجنَّب افراغ المنافض، اذ ان

الرائحة التي تخلفها أعقاب السجائر **من شأنها اثارة اشمئزازك. احفظ** الاعقاب طوال اسبوع في قارورة زجاجية.

● ضع علبة السجائر في أمكنة يعسر الوصول اليها بسرعة. يمكن أن تلفها بورقة وتحفظها في الدرج مثلا.

● اجعل أحد معارفك شاهداً على الموعد الذي قررت للانقطاع عن التدخين.

● سجل تقدمك نحو الانقطاع في الفترة القصيرة التي تسبقه. فمشاهدة التقدم بأمّ العين تساعد صاحب العلاقة كثيراً.

٣. الآن، توقّف.

المهم في الأمر ان تركز أفكارك على ما تفعل، وليس على ما تنقطع عن فعله، وأن تجد متعة في عملك. ويمكن أن تكافىء نفسك على انجازك الحسن بالاحتفال أو بشراء هدية خاصة.

● **اذا ازعجك التفكير في عدم التدخين، فكر في حسنات الانقطاع.**

● املأ وقتك بالنشاط. واذا كنت خارج العمل، تنزه على القدمين أو على دراجة هوائية.

● اذا كان بعض الطعام او الشراب يثير لديك الحاجة الى التدخين، انقطع عنه ايضاً. ولن تلبث أن تعود اليه من غير حاجة الى التدخين.

● اذا أحسست حاجة الى تشغيل يديك، احمل سبحة او قلماً أو سوى ذلك. أما اذا راودتك حاجة الى وضع شيء في فمك، فتناول أقراص النعناع أو العلكة الخالية من السكر.

● احتفظ بمفكرة للايام التسعين الاولى من الانقطاع. اشطب كل يوم لدى انقضائه وسجل المبلغ الذي ادخرته نتيجة قطع التدخين.

● اذا انتابك الدوار، تنفس عميقاً، ثم أشعل عود ثقاب وأطفئه وأقحمه في المنفضة كما تقحم عقب سيجارة.

● تجنب الفكرة القائلة ان سيجارة واحدة لا تؤذي. فهكذا يعود معظم المنقطعين عن التدخين اليه.

بعد اثنتي عشرة ساعة من تدخين سيجارتك الاخيرة يباشر جسمك شفاءه الذاتي. واذ ذاك ينخفض مستوى أول اوكسيد الكاربون والنيكوتين بسرعة، ويبدأ قلبك ورئتاك عملية الشفاء من آثار التدخين.

لكن النتيجة في البداية قد تكون أسوأ مما تصورت. وهناك منقطعون كثيرون يختبرون تحركات غريبة في الامعاء وانتفاخاً في اللثة. وربما كنت ضيق الطباع ولكن ثق بأنّ تلك الاعراض الاولية ستزول سريعاً.

ولن تلبث أن تختبر تبدلات **ايجابية. فسوف تتحسن حاستا الشم** والذوق لديك ويخفّ سعالك الآتي من التدخين. وسيستأنف جهازك الهضمي عمله الطبيعي، ويزول الاحتقان من رأسك وتكتسب قوة متجددة وتتنفس بسهولة أكبر. وستنعتق من رائحة السجائر وازعاجها وكلفتها وعبوديتك لها. وأهمّ من هذا كله أنك ستعود سيد حياتك.

■ **الدكتور دونالد فيكيري وجوديث رومان ايكنر**

العائدُ من الغيبوبة

غرق الفتى في غيبوبة تامة، فهو عاجز عن الحركة والرؤية والكلام، لكنه يشعر بكل ما يدور حوله

كل شيء يبدو مظلماً. لماذا أعجز عن فتح عيني وعن تحريك يدي وقدمي؟ ماذا يحدث لي؟

في الظلام أسمع أصواتاً خافتة تبكي. "بوبي بوبي... ساعده يا رب!" هذا صوت أمي.

"يجب أن تبقي قوية يا شيرلي." هذا صوت دون طومسن. لا بد أنه هنا. في السنوات الاخيرة الماضية كان هذا الرجل بمثابة أب لبوبي.

تقول شيرلي: "يرى الطبيب أن هذه الغيبوبة قد تستمر أشهراً أو سنوات، وأن بوبي قد لا يفيق منها أبداً. ويجيب دون بحزم: "صحيح، ولكن علينا أن نبذل كل جهد لمساعدته."

كتلة ألم – في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٨١ كان بوبي الفريتز (١٧ سنة) يسير في أحد الشوارع القريبة من منزله في تاكوما (ولاية واشنطن)

لقد توفي زوج أمه ميل ريد قبل خمسة أسابيع من جراء سكتة قلبية، لكن بوبي كان يعتبر نفسه مسؤولا عن وفاته. تذكر الضجة التي سمعها تلك الليلة آتية من الحمام وصوت الزجاج المتناثر، وحاول بعد ذلك أن ينقذ ميل بواسطة التنفس الاصطناعي لكنه لم يفلح.

واليوم، في هذه الليلة الصيفية، يتذكر بوبي العلاقة الحميمة التي كانت تربطه بزوج امه ورحلات الصيد سوية الى البحيرة الفضية. كان القارب يهتز ببطء والصنارتان متدليتين في الماء وهما ماضيان في الكلام لا يشعران بمرور الوقت. وفكر بوبي: "كان ذلك حديث رجل الى رجل. كان ميل دائماً موجوداً عندما احتجت إليه، لكنني خذلته عندما احتاج هو الى مساعدتي."

قطع بوبي الشارع من غير انتباه، وفجأة علا صوت بوق ثم صفير كابح، واختبط بوبي بمقدم سيارة. إنه يتذكر نظرات السائق المذعور ثم الضجيج ثم ذلك السواد التام.

نقل بوبي الى مستشفى القديس يوسف وهو ينزف من داخل أذنه اليمنى. وتبين ان هناك إصابة في رأسه وأنه في غيبوبة. وأظهر مسح بالاشعة رضة في الدماغ وبعض كسور في الجمجمة.

وتهيأ الجراحون لادخال فاحص للضغط من خلال فتحة صغيرة يحدثونها في الجمجمة من أجل تخفيف الضغط الزائد الذي قد يسبب عطباً في الدماغ أو حتى الوفاة.

كان بوبي يحاول تخيل المكان حوله، لابد أنه مستشفى، فالهواء مشبع برائحة الادوية. ثم شعر أنه ينقل الى مكان آخر، وتسارعت الاصوات حوله: "الدماغ... الجرح هنا..."

شعر بوبي بالألم في كل أنحاء جسمه فكأنه كتلة ألم. ماذا سيفعلون؟ ثم سمع طنيناً. إنهم يحلقون رأسي! سيجرون جراحة في رأسي! يا رب أوقفهم! وحاول بكل جوارحه أن يتخلص من هذا السجن، لكن جسده كان يرفض كل الاوامر. وغاب عن الوعي.

حديث مخيف — عندما استفاق بوبي حاول التركيز. إنه يشعر بنظافة الملاءات ونعومتها، هذا سرير المستشفى. ثم سمع صوت دون: "هل سينجو؟" وأجابه صوت ناعم لابد أنه صوت الممرضة: "هناك أمل في أن يبقى على قيد الحياة إذا مر اليومان المقبلان بسلام. لكن لا تتأمل كثيراً، فقد يموت في أي لحظة."

كانت هناك يدان كبيرتان تشدان على يده مما أعطاه شعوراً بالراحة. إنه دون، إنه يعلم أني هنا، ساعدني يا دون!

"بوبي، أنا خالتك دونا، جيري هنا معنا."

هذا جيد، يفكر بوبي، لابد أنه سيسمعني. أين أنت يا جيري؟ كلمني.

جيري، شقيق بوبي الاكبر ذو الخمس والعشرين السنة، جاء من آلاسكا حيث يعمل في شركة لضخ النفط. تصوره بوبي أمامه بلحيته

البنية ونظارتيه المستديرتين وابتسامته الواسعة. آه يا جيري، ليتني أستطيع أن أتحرك.

لم يكن بوبي يعرف عدد الايام التي مرت وهو على هذه الحال. كان يشعر بالضياع بين الحلم واليقظة، بين الحياة والموت.

وسمع والدته: "لقد اشتريت قطعة الارض القريبة من قبر ميل."

ففكر بهلع: رباه، لا. كيف الخلاص من هذا الكابوس؟

وجاءه صوت آخر: "ربما علينا التفكير يا شيرلي في التبرع بأعضاء بوبي، مثل كليتيه وقرنيتي عينيه وكبده وحتى قلبه. فاذا كان نصيبه الموت، فليكن من أجل هدف سام. ولابد أنه سيكون سعيداً." وفكر بوبي بحزن: لكنني لا أريد الموت، لن أموت!

رجفة خفيفة - قال جيري: "يرى الاطباء أنهم عاجزون عن تحديد مدى الاصابة في الدماغ. فهناك احتمال بأن يقضي بوبي بقية حياته جسداً بلا عقل، وعندئذ سيكون الموت أفضل له."

يشعر بوبي بقشعريرة: جسد بلا روح مدى الحياة؟

وقال دون طومسن بحدة: "لا داعي الى هذا التشاؤم. فهو لم يمت بعد."

دون طومسن سائق شاحنة في الحادية والاربعين من العمر. وهو رجل قوي ضخم البنية لم يترك بوبي منذ الحادث، وقد ساعده كثيراً بعد وفاة ميل. قال له بوبي مرة ان ضميره يؤنبه لاخفاقه في إنقاذ زوج أمه من الموت، فأكد له دون أن عليه رفع التهمة عن نفسه لأنه بريء منها.

وها هو الآن يسمع صوت دون: "انك لا تزال تلوم نفسك يا بوبي. أرجوك، لا تفعل ذلك. فالله يحبك، كما نحبك نحن. ولن نتخلى عنك أبداً. لكن عليك مساعدتنا فلا تخذلنا. هيا، خذ يدي وحاول أن تشد عليها، وأنا متأكد من أنك ستفعل."

كان بوبي يسمع صوت دون يأتيه من مكان بعيد عبر نفق طويل: إنه يشعر بوجودي. إنه يفهم وضعي، وهو على حق. علي أن أقاوم بكل ما تبقى لدي من قوة. فاذا أخفقت في إنقاذ ميل، أكون نجحت في إنقاذ نفسي.

ضغط دون قبضته: "هيا يا بوبي، شدّ على يدي فأعرف أنك بخير."

باءت محاولة بوبي الأولى بالاخفاق، لكنه شعر في المحاولة الثانية بشيء يتحرك فيه، برجفة خفيفة في يده.

وقفز دون من مقعده مدهوشاً: "لقد تحرك!"

بعد دقائق أمسكت الممرضة يد بوبي اليمنى: "هل تستطيع شد يدي يا بوبي؟" وحاول الفتى، لكن أصابعه خذلته وأحس بالتعب.

وخاطبت الممرضة دون: "لا تأمل كثيراً يا سيد طومسن. الافضل أن تذهب الى البيت وتأخذ قسطاً من الراحة."

أجاب دون: "حسناً، سأذهب." ثم اقترب ليهمس في أذن بوبي: "أنا أعرف أنك سمعتني، ومتأكد من أنك ستكون بخير قريباً."

قال دون: "لقد مرت ستة أيام من غير أن تتحسن صحة بوبي. فهو لا يزال يخسر الكثير من وزنه."

وتساءلت الأم: "حتام سيستمر على هذه الحال يا ترى؟".

ثم تابع دون: "علينا التحلي بالصبر لنمد بوبي بالقوة ونمكنه من التغلب على محنته."

وصلى بوبي: يا رب، أعد الي حياتي الطبيعية وسأحاول أن أكون انساناً أفضل. سأركز أكثر على الدراسة.

واقترب منه دون قائلا: "ربما كانت جلستك هذه مريحة أكثر من اللزوم. يجب أن تقاوم أكثر."

شعر بوبي بالألم عندما رفع دون يديه الى خلف رأسه. ورأى دون تسارع دقات قلبه على المرقاب فقال: "هذا جيد يا بوبي يجب أن تخرج نفسك من هذه الغيبوبة." ثم أمسك بساقيه ورفعهما الى صدره، فحاول بوبي المقاومة بشدة وفجأة شعر أنه نجح.

صاح دون بابتهاج: "انه يتحرك!" لكن الحركة سرعان ما توقفت، فقال دون: "حسناً يا بوبي، الافضل أن تخلد الى بعض الراحة الآن."

شعر بوبي بصوت دون يرتجف، أتراه فقد الامل في نجاتي؟ إنني أحاول. أرجوك يا دون لا تتخلّ عني، فهذا أصعب ما قد يحصل لي.

انقطاع التنفس — جلست الأم على حافة السرير: "طاب يومك يا ابني." قالت ذلك وهي تعانقه وشعر بوبي بقشعريره دافئة تسري في جسمه. وأضافت: "اطمئن، فكل شيء سيكون على ما يرام وستعود إلينا بالسلامة."



بوبي الفريتز.. اليوم

أحس بوبي بدخول اخته بيكي الغرفة قبل أن تباشر الكلام. انها أخته التوأم وقد جلست الى جانبه تبكي... لا تخافي يا بيكي، سأكون بخير.

ثم سمع صوت أخته الثانية آمبر. إنها تغني له بصوتها العذب بينما تتساقط دموعها فوق يده. وتذكر وجهها الجميل وشعرها الحريري.

وجاءه صوت الخالة دونا: "يقول الاطباء انهم يخشون أن يصاب بوبي بذات الرئة. فجسمه الضعيف لن يستطيع المقاومة بعدما مضى عليه أسبوعان في حال الاغماء."

كان بوبي يشعر بالضعف الشديد بعدما استنزفت سوائل جسمه وامتلأ صدره بلغماً. إنه يختنق. وفجأة انتفض في سريره عاجزاً عن التنفس. بدأ الناس يهرعون الى الغرفة وامتدت إليه أيد قوية تحاول مساعدته، عادت رئتاه الى الانتفاخ.

رائحة الخشب — يجب أن أحاول الكلام، فأمي تبكي طوال الوقت، أريد أن أقول لهم انني لن أموت.

لكنه لم يستطع الكلام. وكل ما استطاعه بضعة أصوات حيوانية رهيبة.

وقال دون: "لقد مضى أسبوعان من دون أي تحسن في صحة بوبي."

وكانت صديقة العائلة شيري دالتون تجلس بالقرب من الفتى تفرك قدميه. فشعر بالالم وحاول الكلام.

وصرخ دون: "لقد سمعته يقول شيئاً. إنه يتألم، هل سمعتموه؟"

توقفت شيري قائلة: "ربما كنا نتخيل اشياء بعدما طال انتظارنا."

ثم جاء بول مانويل. تذكر بوبي هذا الرجل اللطيف الطويل القامة الذي كان يعمل عنده بعد انصرافه من المدرسة، فيساعده في نشر الخشب الاحمر وطليه لصنع طاولات ثمينة وتعاليق فخمة للجدران. وقال بول: "أنا في حاجة اليك أيها الشاب الصغير. يجب أن تغادر المستشفى وتعود الى مساعدتي وكسب الرزق. إننا ننتظرك في المشغل، فلا تتركنا، هل سمعت؟"

آه يا بول. لو تدري كم أريد العودة.

تذكر بوبي المشغل العابق برائحة الخشب الخام وصوت المبرد يعلو كالموسيقى. سأعود يا بول، أعدك بذلك. وعندما حاول بوبي الحراك أخفق مرة أخرى، لكنه شعر بنفسه قريباً جداً من النجاة.

القوة العجيبة ــ في اليوم التاسع عشر استفاق بوبي من غيبوبته يملأه شعور جديد. عندما فتح عينيه كان كل شيء واضحاً أمامه. الضوء فوق رأسه يتدلى من سقف الغرفة الابيض، وشمس الصيف الساطعة ترسل أشعتها عبر النافذة. إنني أرى كل شيء!

وصاح بوبي: "دون! أين دون؟"

ركضت الممرضة الى الغرفة: "بوبي! إنك تتكلم! وتتحرك أيضاً!"

ــ نعم، أظن أنني استفقت أخيراً.

كان دون طومسن غارقاً في النوم عندما أيقظه والده: "لقد اتصلوا بك من المستشفى ويريدونك أن تحضر حالا."

قال دون بصوت خافت: "واأسفاه!

غمرت دون رهبة أكبر وهو في طريقه الى غرفة بوبي. ولدى دخوله رأى شيرلي وبضع ممرضات وقد التففن حول السرير. ثم سمع صوتاً عالي النبرة يقول له: "أأنت هنا يا دون؟"

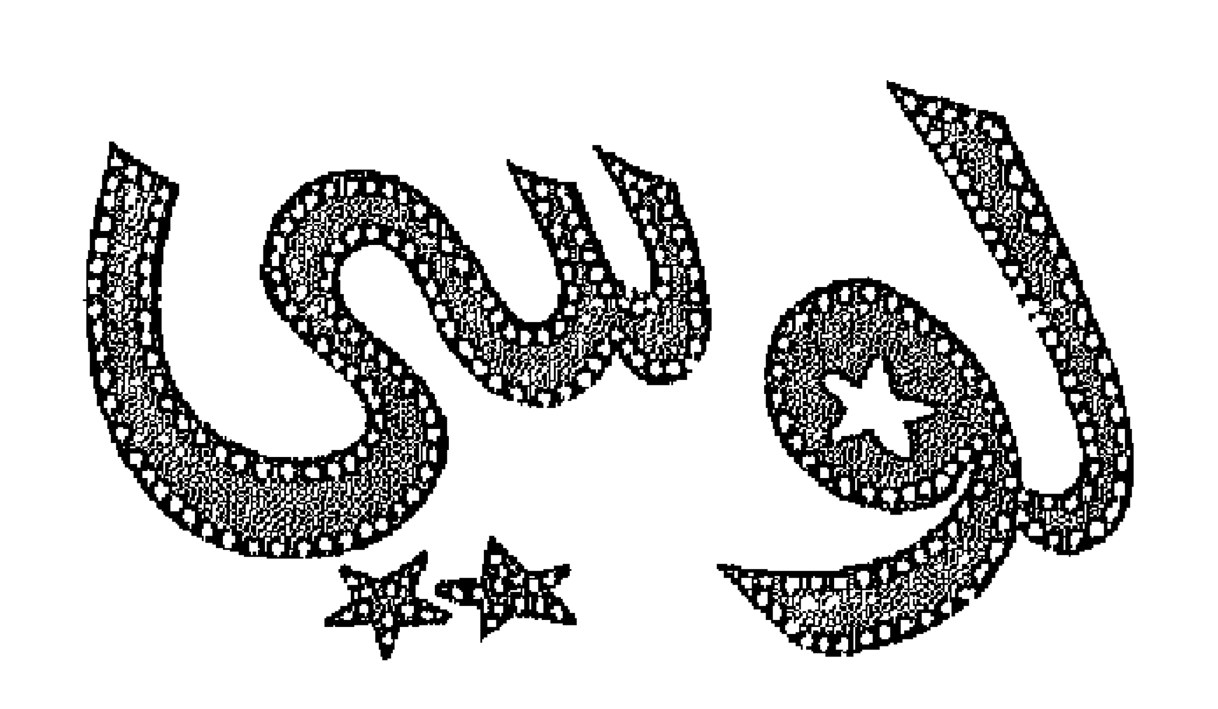
انهمرت الدموع على خدي دون وهو يجلس الى جانب بوبي: "أهلا بك بيننا من جديد."

في ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ غادر بوبي الفريتز المستشفى بعدما أمضى فيه ٥٢ يوماً. وبعد عشرة أيام بدأ برنامجاً دراسياً خاصاً في مدرسة واشنطن الثانوية في تاكوما حيث يتخرج في يوليو (تموز) ١٩٨٤.

وعن الخبرة التي مر بها يقول بوبي: "هنالك قوة عجيبة تمكننا من الصمود في وجه كل المصاعب. جزء من هذه القوة ينبع من داخلنا، أما الجزء الأكبر فنستمده من حب الآخرين لنا وثقتهم بنا. أنا هنا لأنني لم أستسلم، لكن السبب الأهم هو أن كثيرين لم يتخلوا عني."

■ **هاربيت وتيري كينغ**

تبقى لوسيل بول إحدى أشهر نجوم أمريكا وأحبهم الى الجمهور



لا احد يعرفها باسم لوسيل بول. انها "لوسي" بالنسبة الى كل الناس. جميع سكان لوس انجلس (كاليفورنيا) يعرفون اين يقع منزلها، فاذا اعطيت عنوانها اي سائق اجرة، كان جوابه حتماً: "انه منزل لوسي."

تعيش لوسي في دار بيضاء كبيرة. هناك يقف المعجبون لالتقاط الصور التذكارية. وقد جاء في مجلة "تي في غايد" ان الجماهير في العالم اجمع شاهدت وجه لوسي اكثر مما شاهدت اي وجه آخر. ان لها ملايين المعجبين.

حين يدخل المرء منزل لوسي يجد نفسه في غرفة جلوس كبيرة، يغلب عليها اللونان الاخضر والبرتقالي وتملأها النباتات. الواجهة الزجاجية الواسعة تطل على حديقة كبيرة، فالسيدة ترعى نباتاتها بنفسها.

تدخل لوسي البيت آتية من الحديقة يتبعها كلبها الأبيض، مرتدية كنزة قطنية فوق سروال فضفاض وعلى عينيها

نظارة شمسية زرقاء كبيرة. شعرها احمر زهري وعيناها زرقاوان. تجلس ثم تمد الي يدها للمصافحة.

لوسي الآن في الثانية والسبعين، وهي من برج الاسد. وتقول في اصحاب هذا البرج انهم فخورون وشجعان وذوو نفوس أبية، لكنهم معرضون للحوادث. وتمد ساقها المكسورة وتقول لي: "أرأيت؟ المسيها."

وتحسست ساقها برفق، فصرخت بي لوسيل بول: "ليس بهذه الطريقة." وأمسكت بيدي ووضعتها على ربلة ساقها، فشعرت انها صلبة حقاً، وقالت: "قبل سنوات كانت ساقي هذه ضعيفة جداً. وقيل لي انني لن أتمكن من المشي." كان عمرها ١٧ سنة عندما أصيبت بالتهاب المفاصل فأقعدها المرض ثلاث سنوات.

وتتابع لوسي الحديث: "قبل سنوات كانت نيويورك محط انظار الناس. ولكن يجب ان تفهمي انني لست من نيويورك نفسها بل من احدى ضواحيها، وهذا امر مهم." وتلوح لوسي بيدها في الهواء وهي تحمل شطيرة وتقول: "كان المسرح يبهرني. كنت منذ طفولتي اغني وأرقص وأمثل طوال الوقت. لكني كنت اتطلع دائماً الى ان اكون فنانة حقيقية.

وبعد طول انتظار قررت والدتي ارسالي الى مدرسة للتمثيل في مدينة نيويورك. وبعد فصل دراسي واحد كتب اليها المسؤولون ينصحونها بعدم اهدار اموالها سدى، وهذا سلبني الثقة بالنفس لمدة طويلة. ولم يتبدل شعوري الا بعدما اصبحت عارضة أزياء."

وتضيف: "قلما استعملت كلمة حظ، لكن الحظ حالفني حقاً عام ١٩٣٣ عندما عملت مع شركة "مترو غولدن ماير" السينمائية. فقد كنت اسير في الشارع حين استوقفتني وكيلة كنت قابلتها اثناء عملي كعارضة، وسألتني هل أريد الذهاب الى كاليفورنيا. قالت لي ان ثمة حاجة الى عارضات في فيلم "الفضائح الرومانية" الذي ستنتجه الشركة. عند ذلك ذهبت الى هوليوود ولم اعد."

هكذا اخبرتني لوسي والابتسامة تعلو وجهها.

دقاق الطبل ـ تنقلت لوسي من شركة "غولدن ماير" الى شركة "كولومبيا" ثم الى "آر كي أو" وأصبحت تحمل لقب "ملكة أفلام الدرجة الثانية". وعملت الممثلة الشابة مع مشاهير الكوميديا ومنهم الاخوة ماركس في فيلم "الخدمة في الغرف".

ولاقت أفلام لوسيل بول الأولى نجاحاً واسعاً، على رغم انها تنفي ذلك. ومن هذه الأفلام "باب المسرح" (١٩٣٧) و"الشارع الكبير" (١٩٤٢) وفيلم كول بورتر الموسيقي "دوباري كانت سيدة" (١٩٤٣) الذي جعل مجلة "لايف" تطلق عليها اسم "تيسي الملونة". وقررت شركة "مترو غولدن ماير" صبغ شعر لوسي ـ البني اصلا ـ باللون الاحمر التوتي لاعطاء هذه النجمة الجديدة الواعدة مظهراً جديداً، وعندما نظر اليها مصمم

الشعر ورأى شعرها ـ البلاتيني حينذاك ـ قال: "قد يكون شعرها اشقر، لكن داخلها ناراً مشتعلة. لذلك سنصبغه باللون الاحمر." وتقول لوسيل بول: "ان هذا لمضحك. كل ما في الأمر ان اللون الاحمر يوحي بالفرح ويناسب آلات التصوير."

هناك قصص اخرى عن لوسي، منها قصة الحب من النظرة الأولى، اي قصة حبها ديزي آرناز: "عندما التقيته وجدت فيه الحب الحقيقي. وكنت اعمل في فيلم "فتيات كثيرات" وقد اتى ديزي الى كاليفورنيا ليكون نجماً فيه." وبعد ستة اشهر تزوجت لوسيل بول المغني الكوبي الشاب.

ومما تقوله لوسي في زواجهما: "كان زواجاً صعباً. كنا في شهر العسل عندما اضطر الى السفر الى شيكاغو لينهي احد اعماله المسرحية. ثم بدأت الحرب وكان من بين المجندين فيها. بعد ذلك، ولمدة خمس سنوات، راح يجول مع فرقته الموسيقية. ليس من الممكن ان يتم الزواج وانجاب الأطفال عبر الهاتف. وبعد مرور تسع سنوات على زواجنا، امضينا منها ستة اشهر فقط سوية، قررنا ان نعيش معاً."

في هذه الفترة (١٩٤٨ ـ ١٩٥١) عملت لوسيل بول في برنامج اذاعي اسمه "زوجي المفضل" أدت فيه دور "ليز" المغفلة زوجة المصرفي الرزين. وأرادت شبكة "سي. بي. اس". ان تصور هذا العمل للتلفزيون، فوافقت لوسي مشترطة ان يمثل ديزي دور الزوج. لكن الاستوديو عارض بحجة انه لاتيني لا تفهم لكنته وأنه غير معروف فنياً. وتقول لوسي شاكية: "لقد ظنوا انه لا يجيد سوى الدق على الطبل."

برنامج ناجح ـ اسس الزوجان شركة لهما باسم "ديزيلو" ومثلا سوية في عمل جوال استجاب له الجمهور بحماسة مما جعل احد المسؤولين في شبكة "سي.بي.اس" يقول: "لا يصدق من يراكما انكما زوجان، لكننا سنمنح عرضكما فرصة للظهور."

تقول لوسيل بول وقد بدت مضحكة كثيراً: "أنا لست مضحكة. الذين ألفوا لي كانوا مضحكين، أو ان الظروف كانت مضحكة." وبينما أنا أفكر في أنها على خطأ تتابع لوسي: "الحقيقة انني شجاعة. وكنا مبدعين. وعندما قال لنا الناس اننا ننتحر مهنياً لم اكن اسمع. وحين سألنا المسؤولون في "سي.بي.اس." عن الدور الذي نفضل اداءه قلت: لا اريد ان يكون دوري دور امرأة جذابة، او ان ارتدي الثياب الجميلة. اريد ان اكون ربة منزل عادية، ولكن حشرية، رغبتها دخول عالم التمثيل. كما اريد ان يحبني زوجي."

رفض الزوجان الاستجابة لرغبة شركة "سي.بي.اس." في تصوير البرنامج في مانهاتن: "كل ما في الأمر اننا قررنا البقاء في دارنا لنمثل وننجب الأطفال." وهكذا استدانت شركتهما "ديزيلو" خمسة آلاف دولار لانتاج عرضهما الخاص "انا احب لوسي."

اثار هذا العرض اهتمام

"سي·بي·اس·" خصوصاً بعد اشتراك كارل فروند المصور المعروف فيه· فقد ابدع فروند حينذاك اسلوباً جديداً في التصوير، حيث تعمل ثلاث آلات تصوير بدلا من واحدة في تصوير المشهد نفسه، ثم يختار المخرج افضل المشاهد ويجمعها· هكذا اصبح "انا احب لوسي" من اول البرامج التلفزيونية المصورة امام الجمهور، ولم يعد هناك من حاجة الى قطع الفيلم لادخال الضحكات·

كان العرض الاول لبرنامج "انا احب لوسي" على التلفزيون الامريكي في ١٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥١· وكان ابطاله ريكي ولوسي ريكاردو (قائد فرقة موسيقية وزوجته المغفلة) وصديقيهما الحميمين فريد (وليم فراولي) وايثل (فيفيان فانس)· ارادت لوسي وايثل قضاء السهرة في احد المنتديات الليلية· اما ريكي وفريد فكان مشروعهما الذهاب لمشاهدة مباراة في الملاكمة· وعمت الفوضى اثر هذا الاختلاف في الرأي، ورفضت لوسي وايثل الذهاب الى المباراة· فقرر الزوجان الانتقام واللجوء الى مصاحبة نساء جديدات· اما لوسي وايثل اللتان رفضتا الهزيمة فتنكرتا في زي فتاتين من الريف لتمثلا دور الفتاتين اللتين سيتعرف عليها ريكي وفريد·

لاقت هذه الحلقة اعجاب الجمهور والنقاد· واعتبر برنامج "انا احب لوسي" بعد موسم عرضه الثاني من أنجح البرامج في تاريخ التلفزيون، اذ قدر عدد مشاهديه اسبوعياً بـ١١ مليوناً و٥٥ الف عائلة امريكية من اصل ١٥ مليون عائلة تملك اجهزة تلفزيون·

وأصبح للوسي دمى واغان وكتب هزلية باسمها، كما طبعت صورتها على مآزر المطبخ·

حنين الى لوسي – كل شيء كان على ما يرام بالنسبة الى لوسيل بول، واصبحت لها عائلتها الصغيرة المكونة من صبي وبنت اسمهما ديزي ولوسي (وهما نجحا ايضا في مجال التمثيل)· ولد ديزي الابن في اليوم نفسه الذي أنجبت لوسي ريكاردو طفلها ريكي الصغير على شاشة التلفزيون· وقدر عدد المشاهدين في ذلك اليوم بـ٤٤ مليون مشاهد، وهو العدد نفسه لمشاهدي حلقة "من اطلق النار على جي آر" من برنامج "دالاس"· عن هذه الايام تقول لوسي حالمة: "كانت اياما رائعة·"

اما زوجها ديزي آرناز فلم يكن يشبه ريكي ريكاردو الممثل· تقول لوسيل: "كنت آمل دائماً ان يتغير ديزي، لكنه بقي على عاداته في السكر والخيانة·"

طلبت لوسيل بول الطلاق عام ١٩٦٠، واستمر آرناز في ادارة شركة "ديزيلو" التي بلغ رأس مالها ملايين الدولارات· واشترتها لوسيل عام ١٩٦٢ بثلاثة ملايين دولار، ثم باعتها لشركة "غالف آند وسترن اندستريز" في العام ١٩٦٧ بمبلغ ١٧ مليون دولار، وانشأت شركة جديدة باسم "لوسيل بول للانتاج·" واصبح زوجها الثاني غاري مورتن رئيساً لهذه الشركة يدير شؤونها المالية، وحل برنامج "ها هي لوسي" محل "انا

احب لوسي" فحصدت منه الشركة الجديدة ربحاً راوح بين ٣٠ و٤٠ مليون دولار خلال مدة امتدت بين خمس سنوات وعشر سنين.

الآن ترفض لوسيل بول ان تلتقط لها اي صورة، فقد اجهدتها ثلاثون سنة من العمل الشاق. تقول: "لقد عرفني الناس كلوسي، ولا أريد لهذه الشخصية ان تتغير." وترتسم على وجهها امارات الحزن عندما تتكلم: "كان في وسعي ان استمر في التمثيل. فقبل اعتزالي عام ١٩٧٤ كانت نسبة مشاهدي برنامجي "ها هي لوسي" عالية وطلب مني ان أوقع عقداً لخمس سنوات اخرى. لكنها سخرية. لقد كبرت لوسي ولم يعد من الممكن ان تستمر... اما الآن فانني افتقد هذا الدور كما افتقد النهوض باكراً لأذهب الى العمل."

وتقفز لوسي من مقعدها قائلة: "هذا كله مضيعة للوقت." وتدور في انحاء الغرفة بحثاً عن شيء ما. انها وضعت لحياتها مخططاً واعادت الى نفسها طمأنينتها. وافكر انا، قد لا تكون لوسيل بول هي لوسي، لكن لوسي ستبقى دائماً فخورة بصاحبتها.

■ لين هيرشبرغ



رائد فنان

اعتزل رائد الفضاء الامريكي آلان بين، أحد ملاحي "أبولو ـ ١٢" ورابع انسان يطأ سطح القمر، مهنته الاولى في وكالة الطيران والفضاء الامريكية ليصبح رساماً للمناظر الفضائية. وهو يقول في ذلك: "أنا الوحيد بين رسامي المناظر القمرية الذي شاهد القمر بأم عينه. وذات مرة نظرت الى الارض من عل وقلت: "يا الله، كم هي جميلة." ومنذ ذلك الحين قررت استخدام مواهبي الفنية."

صحيفة "الناس"

مصالح مشتركة

كان كاتب برنامج تلفزيوني شهير يستعد لحفلة زفاف ابنه. ووجد صدوعاً في سقف غرفة الاستقبال، فخابر احدى الشركات المختصة راجياً الاسراع في العمل. وسأله موظف الشركة: "ألست انت مؤلف "لص" في داري" الذي يعرض حالياً على شاشة التلفزيون؟".

ـ أجل، انا هو.

"اذا اخبرتني بمصير البطل، أرسلت فنيي الشركة فوراً لتلبية طلبك."

وكان ان وفى كل بوعده.

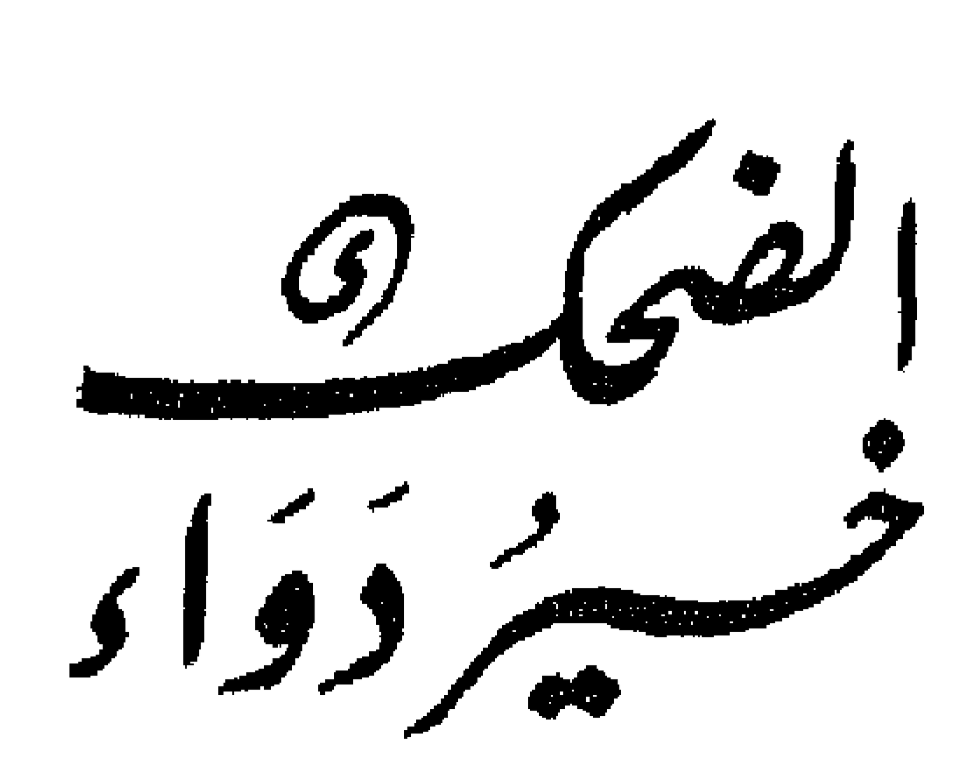
ب.م.د.

وان غداً لناظره قريب

فيما الوالد الشاب يغادر المستشفى ومعه زوجته وطفلهما الأول، سأل الطبيب: "أي ساعة يحسن ان نوقظه صباحاً؟"

ا.هـ.





متشردان

قبض على رجلين بتهمة التشرد، وسئل أحدهما: "أين تعيش؟" فقال: "ان عنواني هو كل مكان: السهول، الغابات، الجبال، الشاطىء..." واستدار القاضي نحو الآخر وسأله: "وأنت، أين تقيم؟"
فأجاب: "أنا جاره."

مجلة "العالم الضاحك"

"حسنات" التدخين

قالت امرأة لصديقها: "لقد أقلع صهري عن التدخين وباشر نظام حمية عن الطعام وخسر بعض وزنه الزائد." وظنا منها أن التخلي عن عادة سيئة لا يتم إلا باكتساب عادة اخرى سيئة، سألت الصديقة: "وماذا فعل عوض ذلك؟"
ـ حسنا... إن اختي حبلى الآن.

م.ن.

عاطفة على الرف

دخل زوجان من ذوي الدخل المحدود محلا للتبضع. وإذ كان عيد ميلاد الزوج وشيكا، تناولت الزوجة بطاقة تهنئة ووضعتها في السلة. ولما رأى الزوج ذلك أخذ البطاقة وفتحها وقرأ ما عليها. وشكر زوجته لعاطفتها نحوه ثم أعاد البطاقة الى مكانها على الرف.

ت.ا.

زواج زراعي

خطب مزارع فتاة من بيئة. ولما سئل عن موعد الزواج أجاب: "سيقرر لاحقا في وقت يقع بين موسم القمح وموسم الفول."

ب.غ.

أسرار ألاسكا

في ولاية ألاسكا الامريكية مناطق واسعة لم تبلغها خطوط الهاتف بعد. ويستطيع سكان تلك القفار تبلغ المخابرات وإرسالها عبر الراديو، وهي تقوم مقام الرسائل الشخصية العادية.
وذات مساء أذيعت الرسالة لآتية من صاحب متجر في المدينة الى مواطن: "عزيزي السيد جون سميث: لقد اشتريت من محلنا قفلا سريا ونسينا أن نعطيك الرقم الذي يمكن فتحه عليه انه ٠٥٤١٧"

م.د.ك.

مضيعة وقت

بعد اسبوعها الاول في المدرسة، قالت الفتاة الصغيرة لأمها: "اني اضيع وقتي هناك. فأنا لم أتعلم القراءة ولا الكتابة، ولا هم يدعونني أتكلم."

و.م.ف.

"انه مهرجان نيميغن،
أربعون كيلومتراً كل يوم
انه مهرجان نيميغن،
ونكمل المسيرة الى النهاية"

اغنية مهرجان نيميغن السيار

أولمبياد المشاة



قبل ساعة من انبلاج الفجر ينطلق حشد ضخم من الناس في موكب سيار يخرج من المدينة الجامعية الهولندية في نيميغن ماراً عبر الجسر الحديد الممتد فوق نهر فال. يحتشد هواة المشي من ٣٢ بلداً وبينهم مظليون ايطاليون ورجال أعمال يابانيون وطلاب بولونيون وكتبة مصارف قبارصة، فيمرون أمام الموظفين المختصين الذين يثقبون بطاقاتهم. وبعد ثلاث ساعات ينطلق آخر المشتركين الذين يبلغ عددهم ٢٢ ألفاً و٧٨٣ في الـ"فيرداغسي" أي مسيرة الايام الاربعة الدولية، في اختبار لقوة الاحتمال هو أضخم مهرجان مشي في أوروبا.

كل صيف، في الثلثاء الثالث من شهر يوليو/تموز (١) وطوال الايام الثلاثة التالية ينطلق هؤلاء بالتناوب شمالا وغرباً وشرقاً وجنوباً. ويشق طريقه المتلوية عبر مروج هولندا المخضلة. في الرابعة والربع صباحاً تبدأ الطليعة سيرها، وبحلول الخامسة مساء مع انتهاء هجير كل يوم تقفل فلول الحشد المتشرذم عائدة الى منطلقها. وتكرر المراسم المرهقة

---

(١) سيجرى مهرجان هذه السنة بين ١٧ و٢٠ يوليو (تموز).

يومياً: ٥٠ كيلومتراً للرجال بين التاسعة عشرة والتاسعة والاربعين من العمر، و٤٠ كيلومتراً للنساء بين السادسة عشرة والرابعة والخمسين وللصبيان بين السادسة عشرة والثامنة عشرة وللرجال بين الخمسين والرابعة والستين وللجنود الذين يحملون على ظهورهم حقائب يبلغ وزنها عشرة كيلوغرامات، و٣٠ كيلومترا للنساء اللواتي تجاوزن الخامسة والخمسين وللرجال الذين تجاوزوا الخامسة والستين وللاولاد دون الخامسة عشرة. ويقول العقيد طوني فان دونغن منظم المهرجان: "انه ليس سباقاً، بل هو مباراة بينك وبين نفسك."

أضحى المهرجان الآن في عامه الخامس والسبعين (٢). وخلال أسبوعه يتضخم عدد سكان نيميغن الـ١٥٠ ألفاً الى مليون نسمة بسبب تدفق الزوار من كل حدب وصوب لمشاهدة العروض والاحتفالات التي تقام في الشوارع. أما الغرف الـ١٠٠٠ في الفنادق فتحتجز قبل أشهر كما تزدحم مواقع المخيمات القريبة وتحول الابنية العامة مهاجع موقتة. ويستضيف نحو ٨٠٠ من السكان المحليين أعداداً من الوافدين في بيوتهم. كل هذا في سبيل مباراة لن يكون فيها فائز فرد.

تنظم الرابطة الملكية الهولندية للتربية البدنية هذا المهرجان وتقدم هدية من البرونز المذهب الى كل شخص يكمل برنامج الايام الاربعة في الوقت المحدد. في العام ١٩٨٣ تجشم ٢٢،٧٨٣ شخصاً مشاق السير وما يسببه من تقرح الاقدام وآلام العضلات واستنزاف سوائل الجسم والانهاك لخوض هذه المباراة. ولم يخفق في نيل الجائزة المنشودة سوى ١٧٤٧ مشتركاً.

أقيم المهرجان الاول من هذا النوع عام ١٩٠٩، وكانت الفكرة الاساسية اختبار قدرة الجنود المشاة على الاحتمال. وبقي طوال سنوات تسيارا عسكرياً. ولكن في العام ١٩٢٥ اكتشف الهولنديون ان مهرجان نيميغن هو حلم هواة المشي. ويقول العقيد فان دونغن: "ضمن دائرة شعاعها ٣٠ كيلومتراً توجد هضاب وغابات وثلاثة انهر وقنوات وبرار مترامية الاطراف."

أصبح هذا المهرجان حدثاً رياضياً وطنياً. وحين أقيمت الالعاب الاولمبية في أمستردام عام ١٩٢٨ شارك فيه عدد من الاجانب كاف لتحويله حدثاً رياضياً دولياً. والآن في امكان أي هاوي مشي قادر على السير أن يكمل مسيرة الايام الاربعة مرة واحدة على الاقل في حياته.

اليوم الأول – بعدما عزمت على الاشتراك في مهرجان ١٩٨٣ ذهبت أستطلع آراء الخبراء. فالرابطة الملكية تحض جميع المشتركين على اجراء فحص طبي شامل والامتناع عن المشاركة من دون تمرين كاف. وقد سار رجل اعمال بلجيكي، استعداداً للمباراة، مسافة ٢٠٠ كيلومتر من بلدته قرب بروكسل (بلجيكا) الى نيميغن. ولكي احظى بالكلمة الفصل

(٢) لم تجر مباريات في العامين ١٩١٤و١٩١٥ وبين ١٩٤٠و١٩٤٥.

في الاجراءات، تحدثت مع البطلة ميز كلافر البالغة من العمر ٧٦ سنة والتي شاركت في ٤٨ مسيرة وتحتفظ بالرقم القياسي في أقدمية المشاركة في مهرجان الايام الاربعة.

قالت لي السيدة كلافر التي تقدر أنها قطعت مسافة تناهز ضعفي محيط الكرة الارضية: "امش بخفة. يجب ان يكون خطوك خفيفاً كمشي النمر. عندما أرى المشاركين يخبطون الارض أجزم أن أقدامهم ستتقرح وعضلاتهم ستتشنج." عندما تحدد السيدة كلافر نمط خطوها تلتزمه بعد ذلك وتتوقف كل ساعتين في استراحات قصيرة.

وأضافت: "الحمية أيضاً مهمة." ففي كل يوم من أيام السير تتناول السيدة كلافر فطوراً مؤلفاً من الخبز والجبن وبيضة مسلوقة. وتتزود للطريق ببيضة مسلوقة وليمونة مقطعة أربعة اجزاء وشرائح من الخيار والبندورة (الطماطم). قالت لي: "الطعام الوحيد الذي اتناوله على الطريق عندما يكون الطقس بارداً هو قطعتان من السكر."

تسلحت بهذه النصائح وانضممت الى المشاركين الوافدين من أماكن قصية مثل فنلندا والمغرب وجامايكا واليابان. كانت فرقة سويسرية تعزف لحناً عندما انطلقنا في رتل عرضه عشرة أشخاص. وسرنا في وقع منتظم عبر مدينة بيمل الصغيرة ميممين شمالا شطر مدينة آرنهيم. كانت الساعة القائمة فوق برج كنيسة سان دوناتوس في الساحة العامة دقت السادسة والنصف تماماً. لكن سكان المدينة كانوا خرجوا لمشاهدة المشاركين. وتبعثر المشاة لتناول وجبة سريعة من السمك المملح او المدخن أو شطائر متنوعة في المطاعم النقالة.

وكان الخبراء أنذروني بأن هذا اليوم الاول يصفي أولئك الذين ما كان يجدر بهم أن يشتركوا أصلا. وانهم لعلى حق. فبعد مسيرة ٢٠ كيلومترا حين أخذنا نطرق الضفة الجنوبية لنهر الراين كان فريقنا يسير بسرعة نشيطة تبلغ ٧ كيلومترات في الساعة، وكان هذا مرهقاً جداً لغير المدربين. وأخذت الاحذية تنهش الاقدام والالم يعض الكواحل، وبدأ المتبارون يتخلفون عن الموكب واحداً بعد آخر على جانبي الطريق. ولم نكن وصلنا بعد الى منتصف الطريق في أيلست حين تخلى عن السير معظم الـ٣٤٢١ مشاركاً الذين لم يكن لهم أن يكملوا مسيرة اليوم الاول.

التلال السبع — بعض سحر هذا المهرجان يكمن في طريقة تخطيطه. ففي بداءة كل يوم ينطلق الناس في نيميغن جنباً الى جنب، صغاراً وكهولا، رجالا ونساء، مدنيين وعسكريين. وبعد مسافة قصيرة يتفرقون في ثلاثة سبل مختلفة محددة المسافة. وفي النهاية يلتقي الجميع لاكمال الرحلة الاخيرة المتعبة نحو نقطة الانطلاق. قال أحد المشاركين الاسكوتلنديين وهو يرتدي التنورة التقليدية ويحمل المزامير الاسكوتلندية ذات الجراب: "عندما تتشتت الجيوش وتذهب النساء في

طريقهن تشعر بالألم. ثم يأخذك العجب في ما أنت صانع هنا. وفجأة يتلاقى الجميع ويبدو لك أن الامر كله يستحق هذا العناء."

ما ان نعبر خط النهاية حتى يحين وقت الكشف على ما أصبت به من أضرار خلال اليوم. فواحد من كل عشرة أشخاص يحتاج الى معالجة قدم متقرحة. قال لي طبيب هولندي شاب ملحق بعيادة الرابطة الملكية في نيميغن: "يأتوننا مصابين بالقروح من أعقاب أقدامهم حتى رؤوس أصابعها. فنعالجهم، بيد أننا نعرف أن العديد من تلك الاقدام لن تتحمل ٤٠ كيلومتراً أخرى."

وعلى رغم قروح الاقدام فان مسيرة الايام الاربعة تتيح لك حقاً أن تمتع نفسك. فالاحتفالات وفيرة جداً. في نهاية اليوم الاول تحلق طائرات مزدوجة الاجنحة في دورات متداخلة فوق رؤوس الجماهير ويهبط الغطاسون من الجو على المواقع المحددة في نهر فال. وتتفجر الاسهم النارية في دفق من كل لون. وفي يومي الثاني أقيم احتفال كبير. وحين كنا نسير في شوارع فيخن المرصوفة بالحجار في الساعة التاسعة صباحاً كانت الفرق الموسيقية تعزف والبالونات الملونة تطير فوق سطوح المنازل والفتيات الجميلات يحيين الجنود العابرين. كذلك تتوافر كميات من المرطبات في الخيام التي تقام في مروج القرى.

قال توموكازو كانيكو بحماسة وهو يقود ٣٤ مشتركاً من الفريق الياباني في منظرهم البهيج ببزاتهم الرياضية الزرقاء وقبعاتهم البيضاء: "هذا المهرجان فريد في بابه. كل امرىء يشعر بالالم، لكن ثمة سعادة في كل مكان." وكانيكو هو ناشر في التاسعة والستين من العمر شارك في مسيرة الايام الاربعة قبل سبع سنوات ودأب منذ ذلك الوقت على القيام بمسيرات أيام ثلاثة شبيهة بها في اليابان. وهو يقول: "ان المشي رياضة يمكن كل فرد تقريباً ان يمارسها. وهذا أولمبياد لهواة المشي."

ولكن لم يكن جميع المشاركين مثله مبتهجين. واضطر ٧٩٠ منهم الى التخلف في اليوم الثاني، معظمهم قهرتهم قروح الاقدام.

وفي نيميغن تكون الاحتفالات بدأت. ثمة فرق موسيقية تعزف الروك والجاز وتتسابق لتجد فسحة في الساحات والشوارع الضيقة. وتغرق المطاعم والمقاصف في طوفان من الحياة الصاخبة. ولكن قرابة الحادية عشرة ليلا يكون الجميع عادوا يسحبون أقدامهم المتعبة الى مهاجعهم طلباً للراحة واستعداداً للاختبار النهائي في المهرجان وهو طريق التلال السبع.

في اليوم الثالث تخفق الاعلام فوق المطاحن الهوائية العتيقة في غروسبيك حين نهبط الى المدينة استعداداً للخروج منها وتسلق أولى التلال. كانت الحرارة ٢٨ درجة مئوية في شمس الهاجرة وكان تلاميذ المدارس يوزعون حواجب شمسية من البلاستيك لوقاية العيون.

في منتصف الطريق فوق التلة بدأ عناء التسلق يعض عضلات السيقان،

فتجاوزني آد هنسنغ وهو هولندي مرح في عقده الخامس. وكان يظن انه لن يحتمل أبداً مشقة هذه المسيرة. فهو كفيف البصر منذ الولادة ويرافقه ابن اخيه اليافع.

من الغريب ان لهذه التلال السبع تأثيراً منشطاً. قالت أنيليز باخ - لاورسن وهي دنماركية جميلة في الثلاثينات ومشاركة قديمة في المسيرة: "انها لا شك أشق، لكن الانتقال من الارض المنبسطة يدفعك الى الامام بسرعة أكبر." وهي على حق. فقبل أن تبلغ التلال كان وسط موكبنا يمشي بسرعة خمسة كيلومترات في الساعة، اما الآن فيبدو كأننا نستجمع سرعة متزايدة كالعجلة المنزلقة تدفعنا صعداً في السفح التالي. ومع ذلك أسقطت التلال ٣٧٤ مشاركاً آخرين.

فرحة الانتصار - ٣١ ألفاً و٢٧٧ متبارياً انطلقوا في مسيرة اليوم الأخير، وكانت المسألة هي الاستمرار حتى النهاية مهما كلف الامر. المرحلة العظيمة جنوباً حملت الموكب الضخم عبر نهر ماس قرب نيديراسيلت ومن ثم شرقاً نحو بلدة كيويك قبل الاياب الى نيميغن.

بلدة كيويك هي أعلى نقطة تلوح في الافق ويحدد برجا كنيستها خط الانكفاء في طريق الاياب. في ذلك الوقت لم يكن للبلدة جسر فوق نهر ماس فعمد الجيش الهولندي في الليلة السابقة الى انشاء جسر عائم يمتد ١٥٠ متراً عبر النهر. ومنذ السابعة والربع صباحاً وطوال خمس ساعات ونصف ساعة تدفقت الجموع اللاهثة في رتل غير منقطع عرضه عشرة اشخاص.

ما ان أصبح خط النهاية ضمن مرمى النظر حتى تملكت الفيلق المتقدم موجة عارمة من النشاط، واغرقت الموسيقى المدوية من مختلف انواع الآلات حداء الزاحفين الأجش وهم يجدون السير على ضفة نهر ماس. وكان أسطول صغير من الزوارق والقوارب والاطواف فوق مياه النهر يطلق الصفارات لتختلط بهذه المعزوفة المدهشة.

كل قرية في طريقنا أخرجت لنا ترحاباً خاصاً. وخصتنا بلدة موك، وهي الواحة الاخيرة قبل وصولنا الى نيميغن، بمفاجأة مميزة. كان في وسط الشارع الضيق نافورة ماء رشاشة متصلة بأنبوب لري احدى الحدائق، فأغدقت علينا ترحاباً بارداً بلل جميع المتبارين، لكن أياً منهم لم يأبه لذلك أو يتأخر خطوة واحدة.

وعلى مدى الكيلومترات الخمسة الاخيرة عبر الضواحي الجنوبية وحتى خط النهاية في ساحة كايزر كاريل في نيميغن احتشد أكثر من ربع مليون شخص لمشاهدة العرض. كانت أزهار ندية أرسلت من أنحاء هولندا لتقديم باقة لكل متبار يعبر حدود المدينة. ووسط تصفيق الجماهير دخلت سريتان من الشبان اللندنيين في لباسهم الازرق الرسمي وقبعاتهم المقببة التي اعتمروها طوال المسير. وكانت الفرقة اليابانية ترتدي سترات لازوردية فوق بزات رياضية وقد انحنى افرادها احتراماً أمام المنصة

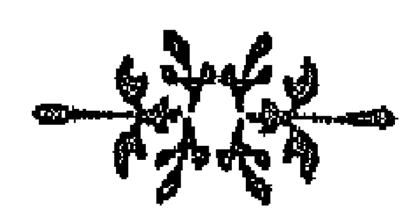
الملكية. ومر أربعة من الالمان قفزاً أمام سرداق العرض كما قطع دنماركي وحيد الامتار الخمسين الاخيرة سائراً على راحتيه.

لدى انتهاء المسيرة في الخامسة مساء سجل رقم قياسي جديد بعبور ٢١ ألفاً و٣٦ مشاركاً خط النهاية واستحقوا جميعاً الهدايا البرونزية المذهبة. واحتفل الجميع بانتصارهم في الشارع العام. وحين هبط الظلام أقيمت عشرات الحفلات الخاصة المرتجلة بينما حاصر المطاعم والمقاهي وحوانيت الارصفة بحر طام من المحتفلين الجائعين الظامئين.

لكن أجمل تعبير عن الرضا نطق به اكبر المتبارين سناً وهو رجل في الثامنة والثمانين يدعى جان رويب فقال: "سأعود في السنة المقبلة وسأواصل المشاركة في هذه المسيرة ما دامت ساقاي تحملانني."

وأنا أقدر تماماً حقيقة شعوره.

■ بول مارتن



امتحان الفلسفة

في صف فلسفة جامعي جاء الامتحان الاول يطلب الاجابة عن ستة اسئلة تتناول تطبيق المبادىء الفلسفية على مواقف الحياة اليومية. وانتهى الوقت المحدد من غير أن يتمكن عدد كبير من الطلاب من الاجابة. فطلب منهم الاستاذ اضافة جملة اخيرة هي التي تقرر علامة كل منهم.

وعلى رغم ان أحد الطلاب لم يكمل سوى مقدار النصف من امتحانه، فان جملته الاخيرة رفعت علامته على نحو ملحوظ، وهي الآتية: "إياك أن تدفع فيلسوفاً على العجلة."

ا.س.

دواء لتكسير الصحون

قالت المرأة لطبيبها وهي تبكي بمرارة ان زواجها يكاد ينهار. وأضافت: "لقد كان مجنوناً بي في الفترة الاولى من زواجنا. فكان يحملني من خصري ويرقص بي في أرجاء المنزل ثم يلقيني على الطاولة ويقبلني. أما اليوم فلم يبق لنا شيء من هذا."

فاعرب لها الطبيب عن اسفه لحالها، وأعطاها حبوباً وقال: "ضعيها لزوجك في قهوة الصباح، وهي كفيلة بحل مشاكلك. ثم أخبريني ما يحصل."

وبعد اسبوع اكتشف الطبيب، لهوله، أنه أعطى المرأة حبوباً لزيادة النشاط ثلاثة أضعاف. لكن رعبه زال سريعاً لدى رؤيتها تدخل عيادته وهي طافحة بشراً وتقول: "انه دواء رائع! لقد أعاد الينا عهدنا الاول من الحماسة والمغازلة والرقص من زاوية الى أخرى وتكسير صحون... انه حقاً عظيم."

وسر الطبيب لما سمع، لكنه شعر بمسؤوليته تجاه الاواني المطبخية، فسأل المرأة: "أتسمحين لي بأن اعوض عليك ثمن الصحون؟"

ـ كلا! كلا... فأنا متأكدة من انهم لن يسمحوا لنا بدخول ذلك المطعم مرة اخرى.

ا.م.غ.

حبّ الحياة



سألني احدهم يوماً: "لو ملكت ان تعيشي حياتك ثانية، فهل كنت تغيرين شيئاً فيها؟"

وللحال اجبت بالنفي الجازم. لكنني بدأت افكر...

لو قدر لي ان اعيش حياتي ثانية لتكلمت اقل واصغيت اكثر.

لدعوت اصدقائي الى العشاء حتى وان تكن السجادة بالية والاريكة قديمة وقد بهت لونها.

لأكلت المقبلات في حجرة الجلوس ولم اكترث للغبار والاوساخ كلما اوقد احدهم النار في المدفأة.

لاصغيت الى جدي وهو يستعيد ذكريات شبابه.

لما اصررت على اغلاق نوافذ السيارة في يوم صيف لمجرد ان شعري مصفف.

لأضأت الشمعة الوردية وتركتها تذوي حتى النهاية، عوضاً عن تركها تذوب ضجراً في الخزانة.

لجلست واولادي في الحقول على بساط الطبيعة من دون ان اخشى اتساخ ثوبي.

لبكيت وضحكت اقل امام التلفزيون... واكثر امام الواقع الحياتي.

لشاركت زوجي اكثر في المسؤوليات الحياتية.

لرقدت في الفراش حال شعوري بالمرض، عوضاً عن الادعاء ان العالم سيتوقف اذا تغيبت يوماً واحداً.

وبدلا من ان اتمنى انقضاء اشهر الحمل التسعة لاعتززت بكل دقيقة منها وادركت ان الشيء الرائع الذي ينمو في احشائي هو فرصتي الوحيدة في الحياة لمشاركة الله في تحقيق معجزة.

ومتى قبلني ابني بحنان لما زجرته قائلة: "دعك من هذا الآن. اذهب واغتسل قبل العشاء".

لارتسمت على شفتي كلمات مثل "احبك" و"آسفة" مرات ومرات اكثر. ولكن قبل اي امر آخر، اذا ما اعطيت فرصة اعادة النظر في حياتي وعيشها على نحو آخر، لالتقطت كل لحظة... وتأملتها ورأيتها فعلا... وعشتها حقاً... ولم اتراجع عنها ابداً.

■ ارما بومبيك

يسخر صغار العالم الفقراء في أعمال خطرة ويباعون في سوق النخاسة، فهل من أمل في انقاذ هؤلاء الاطفال العمال؟

أطفال في سُوق الرقيق

● رامبي فتاة في الرابعة عشرة اجبرتها والدتها في مقابل ٢٠٠٠ باهت (مئة دولار) على العمل سنة واحدة في مصنع خيطان في بانكوك، امضت المراهقة ايامها سجينة غرفة مظلمة حارة مع ثلاث عشرة فتاة مراهقة مثلها، وكان عليها ان تعمل عشر ساعات يومياً ستة ايام في الاسبوع.

كانت تركل او تضرب بالعصا عندما تتكاسل، واخيراً هربت رامبي، وهي تتذكر ايامها القاسية تلك "لم يكن لدينا طعام كاف، وكنا ننام على الارض القاسية، واحتملت تلك الحياة، لكنني لم احتمل الضرب الجسدي".

● كان على الصغير بانياك العمل

يدان عاملتان في اندونيسيا

Patrick Frilet/ Sipa Black Star

من دون مقابل فترة ثلاثة اشهر في مصنع بالقرب من مدينة دلهي في الهند ليحصل على عمل ذي مدخول كبير وطعام ومأوى في العراق. وامتدت فترة التجربة من ثلاثة اشهر الى اربع سنوات من العمل القاسي المضني مع غذاء قليل ومن دون اجر. وذات يوم سحقت آلة في المصنع ساق بانياك اليمنى فعاد الى بيته كسيحاً هزيلا. ويبلغ بانياك الرابعة عشرة من عمره ويعرف انه عبء ثقيل على عائلته ويقول: "ليتني مت جوعاً."

تسمع صرخات الاطفال الكادحين في جميع انحاء العالم. وتقدر منظمة العمل الدولية ان نحو ٧٥ مليون طفل بين الثامنة والخامسة عشرة ينتمون الى القوى العاملة في العالم النامي. والارقام العالمية هي اكثر من ذلك. ويعمل الاطفال عادة في ظروف تنطوي على اخطار جمة، فيلمسون مواد كيميائية سامة ويتنشقون ابخرة سامة وينقلون الاثقال المفرطة. هم مرهقون ومجهدون،كما انهم سيئو التغذية وقليلو الاجر، هذا اذا تقاضوا اجراً. ويخاطر العديد منهم بسلامته الجسدية والعقلية.

ومع ان بلداناً عدة سنت قوانين تمنع استخدام الاولاد واساءة معاملتهم، فان منظمة العمل الدولية تصرح ان "لا مجال للتفاؤل" بأن ازمة الاطفال ستحل في المستقبل القريب. وهذه الخلاصة تنبع من حقيقة واحدة لا يمكن تجاهلها: ان عائلات معظم الاطفال العاملين تتكل على عملهم لتأمين معيشتهم. اما في المجتمعات الزراعية فينتظر من الاطفال ان يرافقوا اباءهم وامهاتهم الى الحقول حالما يتمكنون من المشي. كذلك في المجتمعات الصناعية حيث الاحوال غالباً تتساوى في الكلاحة. ويقول لويز باسكول مارا من المؤسسة الوطنية البرازيلية لرعاية الطفل: "منذ بدء النهضة الصناعية شهدنا هجرة هائلة من المناطق الريفية. لكن المدن لا تزال غير قادرة على استيعاب تلك الهجرة. فكانت النتيجة تزايد الفقر واضطرار العائلات الى الاعتماد على جهود جميع افرادها."

ولان عمل الاولاد يعني عملا رخيصاً، فان الاولاد غالباً ما يكونون الاولى بالاستخدام في الانظمة الاقتصادية المتدهورة. ولقد اعترف مدير مصنع نسيج في اسطنبول من دون تردد او ندم بان ٧٠ في المئة من مستخدميه هم من الاولاد الذين تراوح اعمارهم بين ١٥ و١٧ سنة ويقول: "انهم يؤمنون انتاجاً مساوياً لانتاج البالغين ويتقاضون جزءاً ضئيلا من الاجر."

اطفال في العبودية ـ يمضي اطفال هاييتي معظم ساعات النهار في جلب الماء، ويكسبون الاجر الزهيد عن يوم العمل. ويتقاضى اطفال المكسيك نحو ٥٠ سنتاً في اليوم عن اعمال مختلفة، مع ان متوسط الاجر اليومي القانوني يزيد على ثلاثة دولارات. ويتقاضى اكثر من ٤٠ الف طفل هندي يعملون في توضيب المفرقعات وتغليفها نحو ٧٠ سنتاً كأجر يومي، بينما يربح ارباب العمل ٣٢ مليون دولار في السنة.

حتى الدول المتقدمة كالمانيا الغربية وايطاليا ليستا محصنتين ضد عمل الاطفال. والارقام الرسمية تكشف اللثام عن اكثر من ٣٠٠ مخالفة لقوانين عمل الاطفال منذ ١٩٨٠ في بافاريا وحدها. لكن الارقام غير الرسمية هي اكبر بكثير. وفي ايطاليا نحو ١٠ في المئة من مجموع الاولاد بين السن ١٠ و١٥ يعملون بعض الوقت.

والاولاد، بالطبع، لا يمكنهم التجمع او الاحتجاج لدى السلطات الرسمية عندما يرهقون بالعمل او يتقاضون الاجور الزهيدة. قلة منهم يعرفون حقوقهم القانونية ويستفهمون عن كسبهم الضئيل او حالات عملهم الرهيبة والاليمة. معظمهم شاكرون لانهم يعملون.

وفي آسيا وجزر الباسيفيك يعمل الاولاد لساعات عدة. ينامون على بلاط المصنع ويقتاتون بالغذاء القليل. يقول مدير رابطة الاسكان وتنمية البيئة في تايلند ميكاي فيرافاديا: "كأننا نجاور العبودية عندما نحبس الاطفال من دون انارة كافية او تغذية وافية، وليس هناك من يهتم بحالهم الصحية." واحياناً يدمغ العمال الهنود الصغار بقضيب حديد حام اذا اخلوا بالتعليمات. كذلك يصب الحامض الخارق (الاسيد) في تاي على وجوه بنات الهوى المراهقات لتأديبهن. ولا يوجد معين لالوف الاطفال العمال من امريكا الجنوبية وجزر الكاريبي وافريقيا الذين يعملون كخدم في المنازل، عندما يرهقون بالعمل او يضربون او يغتصبون وتنتهك اعراضهم. ويقول مسؤول في جمعية رعاية الطفل في كينيا: "لن نفعل الا القليل لحماية الاطفال المعذبين ان لم نعرف بهم نحن او تعرف بهم الشرطة."

وقد تكون ظروف العمل خطرة على رغم عدل رب العمل.

يحصد اطفال امريكا الوسطى محاصيل الحقول المرشوشة بمبيدات الحشرات او الجرذان او الطحالب. ويحشر اطفال كولومبيا في اضيق مهاوي مناجم الفحم الحجري، ويكدح اطفال تاي في مصانع من دون تهوئة وهم يعملون في صناعة الزجاج حيث تبلغ الحرارة ١٥٠٠ درجة مئوية. ويتنشق الوف من اطفال الهند كميات كبيرة من كلورات البوتاسيوم والكبريت. ويتنشق عمال الزجاج الصغار في البرازيل السيليكون السام وابخرة الزرنيخ مما يسبب لديهم امراضاً تنفسية.

واحياناً يكون العطب الجسدي دائماً. اما البرازيليون والكولومبيون والمصريون الذين يعملون في ورشات القرميد فغالباً ما يعانون عطباً في العمود الفقري من جراء رفع الاحمال الثقيلة. والاطفال الذين يعملون ساعات طويلة في المصانع في انحاء العالم غالباً ما يبلغون سن المراهقة وهم مصابون بعاهات دائمة في الاطراف. والالوف منهم لا يعيشون ليبلغوا سن المراهقة. وان سلامة احوال العمل في بعض مصانع الهند مهملة الى حد ان العديد من الاطفال العمال ماتوا من حرائق التيار الكهربائي والانفجارات الكيميائية.



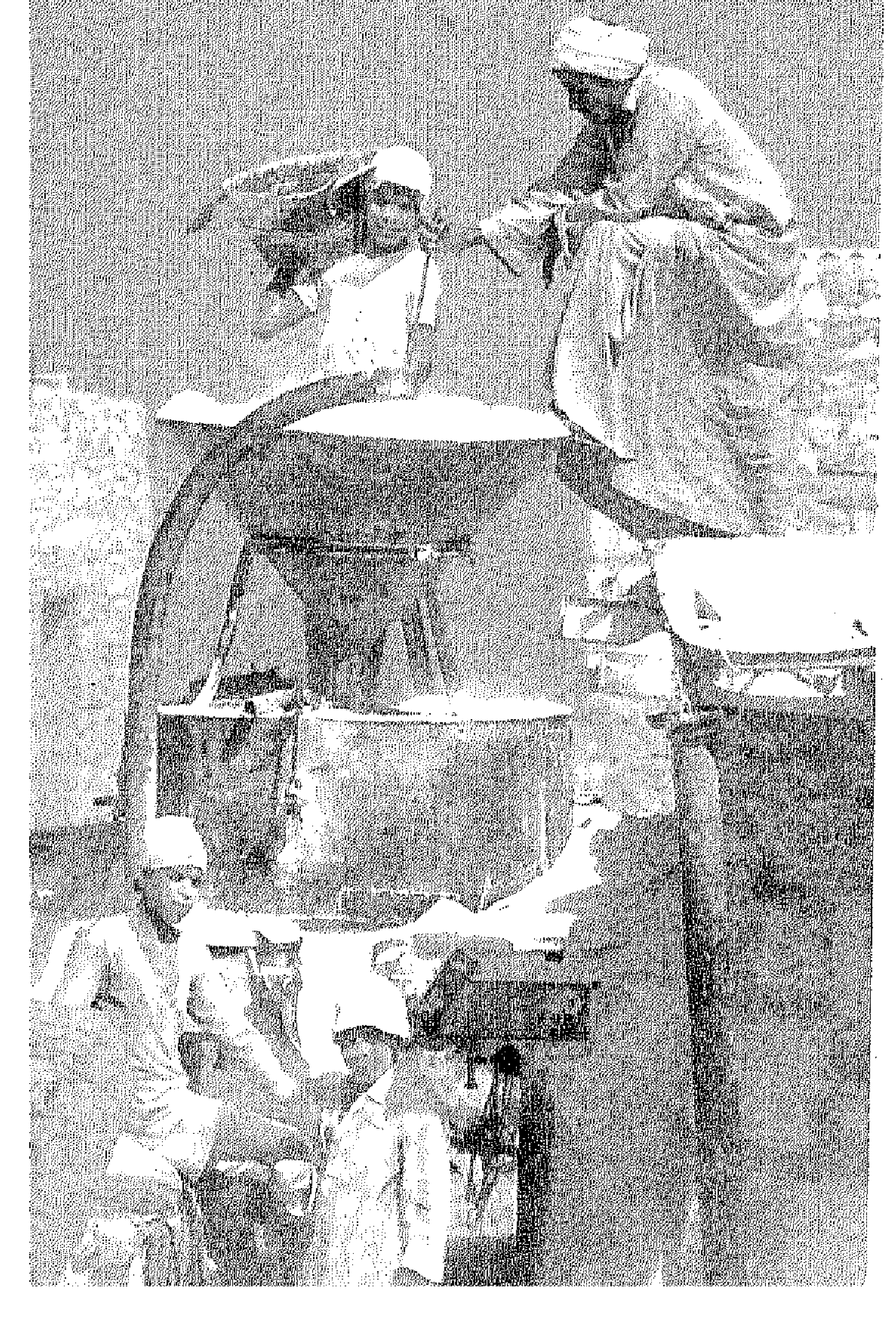
وقد سنت قوانين لحماية الطفولة من الاخطار الناجمة عن بعض المهن، لكنها نادراً ما تطبق. وفي القطاع الزراعي حيث يستخدم العدد الاكبر من الاطفال في البلدان النامية والصناعية، هناك صعوبات خاصة في المراقبة، ويتعذر على المراقبين ان يفعلوا الا القليل لتلطيف اعباء العمل التي يرزح تحتها الاطفال في المزارع الكبيرة او الصغيرة.

أطفال للبيع - يعمل افراد عائلة سانتوس الاثنا عشر جميعهم، من سفارينو (٥٠ سنة) الى ماريا (٨ سنوات). ينهضون في الثالثة صباحاً ويتوجهون فوراً الى العمل. جميعهم يتحملون مسؤوليات معينة. بعضهم يخلط الصلصال (الطين) بالماء وبعضهم يحضر القرميد ويخبزه ويفرغه. ويرتكز مدخول العائلة في البرازيل على مجموعة عدد القرميدات المنتجة، لذلك يتحتم على ماريا ان تعمل اذا رغبت العائلة في دخل شهري يساوي ١١٠ دولارات، على رغم ان القانون البرازيلي يمنع تشغيل الاطفال الذين هم في عمرها. لكن سافارينو لا يرى اي ضيم في عمل اطفاله، ويقول: "انهم يتعلمون





كثيراً ما يشغّل الاطفال كالدواب٠
هنا أطفال يحملون حجار
القرميد ويكدسونها في كولومبيا٠



مقلع حجار كلس
في مصر. استغلال غير مشروط٠

John Launois/ Black Star

صنعة تؤهلهم لكسب قوتهم في المستقبل، كما انهم منهمكون بدلا من التسكع في الجوار من دون عمل."

ويبدو غالباً ان الاهالي هم اقسى المراقبين في العمل. ولا يزال الآباء الهنود احياناً يسددون دينهم ببيع اولاهم رقيقاً في سوق العمل. ويشوه بعض الآباء الباكستانيين اولادهم ليجعلوا منهم شحاذين. وتقول ماريا نوغيرا كوتشو الباحثة الاجتماعية البرازيلية: "من غير المعقول ان تعترض العائلة على استغلال اطفالها هكذا وهذا هو الاسوأ."

والجروح الجسدية ليست العذاب الوحيد الذي يعانيه الاطفال العمال. وقد انذر الدكتور هالوك يافوتزر من تركيا، وهو عالم نفساني للاطفال، قائلا: "ان الاطفال العمال ينمون عاهات نفسانية، ويعانون القلق والحصر النفسي والاجهاد. ولقد برزت هذه الفكرة قبل سنوات (١٩٧٦) في مدينة آلتامورا جنوب ايطاليا، عندما انتحر ولد صغير باعه والداه في السوق في مقابل بعض المال والطعام. وقد حفز انتحاره المسؤولين في المنطقة على حظر تلك العادة المتبعة، لكن السلطات القضائية الايطالية والاتحادات العمالية تصر على استمرار بيع الاطفال سراً.

بعض أمل – تؤكد منظمة العمل الدولية ان الاطفال يتألمون كثيراً عندما يجبرون على القيام بدور "الكبار – الصغار". ويقول تقرير صادر عن المنظمة: "ان طاقة الطفل الابداعية ومقدرته على السمو فوق الحقيقة تتبلدان، وجميع قواه العقلية تسلب. ويتعلم العامل الصغير في البرازيل خصائص العمل في المزرعة في سن مبكرة. ويقول جيرالدو مولر استاذ الاقتصاد في جامعة "بونتيفيكال في سان باولو: "لا يعرف الصغير كيف يلعب، لانه يعمل عشر ساعات في اليوم ويدخن ولا يملك ما يكفي لطعامه. لذلك يتناول شراب الرم المسكر ليتمكن من المضي في عمله."

وفي اتفاقية لمنظمة العمل الدولية عام ١٩٧٣ دعي الى ان تكون الخامسة عشرة السن الدنيا للعمل. وبعد عشر سنين هناك ٢٧ دولة من اصل ١٥٠ صدقت الاتفاقية. وتحدد دول عدة سن العمل الدنيا بين ١٢ و١٦ سنة. لكن منظمة العمل الدولية تنبه الى ان قلة من الدول تمنع ما يمكن ان يعتبر اعمالا خطرة للاولاد الصغار. بضع دول فقط وضعت قوانين رادعة لحماية الطفولة من الاخطار المعنوية والاخلاقية. واضافة الى ذلك فالمسؤولون في البلدان ذات القوانين المتحجرة يغمضون اعينهم عن افظع المساوىء والمظالم. ففي الهند كان الدستور يمنع بوضوح استخدام الاطفال دون الرابعة عشرة في اي مصنع او منجم او في اعمال تنطوي على اخطار. ومع ذلك فان ١٦،٥ مليون طفل بين الخامسة والرابعة عشرة هم بين القوى العاملة في البلاد. فمن الواضح ان القوانين التشريعية ليست حلا.

ويقترح العديد من الخبراء ان التعليم الالزامي هو الحل لضبط عمل

الاطفال. لكن القوانين التربوية تبرهن عادة انه من السهل التهرب منها. فمع ان دولة ايطاليا تجبر الاولاد دون الخامسة عشرة على الذهاب الى المدرسة، فان ١١ في المئة من اولاد مدينة نابولي هم خارج المدرسة. ويؤمن دستور كولومبيا حق العلم المجاني، ومع ذلك فهناك مدارس رسمية تتقاضى اجوراً غير شرعية. كما ان ٤٠ في المئة من الاولاد لا يكملون تعليمهم الابتدائي.

ومع ان فئة قليلة لا توافق على ان اليسير من العلم ضروري للاطفال العاملين اذا كانوا يرغبون في مستقبل افضل، فالسائد في المجتمعات الفقيرة ان الكسب المادي افضل من العلم. ومن النادر الآن ان نجد والداً مثل علي محمد علي ابو طالب، وهو شيخ امي يعمل في تنظيف المنازل في القاهرة ويرفض ان يسخر اولاده للكسب ويقول: "انا اخجل من نفسي لاني لا اعرف القراءة ولا الكتابة. ويثلج صدري ان اعرف ان اولادي يذهبون الى المدرسة وسيتخرجون ويحملون الشهادات مما يؤهلهم للجلوس بجانب رئيس الوزارة".

وتوافق وكالات الاغاثة على ان الغاء عمل الاطفال هدف لا يتحقق. ولكن هل هناك امل في تحسين حياة الاطفال العمال؟

يقترح جايمس غرانت المدير التنفيذي في منظمة الامم المتحدة للاطفال (اليونيسف) ان ابتكار برامج جديدة للعمل، كما هي الحال الآن في البرازيل، يقدم بعض الامل. يقول: "يعمل الاطفال بعض الوقت ويتناولون وجبة طعام مغذية ويذهبون بعض الوقت الى المدرسة. هذه البرامج تنقص عدد الاطفال المشردين في الشوارع وتسمح لهم بالانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب المسؤول."


لكن هذه البرامج، ويا للاسف، تحظى بموازنات ضئيلة في الوقت الحاضر وتساعد عدداً قليلا من الاطفال. اما الملايين الذين يناضلون يومياً من اجل البقاء فالمستقبل يبشرهم بامل ضعيف. ومع ذلك فان قلة من الاطفال العاملين يتساءلون عن مصير حياتهم، ولا يعلمون انهم مخولون لما هو افضل.

■ جيل سمولوي

أحلام كوغلان

في العام ١٩٨١ قرر بطل الركض الايرلندي ايمون كوغلان كسر الرقم القياسي لسباق الـ١٦٠٠ متر الذي سجله في مباراة سابقة. ونشرت صحيفة محلية مقالا حول ذلك بعنوان: "من أحلام كوغلان". غير ان الاحلام تتحقق احياناً. وفي مارس (آذار) ١٩٨٣ تمكن كوغلان من تسجيل رقم قياسي جديد. وحين سُئل عن شعوره في مرحلة السباق الأخيرة قال: "خلال الأمتار القليلة الباقية ارتسمت في ذهني صورتان: صورة مدرّبي وصورة والدي، وكلاهما توفيا. وقطعت تلك المسافة وانا اقول: هذا لذكراكما ايها الصديقان."

مجلة "نيوزويك"



صمد الشاب الجريح
أربعين يوماً
في الوادي المنعزل
لا يقتات الا
بالطحالب والدمال

سجين الوادي

ز زحف العريف كارل بل الى ظل صخرة اتقاء لحر العصر. وأحست ألماً شديداً في كاحله الايمن وفي ذراعيه اللتين اخترق الشوك قروحهما.

كان ذلك في اليوم الثلاثين من شروده وسط واد ضيق، وهو لما يجد بعد منفذاً بين المرتفعات الصخرية. ومع كل محاولة يزداد وهنه حتى بات شبه عاجز عن الحراك.

وضرب نملة سوداء كبيرة على ذراعه، ثم وضعها في فمه. ومضغها على مهل ثم بصق قشرتها الرقيقة. وكان طعمها مرّاً، لكنه لا يثير الاشمئزاز. وبعد ذلك ضرب واحدة من نملات كثيرة على سرواله. ولم تمض دقائق حتى أكل عشرين نملة على الاقل.

وأحسّ بل وهو قابع وسط الأوساخ والأوراق المتساقطة أنه عبر الخط الفاصل بين الحياة والعيش المحض. وقال لنفسه: "افعل ما تشاء وما ينبغي فعله، فأنت صغير جداً على الموت."

ولم يشك بل في أن الباحثين عنه فقدوا الأمل، خصوصاً بعد عثورهم على شاحنته والقطيرة المتصلة بها على بعد ١٥ متراً من خزّان نهر بير وهما تحملان اسم وحدته العسكرية. وربما ظنوا أنه قضى غرقاً.

بدأ كل شيء صباح الثلثاء ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٣ خلال إجازة أخذها بل خارج ثكنة بندلتون بالقرب من سان دييغو (ولاية كاليفورنيا). وأنطلق من السدّ ومشى حوالي كيلومترين في اتجاه مجرى النهر على قمة عالية توازي نهر بير. ومع أنه كان في جبال سييرا الكاليفورنية، فقد ذكرته رائحة الصنوبر وذوبان ما بقي من ثلج الشتاء بمسقط رأسه ميشيغان.

وأفضت به القمة الى منحدر انزلق عنه الى أسفل. وانكسر عقب حذائه وتابع الانزلاق على غير هدى. وفي محاولته اتقاء السقوط جرح الصوّان الناتىء يده اليمنى. وبرزت صخرة في طريقه، فثبت قدمه فيها علّه يقف مكانه. لكنها رضت كاحله وبعثت الألم في جسمه. ومال الى جانبه وتابع سقوطه وهو رافع ذراعيه حتى استقر على جرف صخري اجتمعت فوقه الاوساخ.

وحاول بل الوقوف وقد اهتزّت أوصاله. إلا أن الألم في قدمه اليمنى منعه من ذلك. وغدا لون كاحله بلون الدم وانتفخ حتى ضعفي حجمه الطبيعي.

لا مخرج — وجد بل نفسه في واد ربما بلغ الكيلومترات الستة طولا والامتار الاربعمئة عرضاً، مع نهر يجري بقوة في أسفله وقد تخللته الصخور هنا وهناك.

وبينما هو يتأمل في ما حوله بردّ كاحله المكسور في الماء. ثمّ مزق قطعة من قميصه الداخلي الاخضر وعصب بها يده الجريحة.

وطوال الايام الثلاثة التالية بقي بل حيث سقط وهو يدرس احتمالات النجاة والانقاذ. لكنه، إذا حاول الصراخ، لن يستطيع رفع صوته فوق صوت النهر المتدفق على الصخور.

وكان متوقعاً أن يعود بل الى ثكنته يوم الأحد. وإذ لم يصل ذلك اليوم توقع أن يباشر المسؤولون التفتيش عنه وأن يهتدوا بشاحنته التي أوقفها عند السد.

وبلغت الحرارة نهاراً ٣٢ درجة مئوية مما جعل الوادي أشبه بالفرن. واستقر بل على ضفة النهر حيث الحرارة أقل. ولم يمكنه طول جسمه البالغ ١٨٥ سنتيمتراً ووزنه البالغ ٩٥ كيلوغراماً من الوقوف على كاحله المعطوب. ومما حبب الضفة إليه فكرة اجتياز النهر الى ناحيته الشمالية. وحمل عصا للاتكاء عليها ونزل الى القناة التي يبلغ عمق مائها خمسة أمتار. وسرعان ما شدّه التيار نحو الصخور التي ارتطمت بها رجله اليمنى.

وعاد الى الضفة الجنوبية حيث استراح يومين، قابعاً تحت أجمة مثل حيوان جريح. وخُيل إليه غير مرّة أنه يسمع أصواتاً بشرية. لكن ذلك لم يتعدّ حفيف الاوراق بفعل الريح. ولم يجد شيئاً صالحاً للأكل، ولا هو عثر على بقايا نار أوقدها إنسان مرّ في ذلك المكان قبله. ولفته الوحشة البغيضة من كلّ جانب.

ورأى ممراً طبيعياً بين الصخور الى يساره وراح يعرج نحوه وهو يرجو أن يفضي به الى القمة الصخرية. وإذ انقضى الأحد وجاء الاثنين وضع أمله في رفقائه وبحثهم عنه. ولكن من الخير له أن يبلغ القمة ليسهل عليهم رؤيته.

وظلّ يوماً بأكمله يمشي بمشقة حتى اعترضت طريقه صخرة عمودية. ونام نوماً عميقاً على أمل ادّخار جهده لاستكشاف المكان في الصباح الباكر والعصر الذي يسبق الغروب، حين يكون الجوّ أقلّ حرّاً.

قطعة حبل – في اليوم العاشر سمع بل أزيز طائرة مروحية، فانتصب على قدميه وراح يزعق بأعلى صوته قرب النهر. وكانت الطائرة ذات لون برتقالي فاتح وقد كتبت على جانبها عبارة "طائرة إنقاذ". وهي اخترقت الوادي من الشمال وباتت تحلق على علو منخفض عند وسطه. وشعر بل بفرح غامر، وقال: "أشكر الله، لقد نجوت."

غير أنه لم يصدّق عينيه وهو يرى الطائرة تعبر فوق رأسه وتغادر الوادي. لقد عجز الطيار عن رؤيته.

وطوال الايام التالية أصاخ بل السمع علّ طائرة الانقاذ تأتي من جديد. وجعل مكانه في جوف الوادي. ومن هناك كان ينطلق صعوداً في ممرّات منحرفة أفضت كلها الى صخور أو أدغال. وللمرّة الاولى أتاح لنفسه التفكير في أنّ أحداً لن يأتي لنجدته.

واستقرت عيناه على اخدود غير عميق يقطع جدار الوادي الجنوبي مثل إسفين، وفي طرفه الضيق صخر كبير. وعلى مسافة ١٥ متراً من الصخر انحرف الاخدود يساراً حتى اختفى وراء صخور اخرى.

وارتقى بل ذلك الجلمود وأكد لنفسه أن لا طريق تتفرّع منه. وانحنى فوق ظلّ هناك ليرى مصدره. ولكم كان فرحه كبيراً حين رأى لفة

حبل، الأمر الذي عنى له أن متسلقي الجبال طرقوا المكان قبله. وأرخى الحبل، فاذا به يبلغ الامتار العشرة طولا. وربط أحد طرفيه بحجر وحاول التسلق، لكنه ظل ينزلق. وإذ أضعفه الاجهاد، عاد أدراجه الى أسفل. وبعد عشرين يوماً من الصوم، هزل بل كثيراً وبدت ثيابه واسعة على وركيه وكتفيه.

وكان لابدّ من الاكل لئلا يموت. ولم يجد أمامه سوى العشب الذي راح يغسله في الماء ويقضمه. وصوّر لنفسه مطعماً فخماً من مطاعم ميشيغان حيث يؤتى إليه بأفخر الاسماك واللحوم.

لقد أحبّ بل عمله في البحرية. لكنه أحب بيته وعائلته أكثر. ولم يغب ذلك الواقع عن بال جدّته التي ربته مع شقيقيه وشقيقته بعد وفاة امه وترك أبيه البيت وهو في الخامسة. وآلمه أن يكون اختفاؤه الآن سبباً لحزن جدته.

وبانعامه النظر الى الجلمود في الايام القليلة التالية، شاهد صدعاً يبعد ستة أمتار عن يمينه وينتهي الى حدبة لا تلبث أن تنحدر يساراً. وإذا استطاع ارتقاء الحدبة بواسطة الحبل، فربما بلغ الناحية الاخرى.

وبعد ثلاث ساعات من العمل الشاق وصل الى الصدع. غير أنه لم يستطع تثبيت الحبل، إذ لم يجد مكاناً في الصخر لاقحام حجر أو قضيب. وظلّ يومين يحاول وقد سال عرقه ونزّت قروح ذراعيه وتشققت شفتاه. وما برح يأكل العشب والطحلب الصخري ليحافظ على أنفاسه. وفي النهاية سلم بالهزيمة، فانحدر واستسلم لنوم عميق.

وفي الصباح أفاق على صوت جديد. ونظر الى النهر ليرى مياهه انحسرت. وفي ساعة كان عبر النهر ليدرس إمكان اختراق الاجمة في أسفل مجراه. لكنه وجد ذلك مستحيلا.

وأمضى ليلته فوق حيد صخري، وراح في الصباح يجرّ جسده الهزيل ليعود من حيث أتى. وأحس الألم في كاحله من جديد. وأخذ يصلي الى الله عله يفتح أمامه طريق الخلاص. وكلما استراح كان ينهض بمشقة أكبر. وثبط الجوع عزمه، وغدا النمل طعامه بعدما وجد فيه عدوّاً.

الهرب – في اليوم التالي كان بل يمشي فوق تلة منخفضة حين أوقفه شيء في مكانه. وكان ذلك الشيء رزّة صدئة ذات خرم يولج فيه حبلا. ولم يكن طرف الرزّة مستدقاً بما فيه الكفاية، **أما خرمها فكان ممتازاً.** وقال بل لنفسه: "ثمة من يعينني." وأهمية الرزّة التي وجدها كبيرة، إذ يمكنه دقها في الصخور وربط الحبل من ناحية الخرم للتسلق.

ولكن ما أن سار في الاتجاه المعاكس ليقطع النهر من جديد ويأتي بالحبل حتى تجمدت أوصاله. فقد ارتفعت المياه مرة اخرى واشتد التيار. وانتابه اليأس، غير أنه لم يفكر قط في الاستسلام. فهو عقد العزم على النجاة. ولا بدّ من أن ينحسر النهر مرّة اخرى بعد ذوبان ما بقي من ثلج.

وانتظر على الضفة ودلى كاحله الى الماء ليخفف من انتفاخه·وكان النمل الاسود كثيراً حوله، فراح يلتهمه بالعشرات· وبعد أيام عاد الماء الى الانحسار، واستطاع بل أن يعود الى الضفة التي أتى منها·

وفي ضوء النهار وصل الحبل بالرزة وراح يرتقي الصدع مستخدماً يديه وقدميه وغير مكترث للألم·

ولما بلغ الجلمود تخير شقاً أقحم الرزّة فيه· وإذ تأكد من ثباتها، أخذ يتسلق حتى بلغ الرابية الصغيرة التي كان يسعى إليها· وأمضى الليل هناك، وفي الصباح واجه أدغالا كتلك التي خذلته سابقاً· لكنه انبطح هذه المرّة وهو يزحف تحت الاشجار· ومع الغروب كان قطع مسافة مئة متر·

وحين طلع النور أحس ألماً شديداً في صدره· واستلقى على ظهره وهو يخشى أن يكون ذلك الألمبادرة نوبة قلبية· وفجأة سمع أصواتاً، وكانت حقيقية هذه المرّة·

وصرخ: "النجدة! النجدة!"

وظهر أمامه شابان، سأله أحدهما: "كم من الوقت انقضى على وجودك هنا؟"

– منذ الرابع عشر·

"هذا ليس سيئاً··· لا تخف·"

– أعني الرابع عشر من يونيو (حزيران)·

وصاح الشاب: "يا إلهي!"

وكان ذلك يوم الأحد الواقع فيه الرابع والعشرون من يوليو (تموز)· وهذا يعني أن كارل بل أمضى أربعين يوماً في ذلك الوادي·

ونقلته طائرة مروحية الى مستشفى في كاليفورنيا، حيث وجد الاطباء أنه يعاني كسراً في كاحله وسوء تغذية واجتفافاً (استنزاف سوائل الجسم) جعل وزنه ٦١ كيلوغراماً· أما الالم في صدره فكان آتياً من جيب هوائي وعلاجه الراحة·

في ذلك المساء تلقى بل مخابرة هاتفية من جدّته: "لقد أخبروني أنك مفقود، لكني لم أقطع الأمل·"

وأغمض بل عينيه وقال: "يا جدّتي، إني أحبّك·"

■ بيتر ميتشلمور

اراد رجل ان يلقن ابنه حقائق الحياة· فقاطعه الصبيّ ليسأل: "ما عدد هذه الحقائق؟"

ك·م·

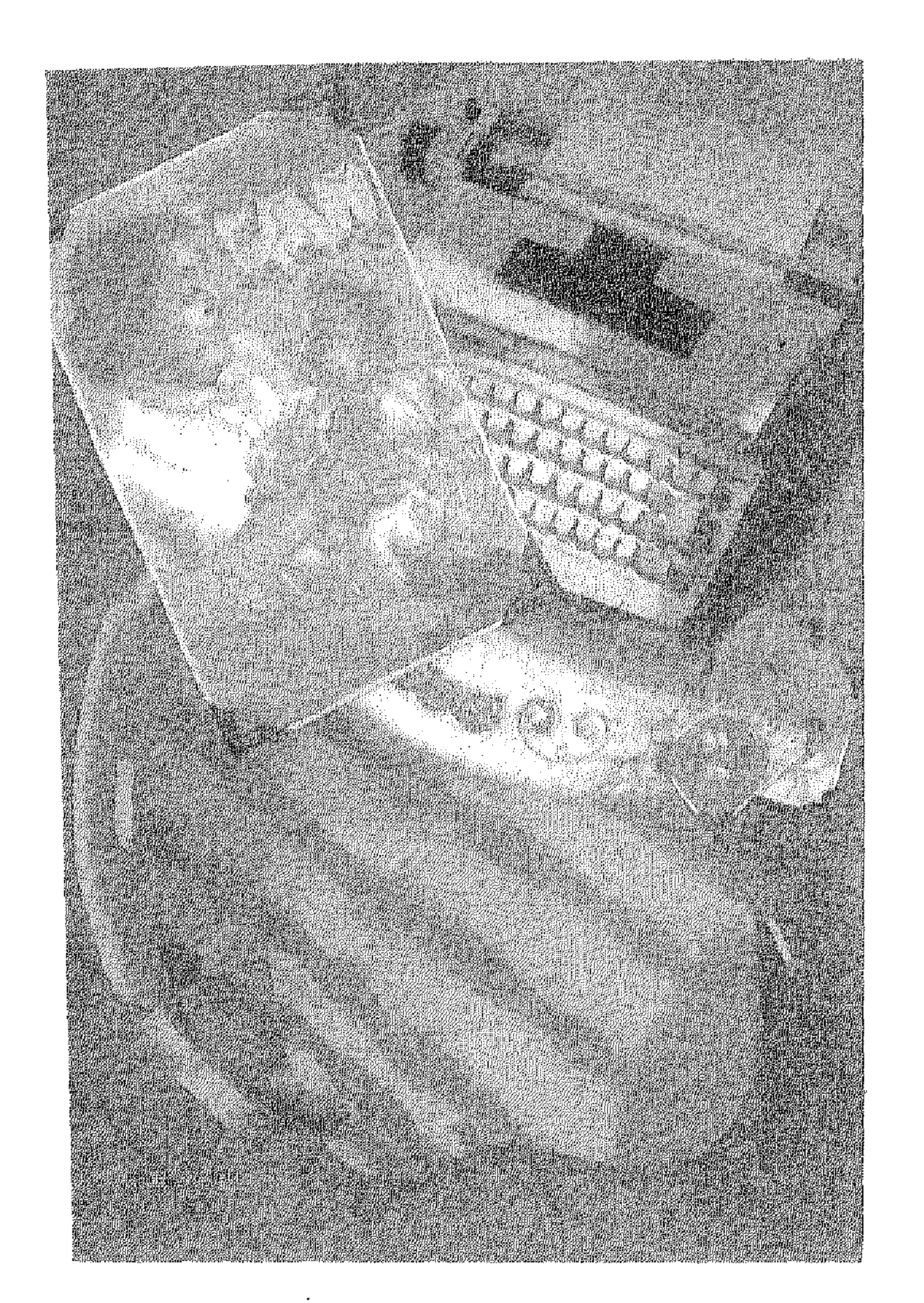
تبادل ثقافي

ذات صباح حمل جماعة من الصينيين أكلا صينياً الى حديقة هايد بارك الشهيرة في لندن· ووضعوا الطعام على حصير وانطلقوا لممارسة لعبة البادمنتون· ولما عادوا لتناول الطعام وجدوا أن أكلهم الصينيّ اختفى من مكانه ليحلّ محله بعض سندويشات اوروبية، اضافة الى الشراب والشوكولاته وورقة تحمل الآتي: "اعذرونا على ما فعلنا، وادعوه، ان شئتم، تبادلا ثقافياً بين الشرق والغرب·"

ف·و·ل·



طعم طبيعي لا يقاوم
FULL CREAM
powdered milk
FRANCE LAIT
26/20 % FAT
INSTANT
كريم يسعد الآلاف
ترقبوا كريم وهداياه تقدمة
فرانس ليه
يسعد فرانس ليه أن تعرفكم على كريم.
انتظروا قدوم كريم إلى المملكة العربية السعودية
وحين تشاهدوه تحصلون منه على هديتكم،
إذ أنه سوف يقدم آلاف الهدايا للكبار والصغار
لاتنسوا هدية الصحة في حليب فرانس ليه.
الملايين تنعم مع
فرانس ليه



في غمرة يأسي أتتني رسالة جدتي عبر السنين: "لقد أحببتك آنذاك، واني أحبك اليوم"

تركة جَدّتي

إنها رسوم فوتوغرافية باتت صفراء على مرّ الزمن، وقد حملت تاريخ العشرين من مايو (ايار) ١٩٢٦. وفي احدها امرأة ذات شعر اسود، تبتسم للطفل الذي تحمله بين ذراعيها وهي واقفة بالقرب من جنبة ليلك في حديقة منزل خلفية. اما الطفل، وهو فتاة، فينظر الى المرأة كمن يُدهش لاكتشافه جديداً.

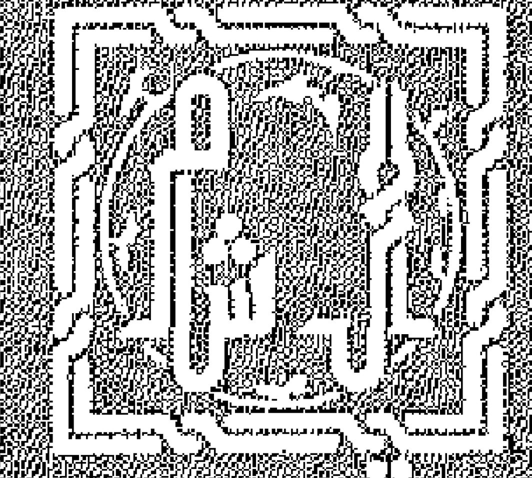
هذه أولى الرسوم التي أخذت لي، وهي الرسوم الأخيرة التي أخذت لوالدة أمي، ايلا فروست. وقد توفيت جدّتي ايلا وهي تقاوم الموت، وكنتُ أنا في سن لا تساعدني على تذكرها. وهي كانت في الثالثة والخمسين آنذاك.

وكانت روايات والدي عن ايلا تبدو لي أوهاماً ضبابية آتية من مكان لا يعني لي شيئاً. وقد عشنا سنوات في

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها.. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تستريح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك.. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية.. ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام ص.ب ٧٥٧١
تلكس: ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (١٠ خط)
تلكس الرياض: ٤١١٨١٠ (١٠ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

منزل ورثناه عنها، وكان يكفي أن نذهب إليه لنتذكرها في كل شيء أمامنا: أعمالها اليدوية المتقنة والاطباق والآنية القديمة وبعض قطع الاثاث الاثرية.

غير أني لم أفهم خبرة والديّ على حقيقتها إلا بعدما قضيا ونقلتُ أعز مقتنياتهما من منزلهما الى منزلي، ولم أتخل عن شيء مما كان لجدتي، وطالما رفعت أمام الشمس فانوساً قاتم الزرقة لأرى لون زجاجه البديع، وأدركت أن ايلا كانت تفعل ذلك أيضاً وتستمد منه البهجة، وانتابتني غصة آنذاك لأن الوقت الذي أمضيناه معاً كان قصيراً جداً، ولم يدُر في خلَدي أنّ يوماً سيأتي وتعود جدّتي الى حياتي.

حساب قديم – ربيع ١٩٧٢ انفصلت عن زوجي استعداداً للطلاق، وكنت ربة منزل في السادسة والاربعين، وليس لديّ مهنة خارج البيت، ولم يتجاوز دخلي ذلك الحين عشرين دولاراً في الاسبوع جاءتني من صحيفة محلية صغيرة كنت أنشر فيها مقالات قصيرة، وكانت مواردي الاخرى غير منتظمة، وقرّرت أن أبذل جهدي لأعيش على ثلاثة آلاف دولار كانت في حسابي المصرفي، غير أني وجدت حاجة الى مجال للتنفس والعمل والخبرة.

ولم ألبث أن تفرغت للصحيفة التي كنت أنشر فيها زاويتي الاسبوعية، وسرعان ما وجدتُني عاجزة عن تنفيذ ما عُهد إلي فيه، وأظهر رئيس التحرير تبرّمه بعملي،

واعترفت لأولادي بصعوبة الموقف، وعبرت لهم عن رغبتي في العودة الى منوالي القديم في الكتابة الحرّة من غير تقيد بأوقات دوام، ولكن أيمكننا العيش هكذا؟

في تلك الأثناء بلغتني رسالة في البريد المسجل من عمي، ووجدت مع الرسالة صفحة من صحيفة "الاتحاد" التي تصدر في بلدة سبرينغفيلد من أعمال ولاية مساتشوستس، حيث كان أبي مراسلا ومحرّراً خلال سني طفولتي، وكتب عمي على صفحة الجريدة بخطه: "أتمنى أن يكون المبلغ مئة ألف دولار،" ومدّ خطاً من هناك الى أسفل الصفحة، انتهى عند سهم مقابل اسمي ضمن قائمة طويلة من الاسماء.

ولم أفهم أول الامر شيئاً، غير أني قرأت الخبر الذي يقول ان حكومة ولاية مساتشوستس أخذت على عاتقها الحسابات المصرفية المهملة التي أتى عليها الزمن، وان على أصحاب العلاقة الواردة أسماؤهم أن يراجعوا محكمة تحقيق الوصايا في سبرينغفيلد.

وانفتحت عيناي على وسعهما! أتراني صرت غنية؟

لقد تركنا سبرينغفيلد عام ١٩٣٥ وأنا في التاسعة، وكان عمر الازمة الاقتصادية كعمري، ولا بدّ من أن يكون هذا المبلغ حصيلة ما ادّخره أهلي لتغطية النفقات المدرسية، أي نحو خمسة سنتات في الاسبوع، بدءاً من السنة الابتدائية الاولى حتى الرابعة، وأسرعت في الكتابة الى المحكمة المختصة، شارحة نظريتي العفوية،

وصدقت المحكمة طلبي، وإن تكن بينت خطأ نظريتي. وحقيقة الامر أن إيلا فتحت حساباً باسمي في الرابع من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٨. وتعهدت المحكمة أن تسلمني المبلغ مع فوائده المتراكمة طوال ٤٤ عاماً.

أصحيح أن ايلا فعلت هذا وهي في نهاية أيامها وليس لديها ما يكفي من المال؟ وعج رأسي بالذكريات، ذكريات جدّتي وذكرياتي. وخُيل إليّ أن رسالة أتتني من الظلال عبر السنين، وفيها كلام جدّتي: "لقد أحببتُك آنذاك، واني احبك اليوم." وامتلأت عيناي دمعاً.

حاولت أن أتذكر كل ما أعرفه عن إيلا وأنا أنتظر موعدي في المحكمة. لقد هاجرت عائلتها من المانيا الى سبرينغفيلد، حيث أسست محلّ سمانة صغيراً. وكانت ايلا في التاسعة عشرة عندما تزوجت بيل هيكلي، وهو شاب وسيم إيرلندي الاصل. وبعد مرور أسابيع قليلة على عيد ميلاد امي الأول، قضى والدها بداء السل وهو في الثالثةوالعشرين. وقطعت ايلا عهداً على نفسها بألا تجعل من ذاتها أو من طفلتها موضوع شفقة. وكانت جدّتي آنذاك في الحادية والعشرين.

وفي الامسيات راحت تلقن نفسها مبادىء الخياطة الانيقة. وربت طفلتها طوال ست سنوات بكل طيبة خاطر. ثم تزوجت هاري فروست واشتريا منزلا صغيراً غرب سبرينغفيلد. وكانت ايلا تؤدي جميع الأعمال المنزلية، بما في ذلك كسو السطح بألواح الخشب الجديدة وتصليح الجدران وصبغها وغرس الزهر والورد في الحديقة. كما كانت تحوك الشراشف وأغطية الطاولات وتركب قشاً جديداً للكراسي مكان القش المعطوب. واعتادت والدتي أن تقول على مسمعي: "كان في استطاعة امي أن تفعل أي شيء."

وأنجبت ايلا ولداً ذكراً كامل الصحة أطلقت عليه اسم نيل. لكنه قضى في حادث سيارة عندما كان في التاسعة. وذرفت ايلا دمعاً كثيراً عليه. ولاذت مرّة اخرى بالحياكة والتطريز حتى وقت متقدم من الليل، علها تنسى المصاب. وحين فقد والداي مولودهما الاول، استمدا تعزية كبيرة من ايلا. ولما وُلِدت نظرت الى عيني وابتسمت.

كانت جدّتي آنذاك على وشك الموت. وسرعان ما غرفت في عذاب طويل. ترى لماذا لم تتكلم عن ذلك الحساب المصرفي الذي فتحته باسمي؟ ان جوابي الشخصي عن هذا السؤال هو الآتي: لقد رفضت ايلا فكرة الموت حتى النهاية.

ماذا الآن؟ — لم أزر سبرينغفيلد منذ طفولتي، مع أنها لا تبعد أكثر من ٨٠ كيلومتراً عنا. وفي اليوم الذي حدّدته المحكمة انطلقت في سيارتي وسط جو عاصف وماطر. وما أن انعطفت نحو البلدة حتى دلتني فتاة صغيرة على الطريق. ولم ألبث أن تذكرت الشوارع وموقع بيتنا القديم. ومررت أمام المنزل حيث أبصرت النور، ثم عبرت الجسر الى المدينة... لا، لم أنس شيئاً.

ودخلت قاعة المحكمة التي كانت رحبة وغاصة بالناس· وجاء اسمي في المقام الاول· وانحنى القاضي ابرهام سميث قليلا نحوي، وقال على نحو محبب: "أنت، إذاً، الفتاة التي ظنت أنها ستحصل على مدخرات الدراسة؟"

وضحكت وقلت: "أجل، أنا هي تلك الفتاة يا سعادة القاضي·"

وابتسم وأعطاني حوالة· وقرأت عليها قيمتها، وهي ٢٠١٧ دولاراً·

وبينما كنت أقود سيارتي في طريق العودة شكرت الله على ازدحام السير الذي أعطاني فرصة للتفكير كنت في حاجة حقيقية إليها·

وبدا لي أنّ المبلغ الذي جاءني من حيث لا أدري كان مقصوداً على نحو ملغز· وكنت، قبل حين، تمنيت لو كان لديّ ألفا دولار زيادة كيما أتمكن من الكتابة الحرّة من غير أن يراودني الخوف على نفاد مدخراتي·

وعلى ضآلة هذا المبلغ، إلا أنه يكفي طريقة حياتي المتواضعة· ألم تؤمن جدتي حياة غنية لها ولمن حولها بالقليل القليل من المال؟ وقرّرت أن أكلم رئيس التحرير حول الامر، متمنية استئناف الكتابة الحرّة·

وهكذا كان· وبعد أربعة أسابيع أعدتُ آلتي الكاتبة الى غرفة الجلوس· ولم أسحب شيئاً البتة من المبلغ الذي تركته إيلا لي· والواقع أني اقتصدتُ جداً في صرف المال· لكن اكتشافي أن في إمكاني الصمود بوسائلي الخاصة أعطاني الكثير من الاكتفاء والفخر·

وأعظم ما أخذته عن ايلا ليس ذلك الارث المادي المحدود، ولكن قدوتها الشخصية الرائعة· وأنا اليوم أستمد القوة من التفكير فيها، وقد زاد تقديري لأولادي وعملي وصداقاتي ووجدت في الحياة خيراً عظيماً إذا كان القلب مستعداً لاستقباله·

وبعد ثلاث سنوات آجدني أتساءل: "وماذا الآن؟"

المغامرة الاولى – لقد تمثلت في حياتي أمثولات كثيرة، بعضها سلبي والبعض إيجابي، أهلتني كي أطوع نفسي كمستشارة في عيادة محلية للطب العقلي والنفسي· وكان بين معلميّ شخص ذو سمعة عالمية قرّر أن يأخذ معاونيه الرئيسيين معه الى لندن ذلك الربيع للاشتراك في بعض المؤتمرات وحلقات العمل·

وقال لي: "ستكتسبين الكثير من هذه الرحلة· وأتمنى أن تستعدّي لها·"

ووافقت على الفور، ولم أصدق أني أنا ذلك الشخص عينه الذي شعر بالاخطار تحيق به من كل جانب قبل وقت غير طويل· وملأتني الغبطة من فكرة التحليق فوق الارض وزيارة مدينة سيطر تاريخها وأدبها على ذهني طويلا· أليست تلك أفضل طريقة للاحتفال بتغلبي على المصاعب؟ وقرّرتُ أن أبقى بعد انتهاء العمل وأجعل من تلك الزيارة أولى مغامرات حياتي·

لندن! يا لها من امنية·

وهكذا صرفت تركة إيلا باعتزاز·

ولكم هو جميل أن تتحقق الأحلام في غير وقتها· ولم أكن اشتريت

بطاقة سفر جوّي قبل ذلك الحين. وعندما أخذت جواز سفري، لم أستطع قراءته لأن دموع الفرح سدلت غشاوة على عيني.

وجاءت مغامرتي أروع مما توقعت. وذات يوم كنت أسير بالقرب من قصر باكنغهام الملكي حين سمعت أصواتاً جعلتني أنظر ورائي. وشاهدت عربتين يوشحهما اللونان الذهبي والقرمزي تجتازان الطريق الملكية. وكانت الاولى تحمل الملكة اليزابيت الثانية والاخرى تحمل زوجها الامير فيليب، ومع كل منهما ضيف رسمي.

ووقفت صاحبة الجلالة تلوح بيدها. وفيما أنا أنظر مشدوهة تلاقت عيناي بعينيها. وهززت رأسي وقد لفتني سعادة لا توصف آتية من كوني زرت لندن بمفردي ورأيت الملكة وجهاً لوجه.

لقد كانت لحظة رائعة، كرّستُها على اسم ايلا.

■ جوان ميلز

فأل حسن

في حفلة تخرج جامعية وقف طلاب الهندسة يهتفون: "لقد وجدنا عملا! لقد وجدنا عملا." فأجابهم خريجو الادارة والتجارة: "أجل، لقد وجدتم عملا لدينا."

س.م.

بخل مناسب

قالت فتاة لصديقتها: "دعاني سليم الى الغداء، فتناولنا صحن سلطة. ودعاني مرة اخرى بعد العمل، فاقتسمنا علبة لبن بالفاكهة. وهو الآن يدعوني الى منزله لتناول كوب عصير."

ـ اذا كنت لا تحبينه، فلماذا لا تخبرينه؟

"ان نمط حياته يعينني على التخلص من السمنة."

ك.غ.

أحكام غيابية

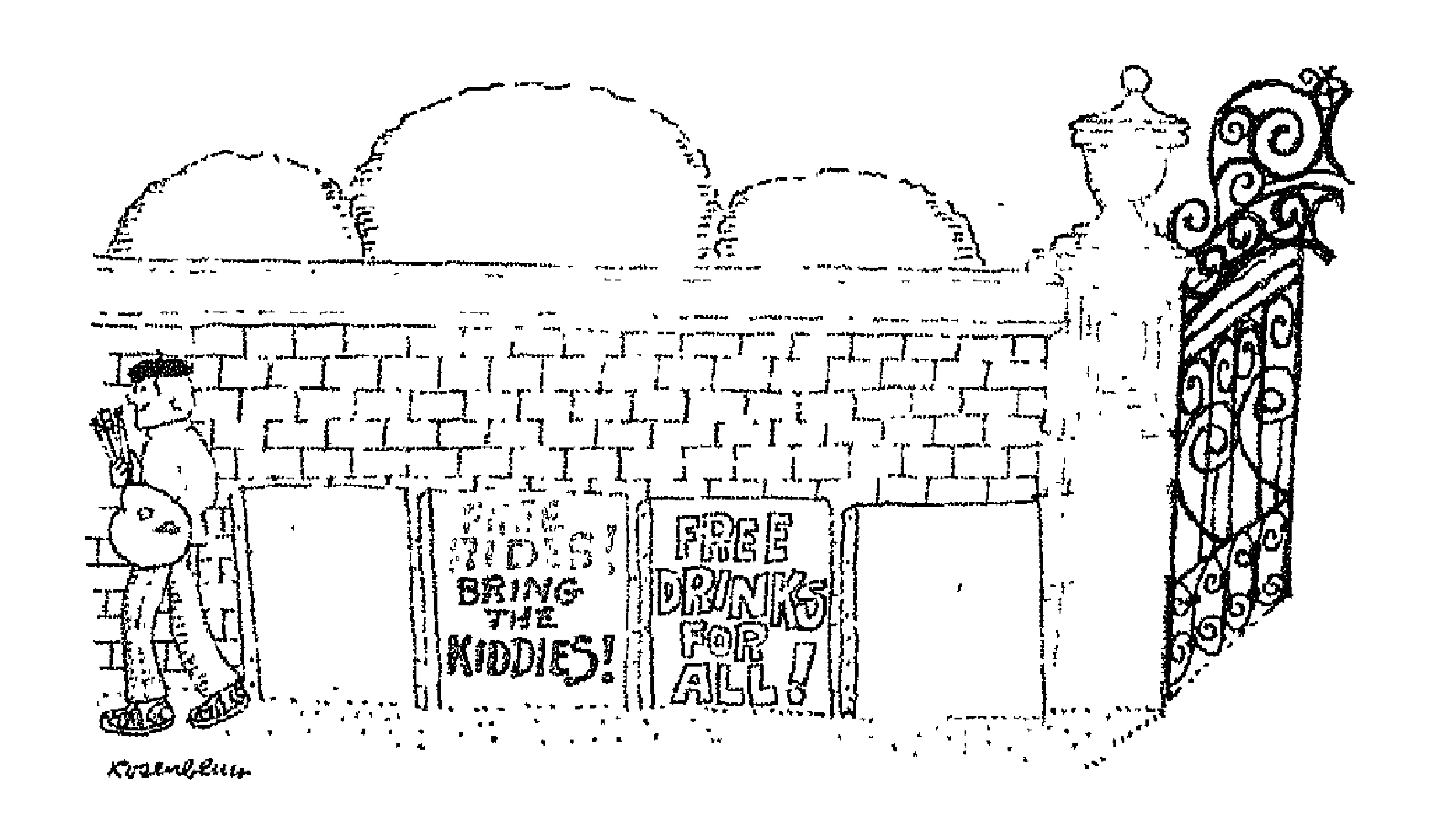
فيما كانت حافلة تنقل مجموعة من السياح عبر شوارع العاصمة الامريكية واشنطن، أشار الدليل الى مبنى البنتاغون الذي يؤوي وزارة الدفاع قائلا انه كلف دافعي الضرائب ملايين الدولارات واستغرق بناؤه سنة ونصف سنة. وأطل الركاب من النوافذ يتأملون المبنى. لكن امرأة بينهم قطعت الصمت قائلة: "لو حصل هذا في بلادنا، لكلف أقل وأنجز في وقت أقصر."

وأمام وزارة العدل قال الدليل ان المبنى كلف الملايين وشيد خلال سنتين. وقدمت المرأة تعليقها الاول نفسه.

ولما مرت الحافلة أمام نصب واشنطن بقي الدليل صامتاً، فصاحت فيه المرأة: "قل لنا ما هذه البناية البيضاء العالية هناك؟"

ـ المعذرة يا سيدتي! انها لم تكن هناك البارحة.

و.ف.١٠



وألصقوا اللوح على السقف فوق المكان الذي يحاضر منه "با" ونشروا بعض الجص على أرض الغرفة.

في اليوم التالي رأى الاستاذ الخراب، فنظر الى السقف وقفز الى السلم صارخاً: "لقد فعلتموها أخيراً! ستدفعون جميعكم تكاليف الاصلاح." وتوجه الى مكتبه صافقاً الباب وراءه بعنف.

كلف هيو اثنين من أصدقائه الوقوف قرب مكتب "با" لمراقبته عند خروجه، وأسرع مع بقية فريقه لانزال السقف المزيف وتنظيف الغرفة. وصل "با" برفقة المسؤول عن المبنى لتخمين الاضرار. فوجد أن غرفة المحاضرات لا تزال في حال ممتازة. عند ذلك وقف مشدوها يحدق الى السقف وقد عجز عن الكلام.

أذن فان غوغ – تميز مزاح هيو بطابع جديد مختلف له علامته الفارقة. كان مزاحه أكثر حذقاً وذكاء، ولم يكن ليؤذي أحداً. هيو ذو الشخصية الفوارة كانت له عين ثاقبة تلتقط الامور المضحكة، كما كان يملك تقديراً فطرياً نادراً للمواقف المضحكة.

انتقل هيو الى مدينة نيويورك بعد تخرجه لكي يبدأ عمله كرسام. وعندما أقام "متحف الفن الحديث" عام ١٩٣٥ معرضه لأعمال فنسنت فان غوغ تشوق هيو الى حضوره. لكن الزحام كان خانقاً فلم يتمكن أحد من تأمل اللوحات جيداً. وكان هيو يظن أن المتفرجين تجذبهم الاساطير التي تروى عن حياة فان غوغ الشخصية أكثر مما يجذبهم فنه، خصوصاً تلك الرواية التي تحكي كيف قص قطعة من أذنه وبعث بها الى عشيقته. ففكر في طريقة يمتحن بها نظريته هذه.

نحت هيو "أذناً" من قطعة لحم

مجفف ووضعها في علبة شفافة مكعبة فوق قماش من المخمل مع اشارة بجانبها تقول: "هذه هي الاذن التي قطعها فان غوغ وأرسلها الى عشيقته في ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٨٨٨٠" وأدخل العلبة سراً الى المتحف وعلّقها٠ وسرعان ما اجتمع الحشد ذلك اليوم حول "الأذن" مما أتاح للفنان الشاب الاستمتاع بأعمال فان غوغ٠

أرغن الجامعة ــ لمناسبة اجتماع خريجي جامعة كورنيل حضّر هيو مزحة كلاسيكية٠ فعندما طلب رئيس الاجتماع تأدية أغنية الجامعة، حاول عازف الارغن الضرب على الأوتار٠ لكن الموسيقى لم تسمع وكانت النتيجة صوتاً غريباً: "سكرييتش"٠ وبعد محاولات خائبة أخرى علت الصرخة: "أما من أحد هنا يمكنه اصلاح هذه الآلة؟"

عند ذلك صعد هيو رئيس الورشة الى المسرح مع مساعديه وهم يرتدون ثياب العمل ويحملون السلالم وأدوات العدة التي تكفي لاصلاح جسر بروكلين٠ ووضع هيو أذنه فوق أحد مزامير الأرغن وأمر العازف أن يحاول مرة أخرى٠٠٠ "سكرييتش٠٠٠" لم تتغير النتيجة٠

ثم قال هيو واثقاً: "هذا المزمار هو سبب المشكلة، لذلك علينا اقتلاعه من مكانه واصلاحه٠" وكسر مساعدو هيو الاربطة التي تصل المزمار العملاق بالأرغن٠ "كراش!" ووقع المزمار المزيف الذي كان هيو صنعه وجعله مطابقاً للمزامير الأخرى٠

وهتف هيو: "هنا تكمن المشكلة!" ثم تناول المزمار بفخر ومدّ يده داخله ليخرج منه بطة حية حلّقت فوق الجمع المرتبك٠

مهرجان خيري ــ أقامت امرأة غنية كانت تظن نفسها مسؤولة عن الفن مهرجاناً خيرياً في دارتها في لونغ آيلاند، نيويورك٠ واقتصرت الدعوات على وجهاء المجتمع، لكن هيو وزملاءه من الرسامين استدعوا لتقديم خدماتهم مجاناً٠ وخاطبتهم صاحبة الدعوة بنبرة آمرة: "على كل منكم رسم صورة للمزاد، وستجدون ركائز الرسم واللوحات على الشرفة٠ ابدأوا العمل حالا، فالمهرجان سيبدأ بعد ساعتين٠

سألها أحد الرسامين: "هل سنحضر المهرجان؟"

فأجابته وهي تغادر المكان: "لا٠ والآن كفى أسئلة فأنا مشغولة جداً٠"

اختار هيو أربع لوحات كبيرة أنهى رسمها في وقت قصير وعرضها على بوابة المدخل قرب الشارع الرئيسي٠ كتب على اللوحات: "أهلا بكم في المهرجان!" "العاب مجانية! أحضروا اطفالكم!" "المشروب مجاني!" "ما أحب الأكل في الطبيعة!"

مزاح طروادي ــ تعرّف هيو في مجال عمله على الفكاهي البريطاني ستيفن بوتر الذي كان يحطّ من قدر الآخرين في كتابيه "ألاعيب" و"تعادل الأهداف" وسواهما٠ وعندما جاء بوتر الى الولايات المتحدة في جولة لالقاء المحاضرات أقام هيو حفلة استقبال

السياسية تزول بينما أنا باق في مكاني لأن هذه الارض هي أرضي." ولعل هذا الاقتناع بحق الامتلاك هو الذي يحدد طبيعة الهندي المعاصر.

وهناك تحديدات أخرى ثبت خطأها. فنحن لسنا من أصل عرقي واحد. الآريون في الشمال يختلفون عن الدرافيديين في الجنوب، وكلاهما يختلف عن المغول في شمال شرق البلاد حتى في اللغة. ويبلغ عدد اللغات المعترف بها في الدستور الهندي خمس عشرة. أما اللهجات فيزيد عددها على أربعمئة.

مظاهر الايمان – ويعد اختلاف الاديان أبرز العناصر التي ساهمت في اضفاء الغنى والتنوع على الحضارة الهندية. فالهند حافلة بالمعابد. ويتسع بعض المساجد لمئة ألف مؤمن يؤدون الصلاة راكعين على الحصر. وهناك أيضاً معابد للبوذيين تعلوها القبب. وترتفع التماثيل الضخمة التي ترمز الى العقيدة اليانية فوق الروابي والهياكل عبر البلاد. ويقيم الزرادشتيون هياكل للنار وأبراجاً للسكون. أما السيخ فلهم معابد من الرخام تعلوها قبب من ذهب. ومما يسترعي الانتباه ان المزارات التي تشيّد لتخليد ذكرى رجال الهند الصالحين لا يحصى عددها وهو يفوق عدد الصروح التي تقام فيها الصلوات.

ان الهندوسية هي أكثر الديانات شيوعاً في الهند. الا ان عبارة "أكثر شيوعاً" هنا فقدت معناها التقليدي لأن في الهند ٧٦ مليون مسلم أي ما يكاد يوازي عدد المسلمين في الشرق الاوسط. اما المسيحيون فعددهم كبير. وتمتد جذورهم في الهند الى نحو ألفي سنة. والشائع هو أن توما تلميذ السيد المسيح عيسى عليه السلام كان أول مبشر وطىء أرض الهند.

الواقع انه لا مناص من الدين في الهند. فكل نهر أو بحيرة أو جبل ينطوي على مظهر من الايمان ويعكس احدى الاساطير الالهية. بل ان الغابات أيضاً ملأى بالمقامات الدينية. فكثيراً ما نشاهد في جذع احدى الاشجار صورة صغيرة لبار" ذي جبين قرمزي يرمز الى الورع وقد غطيت قدماه بزهر ندي".

من أحب الامكنة إلي مزار في بومباي المزدحمة يمثل مظاهر من ديانات ثلاث. ففي ناحية منه صليب من الجص الابيض عليه صورة المسيح، وفي ناحية ثانية حجر حفرت عليه صورة غانش الاله الهندوسي، وفي ناحية ثالثة محراب يضع فيه المتعبدون القرآن عندما يؤدون الصلاة.

الساري العصري – تشبه حضارة الهند اسفنجة ضخمة تمتص كل شيء، في حين يهز الصفائيون رؤوسهم يائسين. لقد تطلعت أمم أخرى الى طرد المؤثرات الشريرة الغريبة من حضاراتها، غير ان الهند رحبت بهذه الشرور الغريبة وجعلتها جزءاً من حضارتها. فعندما أرى اليوم على جدران بيوت شيدت في القرن السادس عشر لوحات تمثل كريشنا يعزف مزماره وهو جالس على المقعد الخلفي في سيارة "رولز رويس" لا

في حقل من الزهر، يمكنني الجزم ان الحضارة الهندية ما زالت قائمة. فسوف يتابع كريشنا عزفه على المزمار سواء أكان جالساً في عربته أم في سيارة "رولز رويس" أم على صخرة.

وتختلف الهند عن الصين أو اليابان في كونها أبقت أبوابها مشرعة مما أعطاها قدرة خاصة على الاحتمال. فالمأثور عن اليابان انها ذات حضارة لا يمكن اختراقها، ولكن أين اختفت أثواب "الكيمونو"؟ اننا لا نزال في الهند نرتدي "الساري" وسواه من الالبسة الهندية التقليدية.

ان حائكي "الساري" الشطّار يراعون أذواق الناس في البضاعة التي يقدمونها متجاهلين لعنات التقليديين. مثال ذلك انهم أبدلوا رسوم الطواويس وأصداف المحار وثمار المانغو التي تميز "الساري" التقليدي برسوم الطائرات وأجهزة التلفزيون.

وأنا أشارك هؤلاء الحائكين في أملهم ان تبقى الهند محتفظة بهذا الزي في الوقت الذي تتطلع شعوب العالم الاخرى الى الخروج عن تقاليدها. لكن الشكوك تنتابني احياناً في ما اذا كنا سنغدو نسخاً عن سكان المدن الامريكية.

تأمل وموسيقى ـ ذات يوم كنت في مبنى اذاعة الهند ذي القرميد الأحمر والاعمدة البيضاء، فأخطأت الاستديو الذي ينبغي ان اذهب اليه ودخلت استديو آخر حيث اكتشفت نهاية الحضارة الهندية. ففي حجرة صغيرة عازلة للصوت شاهدت امرأة حسناء تغني أمام المذياع لا أمام الجمهور، وبدا واضحاً أنها تتقن أصول الغناء والتأليف والدلال. وكانت تعتمر قبعة مطرزة وعلى احدى كتفيها تدلت ضفيرة معقوصة زيّن طرفها بحلية من الفضة والذهب. وأثناء الغناء كان يتمايل على شعرها قرطان طويلان من المينا والذهب. ولو كانت هذه المرأة تغني أمام الجمهور لملأ الصخب الغرفة وانتاب الناس مزيج من الشعور بالتقدير والرغبة وباتوا عاجزين عن تمالك أنفسهم وعمدوا الى اغراقها بالمال وأطروا عليها أيما إطراء. غير ان ما شاهدته لم يكن سوى تشويه لغناء لا يكون الاّ بالحوار.

والحوار مظهر رئيسي من مظاهر الحضارة الهندية. فالفن في الغناء لا يتحقق، بالنسبة الينا، الا بانصهار المغني والجمهور والموضوع والانضباط بحيث تؤدي هذه العناصر الى نتاج يفوق مجموع الأجزاء المكونة له.

ان فن الهند يكمن في التأمل وليس في التعبير عن الذات. وفي هذا الشأن يروي أحد أعظم عازفي "السيتار" ان استاذه (الغورو) كان علمه ان يعزف أحد الاناشيد الدينية، وهو قطعة موسيقية تبعث على التأمل يبدأ عزفها قبل الفجر ويستمر حتى شروق الشمس. ويضيف أنه كان هو وزملاؤه في سن المراهقة وكانوا يعيشون مع استاذهم. وكان عليهم ان يستيقظوا في الثالثة والنصف صباحاً ويوافوا استاذهم في الرابعة

والنصف الى فناء المنزل حيث يجلس كل منهم في مكانه. وبعد ذلك يطلب منهم الاستاذ أن يعزفوا منفردين النغمة الاولى في النشيد ثم يجعلهم يكررون عزفها.

ويستمر تدريبهم على عزف هذه النغمة وحدها ثلاث ساعات كل صباح لمدة شهر كامل، ويعلمهم الاستاذ أداء النشيد بأكمله في صوت موسيقي واحد. ويجيز الاستاذ لهؤلاء الطلاب اضافة نغمة موسيقية جديدة كل شهر حتى يعرفوا أنه كان يعلمهم التأمل وليس الموسيقى. ولم يكن يسمح لهم ان يعزفوا القطعة كلها قبل مضي ثمانية أشهر. ويذكر عازف "السيتار" الشهير ان استاذه ذاك لم يسمح له بعزف النشيد بأسلوبه الخاص الا بعد سنتين. وعندما عزف هذا النشيد أخيراً بدا ان كل نغمة تحمل في تضاعيفها مجموعة موسيقية يمكن نقلها الى السامع أو شعوراً دينياً يمكن ان يتعلمه الجمهور.

امتيازات الحرية – من المفيد ان نتذكر ان الناس أفراد وليسوا أرقاماً فقط. لقد عاش العالم طويلا وهو يخشى انفجاراً سكانياً حتى ان الشعب الهندي بات رديفاً للاكتظاظ السكاني. لكن الهند أثبتت أن المتكهنين بهلاكها كانوا أقرب الى الخطأ منهم الى الصواب.

ان الهند هي في عداد الدول الصناعية العشر الاولى في العالم ولديها اكتفاء ذاتي في الطعام. وهي الى ذلك متفوقة على معظم الدول الاوروبية في مجال الفضاء. ويبلغ عدد خريجي جامعاتها قرابة مليون سنوياً. غير ان التطور الصناعي فيها لم يؤد الى زيادة الدخل الفردي. واكتفاؤها الذاتي في الغذاء لا يعني ان الطعام يصل الى جميع الافواه الجائعة. واطلاق عربات الفضاء لا يغطي النقص في الري وفي نشر الطاقة الكهربائية. والزيادة الضخمة في عدد المتعلمين وخريجي الجامعات لم تقابله زيادة مماثلة في الوظائف التي يمكن ان تستوعب هؤلاء.

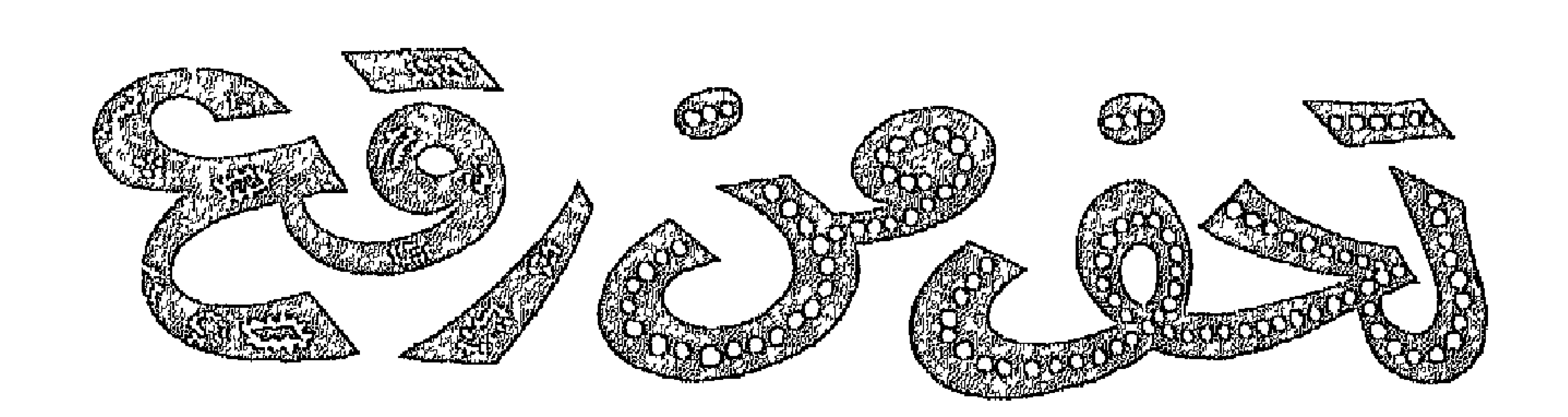
ولا يفوت حتى زائر الهند العابر ان يلاحظ هذه الحقيقة على الاقل: ان التنوع في ماضي الهند قد خالط تعقيدات حاضرها الكثيرة جداً. وعلى حد تعبير المهاتما غاندي فان أي حل لمشكلات الهند لا يمكن ان يفي بالغرض لأكثر من عشر سنين.

لقد عشنا ٣٧ سنة دولة مستقلة ولا نزال نتمتع بامتيازات الحرية، اذ لدينا قضاء مستقل وصحافة حرة واقتراع سري. كذلك فنحن لم نتنكر لماضينا لاقتناعنا بكذب الشعار القائل ان المستقبل لا يبنى الا بهدم الماضي. كما اننا لم نتبن فكرة بناء مؤسساتنا على القمع الجماعي لأن القول باعتماد الوحشية في معاملة الأجيال الحاضرة لتأمين عيشة مثالية للاجيال المقبلة هو قول خادع أيضاً. فالهند تتطور ضمن حقائق متناقضة ليس لها مثيل.

هل نحن شعب محظوظ؟ هل نحن شعب عظيم؟ لا أحد يدري. والهنود يهزون أكتافهم قائلين: "هذه هي الهند."

■ **غيتا مهتا**

قال لي زوجي: "هذا أجمل ما في بيتنا، وسنحتفظ به على الدوام."



ان المهمة المشتركة التي تجمع النسوة لخياطة الملاحف تلمهن ايضاً للسمر وتبادل القصص. وثمة عدد كبير من خياطات الملاحف في ولايتي تكساس ونيومكسيكو الامريكيتين، بعضهن كنّ من اوائل سكان تلك المناطق بينما جاءت الاخريات في طفولتهن مع آبائهن الذين وفدوا للاستيطان في العالم الجديد في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وهن ما زلن حتى اليوم يعملن في خياطة قطع قماش صغيرة مبرقشة يخرجنها من اكياس حشتها اماتهن وجداتهن بالخرق القديمة. وغدت حرفة صنع الملاحف من الخرق المبرقشة جزءاً من نمط عيشهن تراه يبرز في حياتهن الاجتماعية والعائلية وفي ما يختلج في سرائرهن.

ولكي نلم بخبرات اولئك النسوة قابلنا عشرات منهم ووجدنا في ما يروينه من تاريخهن سجفاً مبرقشاً فذاً من صور الحياة الامريكية.

قالت احداهن: "جاء اهلي من مدينة سبرينغفيلد في ولاية ميسوري الى غرب تكساس عام ١٨٩٠. وحملت امي معها كيس الخرق طوال الرحلة وكانت تصنع هذه الملحفة التي دعتها "النجم الوحيد" والتي لا أزال احتفظ بها هنا. وكثيراً ما حدثتني عن الوحشة التي احستها عندما قدمت وعائلتها الى هذا البيت. كان الخلاء يلفهم من كل ناحية الى حدود مرمى البصر. كيف يقوى الانسان على تحمل مثل هذا الفراغ؟

"ومرة تُركت امي وحيدة لمدة اسبوع، وهبت عاصفة هوجاء من الغبار. ظلت الريح تعصف ثلاثة ايام بلياليها وعبق الهواء بالغبار. وكانت امي تضطر الى شدّ حبل حول خصرها كلما خرجت لعلف البقرة وحلبها. وهكذا عكفت على خياطة الملاحف طوال ساعات اليوم. كانت تقول: لو لم انصرف الى رفء تلك الرقع في ملاحف، فلست ادري ماذا كان في وسعي ان افعل."



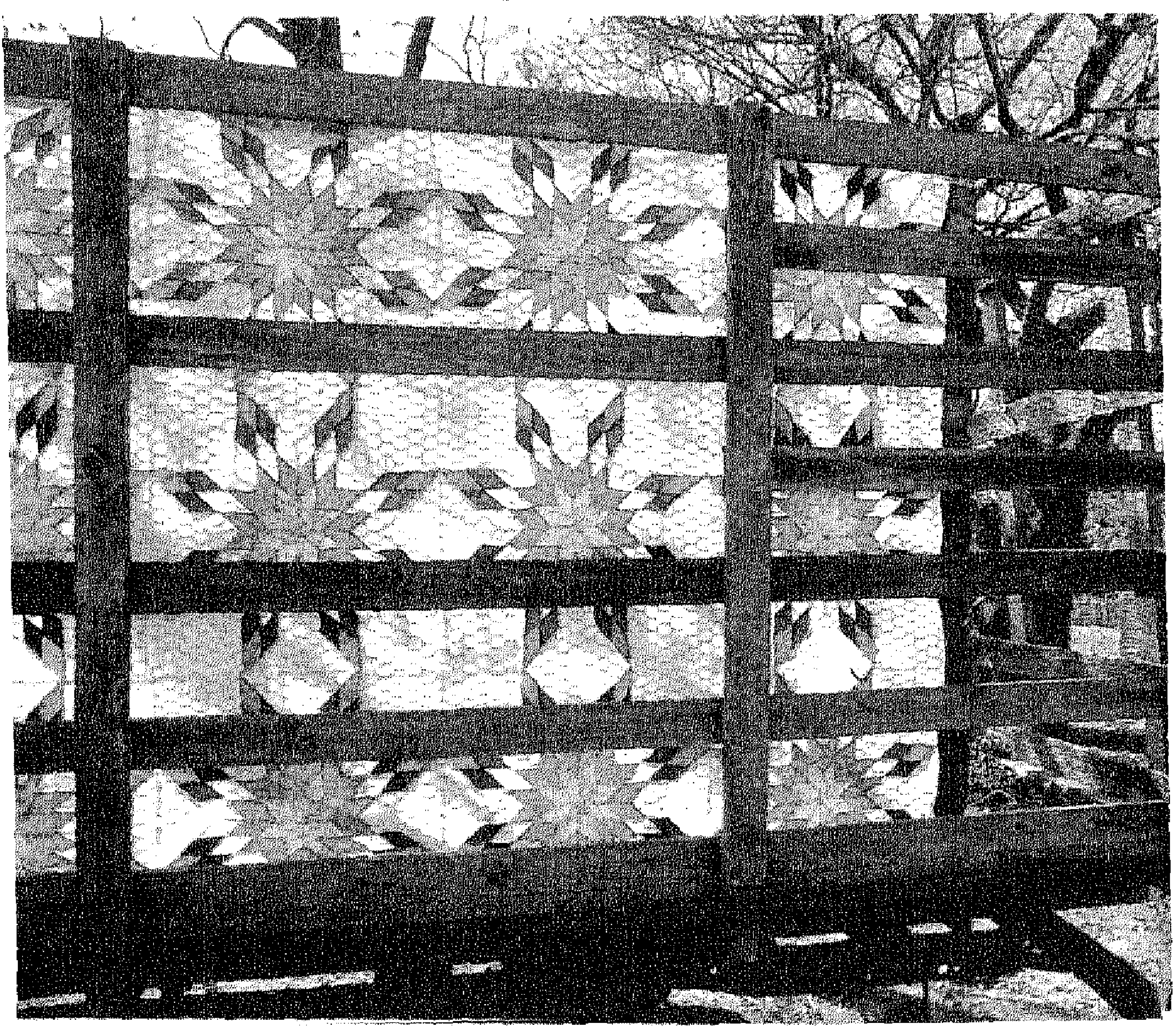


"بنى ابي بيتنا بيديه، كان جذوع الشجر، وقد عُني بوضع كل في مكانها الصحيح، وكلما صنعت عليه نقشة كوخ خشبي، تعود بي اليه."

"ما زلت اذكر تلك الرقعة، كانت الثوب الذي ارتدته جدتي يوم عرسها، ولقد احببت ذلك الثوب كثيراً."

وقالت اخرى: "حين كنت في الرابعة من عمري مات طفل جيراننا الرضيع، واستدعيت جميع النساء للمساعدة. وللحال اخرجت امي من صندوقها نسيجاً من الحرير الازرق، ولما وصلنا الى بيت الجيران وجدنا النسوة منهمكات في الطهو والرجال يصنعون تابوتاً من الخشب، وأخذت امي وثلاث نساء اخريات الاطار وعكفن على صنع ملحفة، حضرن اولا بطانة للتابوت ثم نجدن من الحرير الازرق لحافاً صغيراً للطفل الميت."

"اني الآن في الثالثة والثمانين من عمري، وقد صنعت يا فتاتي كثيراً من الملاحف المبرقشة، لكنني اتذكر، كأنما كان ذلك يوم امس، ملحفتي الاولى، كانت امي ماهرة في رفء الملاحف، وهي صنعت إجمل القطع



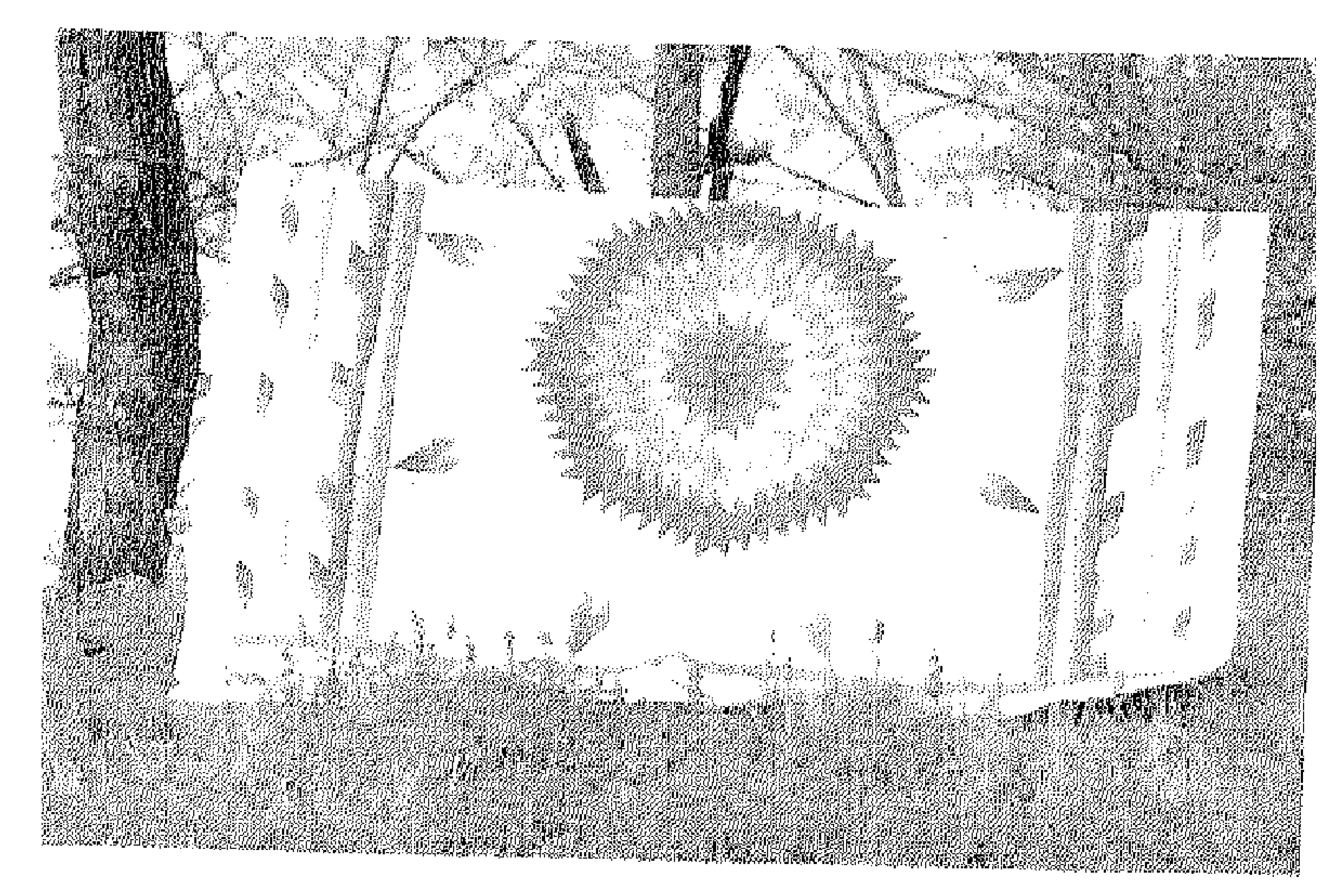
"كانت امي تصنع الملاحف من خرق الثياب مستعينة بقليل من القماش الذي يحضره لها ابي كلما استطاع شراء بضع اذرع."

التي اخرجتها هذه البلاد. كنت اتوق دوماً الى العمل معها، ولا أزال اذكر ذلك اليوم حين قالت لي: تعالي يا سارة واعملي معي الآن اذا شئت. فأخذت ابرة وخيطاً ووقفت بجانبها. غرزت الابرة في القماش واخرجتها منه ثم غرزتها ثانية، وكانت قطبي تبلغ ثمانية سنتيمترات طولا.

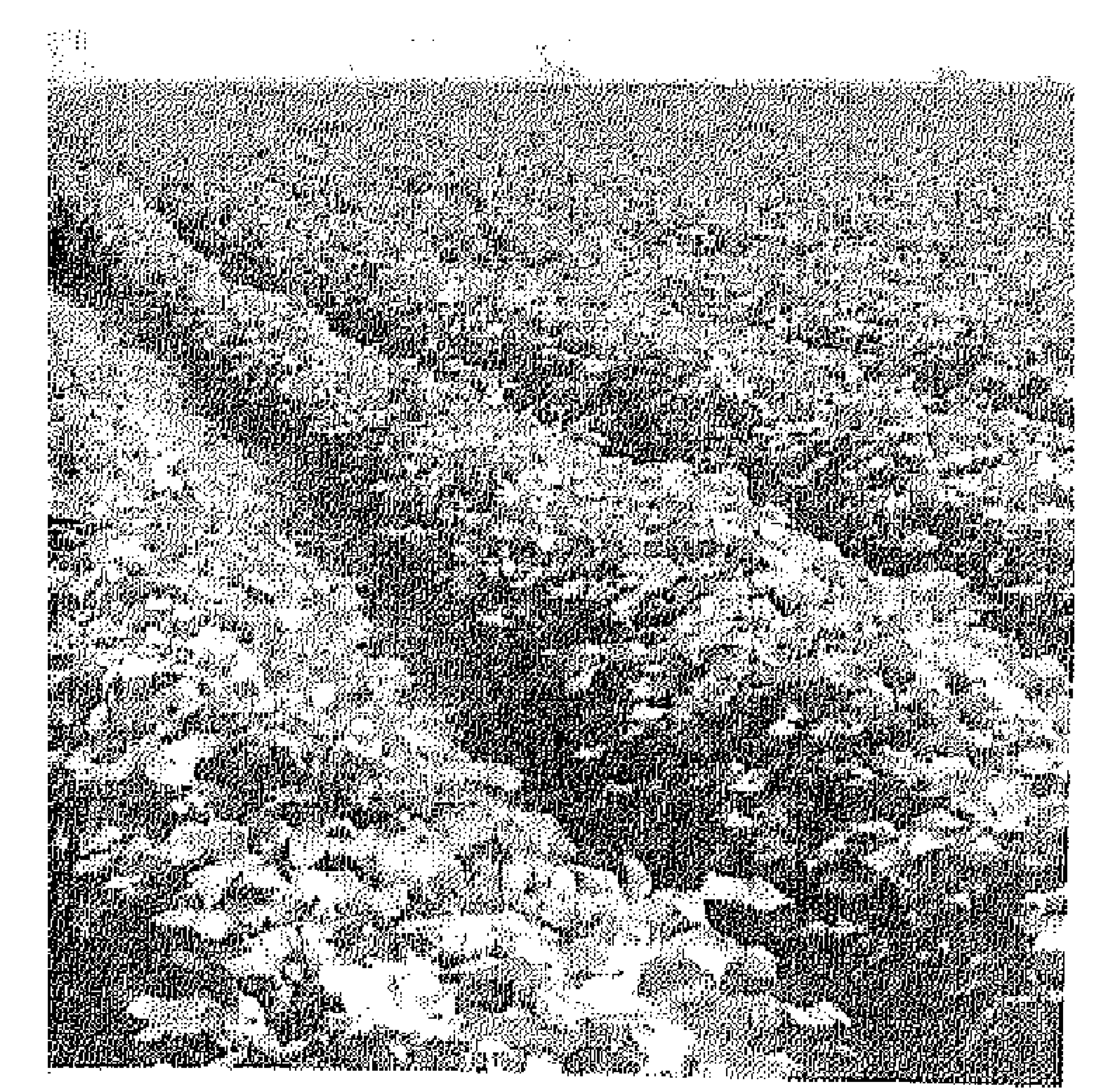
"دخل ابي في ذلك الوقت وصاح: يا فلورانس، ستتلف هذه الطفلة ملحفتك وسيتعين عليك ان تفتقي كل ما خاطته الليلة.

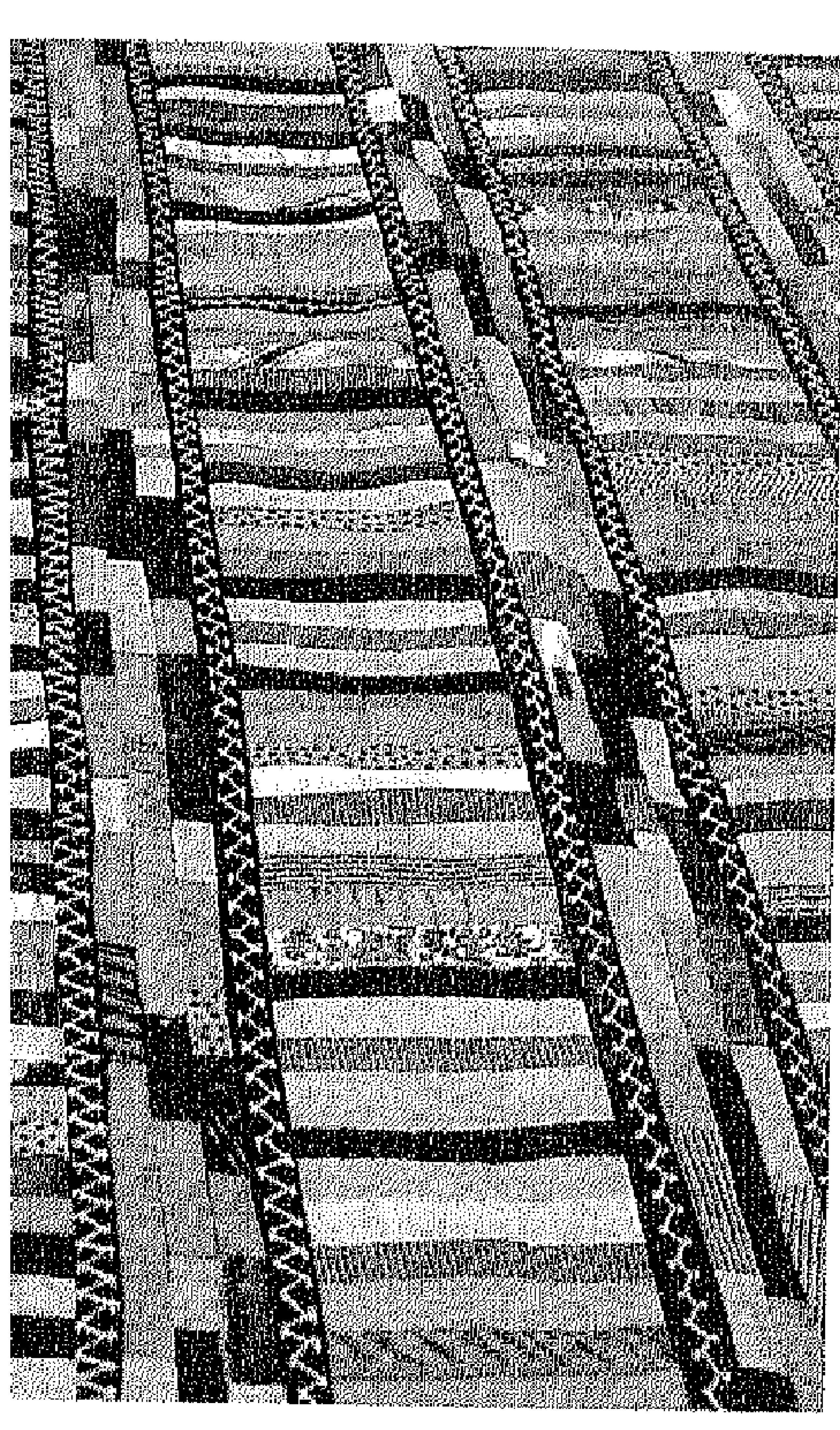
"وابتسمت امي لي وهي تقول: انها ترفأ اول ملحفة لها. وهذه القطب ستبقى في تلك الملحفة حتى تبلى."

"لن تصدقي اذا نظرت الي الآن، لكني حقاً تزوجت اوسم شاب في

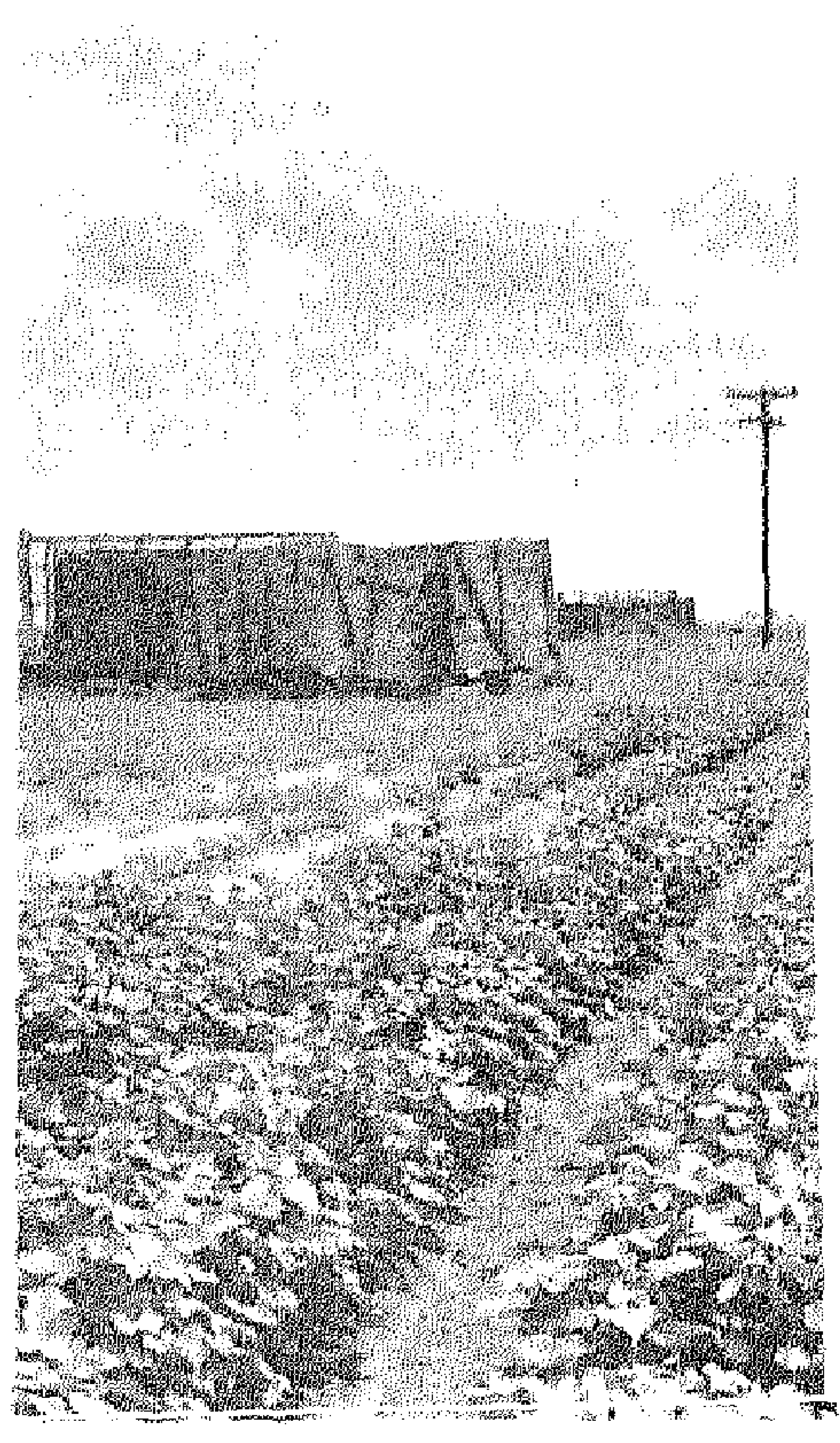


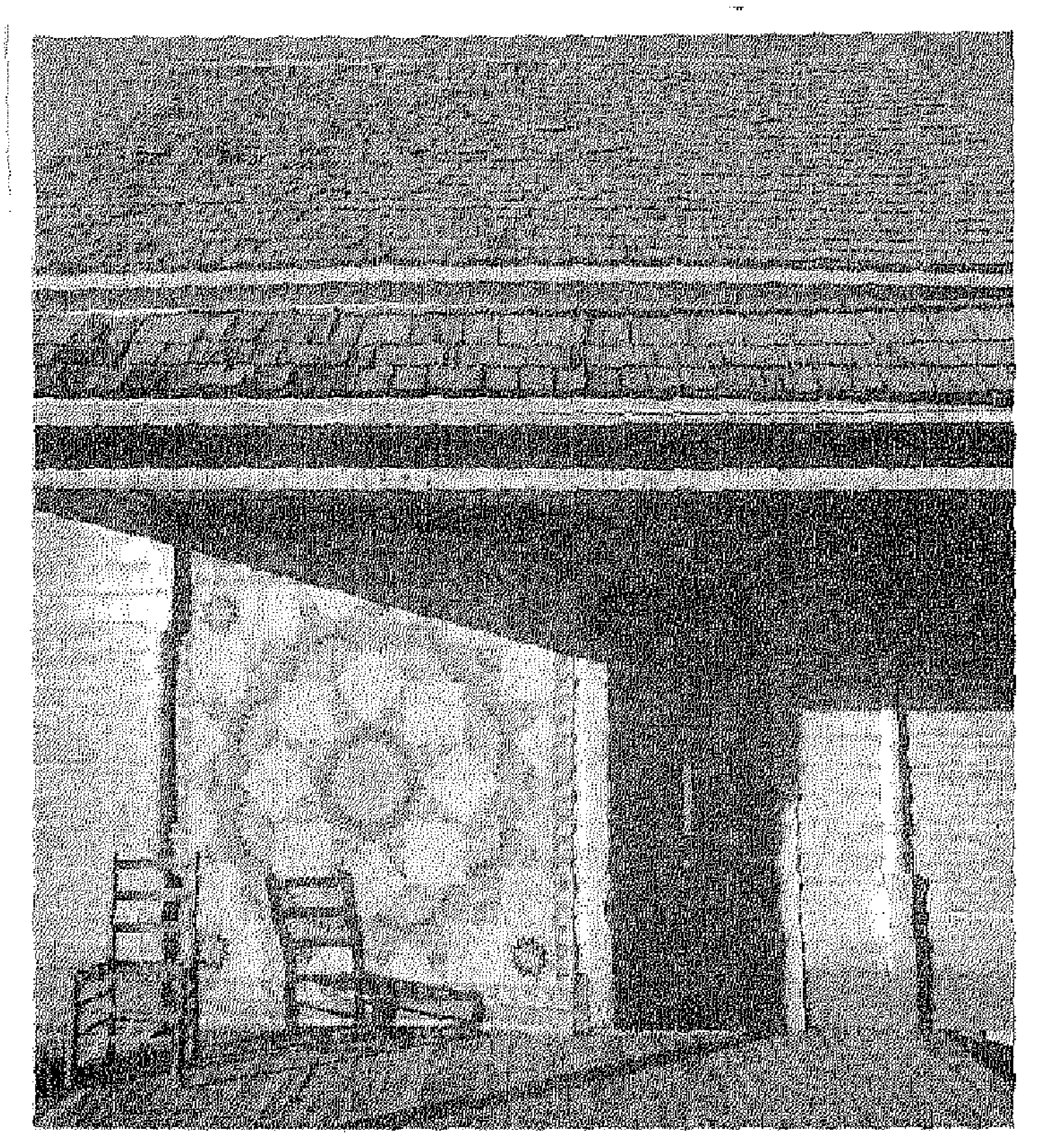
"حين كانت الفتاة تفكر في الزواج كان عليها ان تبدأ
برفء الرقع لتصنع منها ملاحف،
وقد اعطتني امي ملحفة جميلة حقاً
هي "النجم الوحيد" الذي كانت صنعته لنفسها."



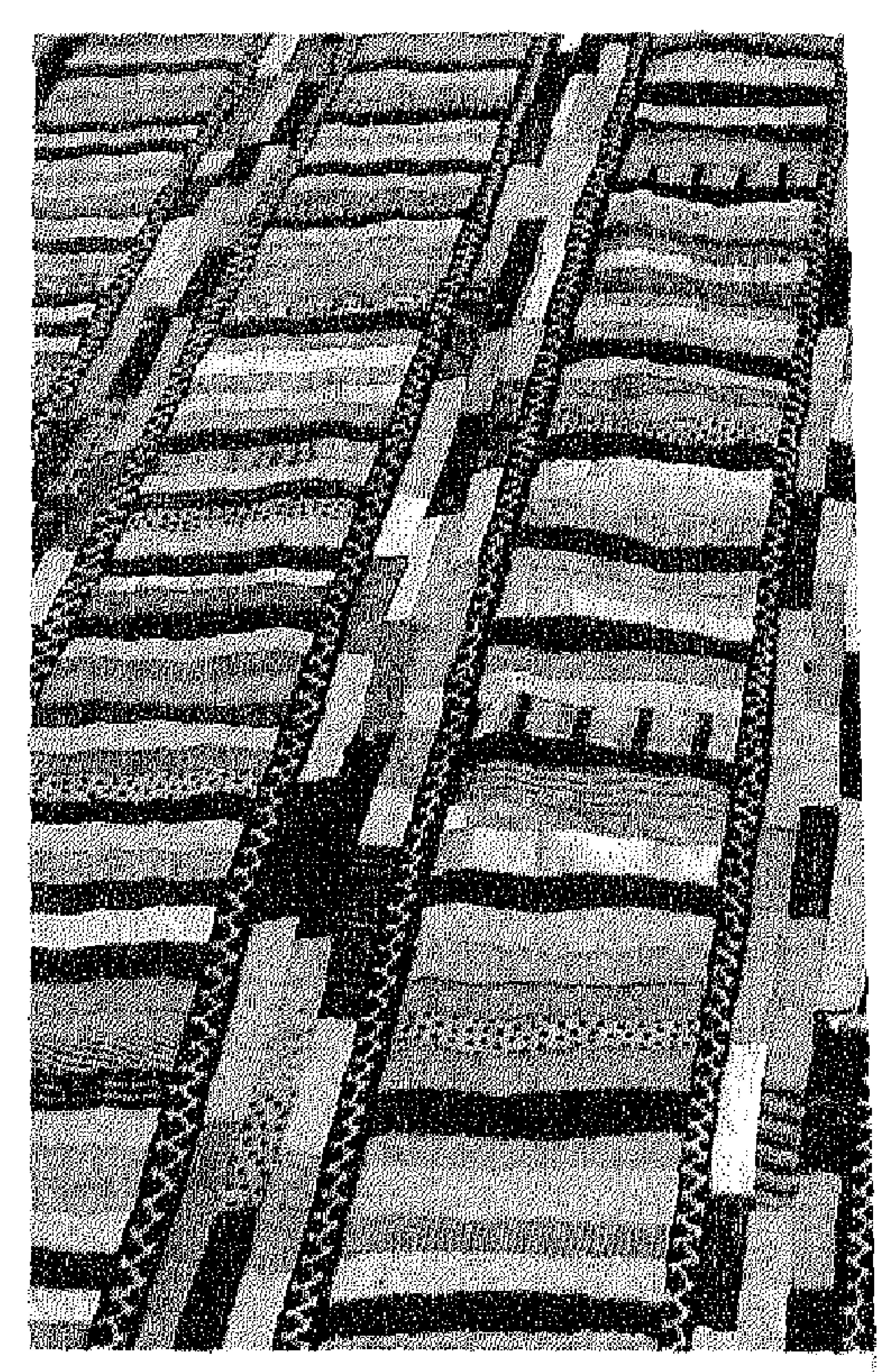


"جميع الناس كانوا يعملون
في رفء الرقع وصنع الملاحف
في فصل الشتاء.
وكان ابنائي يعملون جنباً الى جنب مع بناتي.
كان ذلك عملا ينبغي انجازه."





"اثناء الازمة الاقتصادية في الثلاثينات غالباً ما كان لناس يسددون ديونهم بما لديهم من ملاحف مبرقشة، واحياناً يتبرعون بها للعائلات المستورة."



المقاطعات الثلاث المحيطة بنا عندما ناهزت الثامنة عشرة من عمري. لم اتعرف عليه في حفلة راقصة، كل ما فعلته هو اني كنت اجلس بيتنا وانصرف الى رفء ملحفة. وبعد ظهر ذات يوم من ايام الربيع، بينما انا احلم مع كل قطبة وأفكر في من يمكن ان يشاركني في الالتحاق بتلك الملحفة يوماً، جاءني صوت جميل يقول: عفوك يا آنستي، لكني اراك هنا كل يوم منذ اسابيع، وقد استجمعت جرأتي لأخاطبك وأرى ماذا تصنعين بهذه العناية.

"تبارك الله يا فتاتي. لقد

تزوجته، وكان خطابه ذلك اطول حديث فاه به دفعة واحدة حتى اليوم."

"يتحدث زوجي عن الوقت الذي اصيب بداء الحصبة. كان في السادسة من عمره. وجعلته امه يرفأ قطعاً من القماش ليصنع منها ملحفة. وكان عليه ان يرفأ بين كل قطعتين قطعة منمقة ببقع حمراء. ولقد سماها ملحفة الحصبة. وفي كثير من ليالي الشتاء الباردة، حين كنت أجلس امام اطار الملاحف بجانب الموقد، كان هو يجر مقعده الكبير الى الجانب الآخر ويأخذ في قص القطع لي. يا له من منظر! ذلك الرجل الكبير الهرم ذو الساقين الطويلتين جالس ومقدما حذائه معقوفان الى فوق ليحضنا القطع التي يقصها لي.

"وكان عندنا ثلاثة كلاب صخابة تنبح حين يقترب احدهم من طريق بيتنا. وصدّقيني، كان ابي يلقي ما بين يديه وينفر اسرع من بعوضة عندما تبدأ تلك الكلاب النباح. وكم كان ذلك يضحكني منه."

"حين كانت امي في ايامها الاخيرة في المستشفى قالت لي انها قلقة لأنها لم تنجز ملحفة لأختي الصغيرة. قلت لها: لا تهتمي يا اماه، سأنهيها أنا الآن. وقد فعلت. ذهبت الى بيتها حيث كان الاطار منصوباً وعملت طوال ذلك الليل وصباح اليوم التالي. فرغت من العمل قبيل الظهر وعدت لاخبر امي، فقالت انها سترقد راضية بعد ذلك. وكان ذلك آخر ما فعلته من أجلها."

■ باتريشا كوبر ونورما برادلي آلن

❋❋❋

موهبة القيادة

أمضى مدرب للشرطة طوال قبل الظهر يتكلم عن موهبة القيادة أمام صفّ من المتطوعين. ونادى أحدهم الى المنصة وسلمه ورقة كتب عليها: "هذا المكان في عهدتك الآن. وعليك اخراج الجميع من هنا من غير أن تحدث ذعراً أو ارتباكاً بينهم."

وحار المتطوع في ما يقول، وعاد الى مكانه. واستدعي آخر، فوقف قائلا: "اخرجوا كلكم من هنا." لكن أحداً لم يتحرك.

وجاء ثالث، فابتسم وهو يقول: "حسناً يا اخوة. لقد حان وقت الغداء." وهكذا غادر كلّ من في الغرفة بسرعة.

هـ.د.

حب غير مقصود

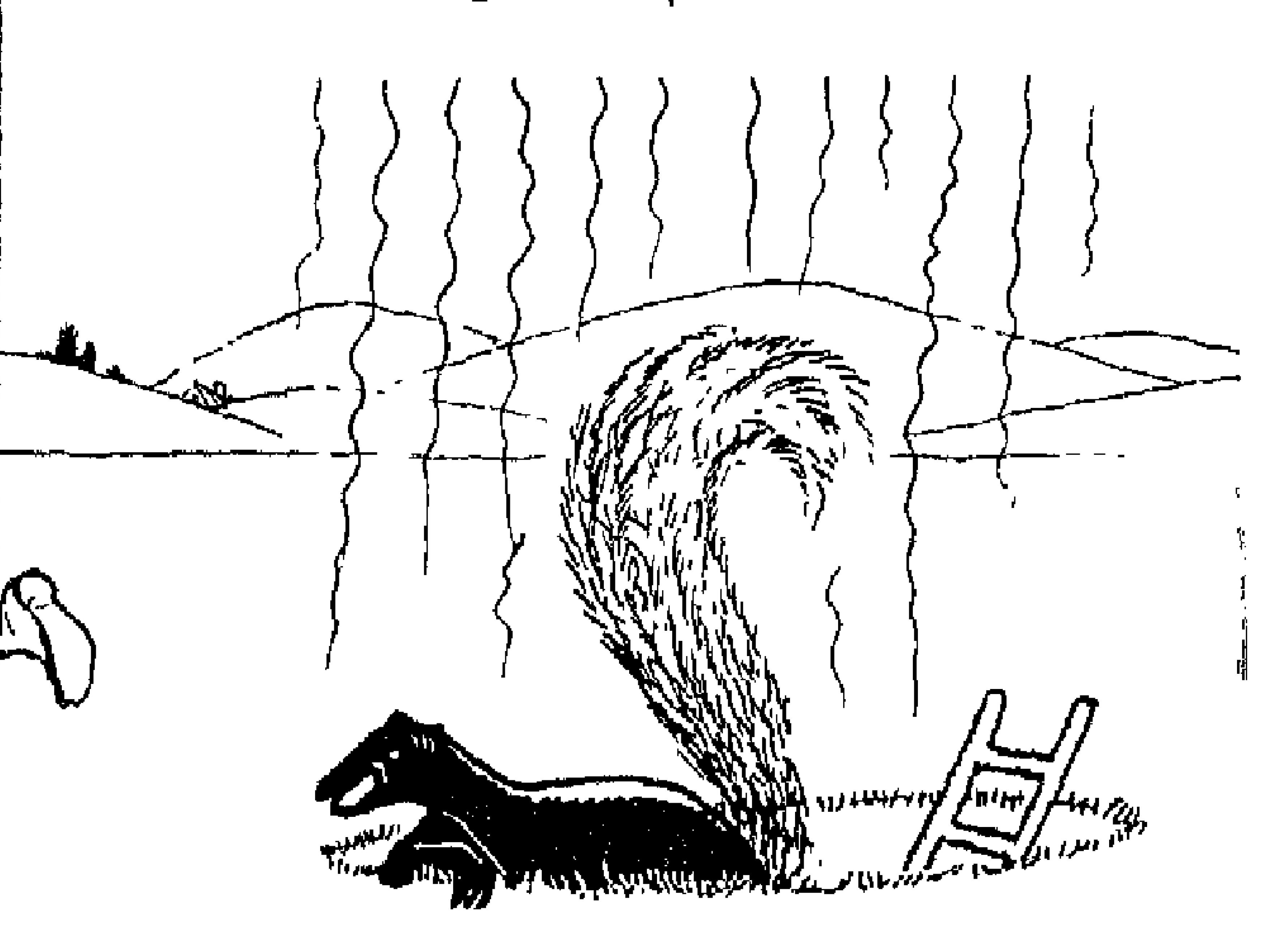
بينما كان بطل الهوكي وين غريتسكي مع أصدقاء له في احد مطاعم مدينة تورنتو الكندية، طلبت منه امرأة رسماً ممهوراً بامضائه. وبعدما سألها عن اسمها اهدى اليها الصورة مع "الحب والقبلات." فاخذتها وشكرته وخرجت مسرعة. لكنها عادت بعد ثلاث دقائق وهي تحتج على ما كتب، قائلة انه لا يمكن ان يحبها وهو لا يعرفها. وأعادت اليه الصورة وانصرفت.

مجلة "الرياضة المصورة"

سُلّمُ الظربان

جلست وصديقي المجنون ايدي ملدون على سياج حظيرة البقر بعد ظهر ذات يوم ونحن نحاول التفكير في عمل ما ، كان هذا بعد مضي وقت قصير على سقوط الطائرة التي صنعناها في اول اقلاع لها عن سطح مخزن الغلال في مزرعة آل ملدون وبعد تعطل الغواصة التي اخترعناها كذلك وغرقها في البركة وأنا داخلها ،

وفيما نحن جالسان مر بنا ملدون الاب وهو يقود جراره الزراعي، وتوقف برهة ليرمقنا بنظرة ارتياب وقال: "ماذا تخططان الآن؟"



لو ترك الأمر لنا لخرجنا من ورطتنا بـ"رائحة طيبة"

قال ايدي: "لا شيء يا أبي، اننا نحاول أن نفكر في عمل ما ،"

ارتعد السيد ملدون وقال: "حسناً، عندما تجدان ما تفعلانه أعلماني به قبل ان تباشرا تنفيذه، هل تسمعان ما أقول؟"

فأجاب أيدي: "نعم يا أبي، أظن أن كل ما سنفعله هو نبش حفرة في التراب ،"

قال السيد ملدون وهو يحول ناقل

السرعة في جراره: "حسناً، ولكن حذار..."

سألت ايدي: "اي نوع من الحفر سنجري؟"

فحدق لحظة الى الفضاء البعيد وقال: "حفرة كبيرة، حفرة كبيرة حقاً." شغلنا الحفر معظم أيام الاسبوع. وأخيراً غدت الحفرة بعمق حال دون قذف التراب من فوق حافاتها بالرفش. عندئذ قرر ايدي أن المهمة أنجزت.

رائحة مألوفة ــ كانت الحفرة انجازاً حقاً. كما كانت في الحقيقة رائعة الى حد أن ايدي لم يعد يكتفي باعتبارها عملا جمالياً بل أخذ يحاول التفكير في جدوى منها.

قال لي: "هل تدري ماذا يمكننا أن نفعل بهذه الحفرة؟ يمكننا أن نتخذها شركاً للحيوانات البرية، فنغطي فوهتها بالاغصان وأوراق الشجر والاعشاب ثم تأتي الحيوانات البرية وتسقط فيها. بعد ذلك نخرجها منها وندجنها ونعلمها أن تؤدي حركات وألعاباً. آه! أراهن أننا سنصطاد بها غزالا أو وعلا أو دباً أو أسداً..."

فقاطعته: "أو احدى أبقار ابيك."

خبا وهج الحماسة في وجه ايدي وقال: "أجل، من الافضل لنا أن نردم الحفرة غداً."

توجهت أنا وأيدي باكراً صباح اليوم التالي الى الحفرة العميقة ونحن على أتم أهبة لردمها. وما ان اقتربنا منها حتى زكمت مناخرنا رائحة مألوفة.

قال أيدي: "لا بد أن ثمة ظرباناً في مكان قريب."

قلت: "ربما كان في الحفرة."

وتبين أن الظربان كان حقاً في الحفرة. ومن الغريب أننا لم نلاحظ عليه أي خوف منا، بل الاغرب من ذلك أنه حفر مغارة واسعة تحت أحد جوانب حفرتنا في محاولة لفتح نفق يفر منه.

قلت: "لا يمكننا ان نردم الحفرة والظربان فيها. فكيف نخرجه منها؟"

أجاب أيدي: "يهبط أحدنا الى قعر الحفرة ويقبض على الظربان قبل أن يرشه برذاذه الكريه ثم يلقيه خارجاً. أنا سأقف هنا وأصرخ بأعلى صوتي كي لا ينتبه الظربان لك حين تقفز الى قعر الحفرة وتقبض عليه و..."

قاطعته: "لا تعجبني هذه الفكرة بتاتاً. فكر في سواها."

فهتف أيدي: "وجدت الحل. نذهب الى مشغل أبي ونصنع سلماً."

كنت وايدي منهمكين في صنع السلم حين دخل أبوه المشغل وقال مزمجراً: "أظنني أهبت بكما ألا تصنعا شيئاً فما هذا الذي تصنعان الآن؟"

أجاب أيدي: "انه سلم للظربان."

قال الأب: "آه، حسناً، لا تصنعا شيئاً آخر قبل ان تخبراني بذلك."

صيد آخر ــ عدت مع أيدي الى الحفرة وأنزلنا السلم فلم يبد الظربان رغبة في تسلقه للخروج. عندئذ سمعنا صوت والد ايدي يصيح بنا: "ماذا عنيتما بسلم الظربان؟" وكان يقترب منا بخطوات واسعة عبر المرعى.

سارعنا بالتقاط باب قديم وألقيناه على فوهة الحفرة فأخفيناها تماماً عن النظر. وقبل ان يتاح لنا التفكير في تعليل معقول لوجود كومة ضخمة من التراب في احدى زوايا ذلك المرعى دهمنا السيد ملدون صائحاً: "والآن، من أين جاءت هذه الكومة؟" قال هذا وانحنى ليمسك حافة الباب الذي يغطي الحفرة.

صاح ايدي وهو يهرع نحو أبيه: "كلا، لا تفعل ذلك يا أبي..."

لكن السيد ملدون قلب الباب عن الحفرة ثم وقف وقال: "انها رائحة ظر..." ولم يكمل الجملة اذ اختفى في تلك اللحظة عن أنظارنا تاركاً قبعة القش التي كان يعتمرها معلقة في الهواء (استنتجت في ما بعد أن السيد ملدون ربما وقف على الحافة التي نقب تحتها الظربان مغارته فانهارت به). وارتفعت غيمة من الغبار داخل الحفرة حين اصطدم السيد ملدون بقعرها. وللحال أخذ يزعق بسيل من الشتائم الممتزجة بكلمة "ظربان". ثم سمعنا جلبة وصوت انهيال تراب وبدا أن السيد ملدون يحاول تسلق حافة الحفرة. لكن التراب ظل ينهال عليه فيسقط داخلها ويعود الى الصراخ.

وكان أيدي واقفاً قرب رأس السلم حين اندفع الظربان متسلقاً اياها وبرز من خلال غيمة الغبار الكثيفة. أجفل ايدي، وفي محاولة لمنع الظربان من رشه برذاذه القذر أمسك برأس الحيوان. وأخذ الظربان يخدشه ويعضه مما اضطر ايدي الى القائه ثانية داخل الحفرة. ولحظة وصوله الى القعر تعالى صراخ وحشي من السيد ملدون الذي سارع هذه المرة بتسلق السلم.

تلك كانت اشارة لنا بالانطلاق جرياً. وهذا ما فعلناه. وواصلنا الجري حتى لم نعد نسمع وقع قدمي السيد ملدون الجاد في أثرنا. وأخيراً ابتعدنا حتى لم تعد تصل الينا رائحته التي تمزق الانوف.

وعاد أيدي الى البيت أخيراً ووضع نفسه في حماية أمه حتى هدأ غضب السيد ملدون ولم يبق من أثره سوى تغضن خفيف غريب الشكل في بشرة وجهه رافقه بقية حياته.

وللمناسبة أذكر أن ايدي أصيب في وجهه ببعض رشاش الظربان أثناء العراك الذي حدث عند قمة السلم. ومع أن هذا أقلق والديه اول الامر، فانهما اقتنعا أخيراً بأنه لن يترك آثاراً سيئة دائمة في دماغ ابنهما. وفي أي حال، وبعد عشرين سنة من ذلك الحادث، نال أيدي شهادة دكتوراه.

■ باتريك ماكمانوس

تواضع عمة

عمتي امرأة تقية. ومرة كانت تعاني ضيقاً، فحاولت التخفيف عنها بقولي ان مكانها في الجنة اكيد. لكنها أجابت: "لا أدري. فربما كانت صفاتي تتجاوز الحد المطلوب."

ا.ف.

حياة بعض الناس قد تكون ملحمة تدخل نسيجها خيوط شتى. وهنا سيرة ملحمية في خمسة أناشيد

ملحمة الحياة



النشيد الاول

الوقت يغدو ثميناً جداً اذ يتضاءل. لذلك يكب ويلك بيترز على طاولته وهو يصارع لاكتساب المزيد من العلم. اما خارج باب منزله الموصد في بلدة بالتيمور من اعمال ولاية ماريلاند الامريكية فيعبر المراهقون الفقراء الى حيث لا يعرفون.

لقد امضى بيترز العجوز حياته مرتحلا حول العالم طلباً للحكمة التي كان يعود بها الى طلابه في الجامعات السوداء. الا ان المراهقين الذين يعبرون امام منزله امتلأت اذهانهم بالآراء وخلت من الحكمة. وكل ما يعرفونه عن بيترز انه رجل مسن، مستنفد، في الطور الاخير من حياته.

اما هو فيتكىء على طاولته وفي

يده كتاب يحوي قواعد اللغة الايطالية. ويقرأ سطراً ويضيع مكانه، ثم يعيد قراءته بعناد ويدون بعض الملاحظات.

غير انه لا يحتاج الى ملاحظات ليتذكر طفولته والحلم الذي راوده طويلا واخرجه من دائرة الفقر والجهل والتمييز العنصري.

بدأ ذلك الحلم في مقاطعة ترينيتي في ولاية تكساس، حيث عمدت عصابة من المزارعين البيض الفقراء الى طرد والده جون من المزرعة التي كان يملكها يوماً. وولد ويلك بيترز عام ١٩٠٠ في كوخ مزارع محاصص اذ تحول ابوه مزارعاً اجيراً يستثمر الأرض التي يعمل عليها لمصلحة مالكها، في مقابل حصة من محصولها. وكانت امه مرتا تحمله معها الى الحقول. وما لبثت ان انجبت طفلا ثانياً فثالثاً.

وفي الثامنة من عمره بات ويلك عبداً امريكياً رقيقاً يعمل وراء ثور فلاحة. لكنه، منذ ذلك الحين، ادرك ان العالم يمتد خلف افق تكساس. وفي المدرسة تعلم ان الارض تؤوي اقواماًكثيرة. ولمس والداه الذكاء الذي يتمتع به، وتمنى له والده ان يصبح طبيباً. والطبيب، في خبرة جون المحدودة، اكثر الناس ثقافة.

اجل، سوف يغدو ويلك طبيباً.

علقت تلك الكلمة السحرية في ذهن الفتى واعطت حياته اتجاهاً. فالطبيب يمثل العلم، والعلم نقيض الجهل. وهو عقد العزم على محاربة الجهل بكل كيانه. وبينما امضى اترابه اوقاتهم ينسجون احلام اليقظة على مقاعد المدرسة، حاول ويلك اتقان الانشاء والحساب. وتعلم ان وراء المحيط بلداً اسمه فرنسا، وبلداً آخر مليئاً بالجبال اسمه سويسرا. وسمع باسبانيا ومصارعي الثيران فيها، كذلك بالبندقية وغندولاتها.

في تلك الفترة العائلية السعيدة المتميز بالضحك والامل البريء والفقر الذي يسهل احتماله، كان من العسير التمييز بين الحلم والحقيقة، اذاً لا بد من ان يغدو طبيباً... ولمَ لا ؟

ثم كان ان انهار ابوه ومات عام ١٩١٣. ووقف ويلك بلا حراك امام الضريح الذي لا يحمل اسماً، وادرك ان الفقر سيسحق العائلة في غياب قوة ابيه ومعرفته.

ولما بدأت السنة الدراسية ذلك العام، بقي ويلك في البيت ليأخذ مكان ابيه في المزرعة. ووجد عالمه المباشر مطبقاً عليه، ولم يَبْقَ له سوى الحلم.

النشيد الثاني

عمل ويلك بجهد. الا ان العمل الشاق لم يردّ الجفاف عن الارض والحشرات عن الزروع. وبعد موسمين اعجفين لم يبقَ له ما يبيعه الا الثيران.

وما لبث الواعظ ايفا جونسون ان دخل حياة العائلة وهو يحمل وظيفة وعيناً على مرتا. ومقته ويلك من النظرة الاولى، غير انه لم يستطع ان يمنع زواجه بأمه.

وانتقلت العائلة الى منزل ريفي وسط غابة صنوبر، حيث يتم استخراج زيت التربنتينة من الصمغ، وكان

جونسون يعمل هناك. وما لبثت مخاوف ويلك ان تحققت، اذ ارغم هو واخوته على العمل، فيما اخذ جونسون يخرج لصيد الأسماك والطيور. وكان العمل شاقاً ووضيعاً ويستغرق الوقت كله من الفجر حتى الغروب. وتبدلت نظرة ويلك الى نفسه وبات على وشك ان يفقد الحلم.

وكان الفتى في الثامنة عشرة من عمره عندما قرر الواعظ الانتقال الى مخيم عمل آخر. إلا ان ويلك رفض على نحو بات الانضمام الى العائلة.

وبلغه ان مناشر الخشب في بلدة ديبول في حاجة الى عمال. فتوجه لتوّه، سيراً على القدمين، الى تلك البلدة ذات البيوت الخشبية الخضراء التي تؤوي ثلاثة آلاف نسمة، والتي تحوي مخزناً كبيراً تملكه شركة الخشب. وبدت تلك البلدة، في عيني المزارع اليافع، عالماً مسحوراً بسياراته وانواره الكهربائية ووجوه سكانه المشرقة. وما هي الا ايام حتى باشر ويلك عمله في جرّ الواح الخشب نحو احدى المناشر.

وكان اهل ديبول يتقنون القراءة والكتابة. ومعظمهم زار، في وقت او آخر، مدينة تايلر التي تبعد ١٦٠ كيلومتراً. وتايلر هذه مرتع احلام، اذ تضم كلية تكساس الجامعية ومدرسة للتلاميذ السود.

وسمع ويلك اهالي ديبول يقولون ان الشخص الذي يجهل القراءة والكتابة لن يتعلمهما البتة بعد سن البلوغ. فنمو الذهن يكون اكتمل بحيث يغدو التلقين مستحيلا. وما ان سمع تلك الفكرة حتى ارتعدت فرائصه. غير انه رفض تصديقها، وظل مصمماً على دخول الجامعة.

لكنه في الوقت نفسه ما فتىء يعمل في المنشرة يوماً بعد يوم. وكان يستعير الكتب المدرسية الابتدائية ويقرأها مساء، مراجعاً الحساب وقواعد اللغة. ووقع بين يديه كتاب رياضيات. وعلى رغم انه لم يفهم شيئاً من رموزه فانه رفض ان يضعه جانباً.

وكان كلما اخذ راتبه يومياً جعله ثلاثة اقسام: واحداً لحاجات اخواته وامه وواحداً لحاجاته المتواضعة. اما القسم الثالث، وهو الأصغر والأثمن، فقد ادّخره على اسم الحلم.

وانقضت سنوات اربع من العمل والدرس. ورويداً رويداً اخذت صعوبات الرياضيات تتذلل امام عناده. وصادف ذات احد ان زار الدكتور و.ر. بانكس رئيس كلية تكساس بلدة ديبول محاضراً. وأصغى ويلك مشدوهاً الى ذلك الرجل الطويل القامة الواسع المعرفة الذي تأتيه الافكار طيعة كما لو كانت مفاتيح موسيقية. وبعد المحاضرة ذهب اليه واعترف بان مستواه المدرسي يقف عند الصف الابتدائي السادس وهو في الثانية والعشرين. لكنه اضاف انه ادّخر مقداراً من المال وانه مستعد للعمل الدراسي الشاق.

وتأمل رئيس الكلية في وضع الفتى المتحمس. ودلته تجربته على انه تجاوز سن الدراسة، الا انه لم يَقْوَ على البوح له برأيه، بل حاول المواربة بقوله ان لا شيء يستحيل على ذوي الارادة.

وفي خريف تلك السنة جهز ويلك متاعة وتوجه الى تايلر.

النشيد الثالث

في كلية تكساس هزّ المسؤولون الاداريون رؤوسهم بأسى. فمعلومات الفتى الذي اتاح له الرئيس الدخول هزيلة، ولغته اقرب الى اللغو. ثم من يجرؤ على القول له انه تجاوز سن الدراسة؟ الافضل ان يُترَك ليكتشف ذلك بنفسه.

وأُعطي حجرة صغيرة للنوم واوكل اليه اذكاء الفحم في موقد المهاجع. وقيل له ان طريق المعرفة تبدأ في المدرسة الابتدائية. وهكذا وجد ويلك نفسه، في الثالثة والعشرين، يطوي رجليه بجهد تحت طاولة صغيرة، وقد احاط به اولاد في السنة الابتدائية السادسة.

غير ان ويلك نظر الى الامر كفرصة سانحة، لا كاهانة. واذا استطاع اجتياز ذلك الصف، فهو سيدخل المدرسة الثانوية التي خصصتها الكلية لاعداد المعلمين.

ولكن ما ان اجتاز الامتحان النهائي وغادر لعطلة الصيف حتى ظن المسؤولون انه لن يعود البتة. ولشدّ ما كانت دهشتهم حين رجع مع الخريف وباشر دروسه الثانوية.

في تلك السنة اكتشف المكتبة، وكانت مكاناً مهيباً وصامتاً مثل معبد. اما القائمة على المكتبة فكانت السيدة غلوفينيا بانكس زوجة الرئيس. وقدّرت الشاب ويلك ايما تقدير وهو يمشي في الأروقة ويمسك المجلدات باجلال.

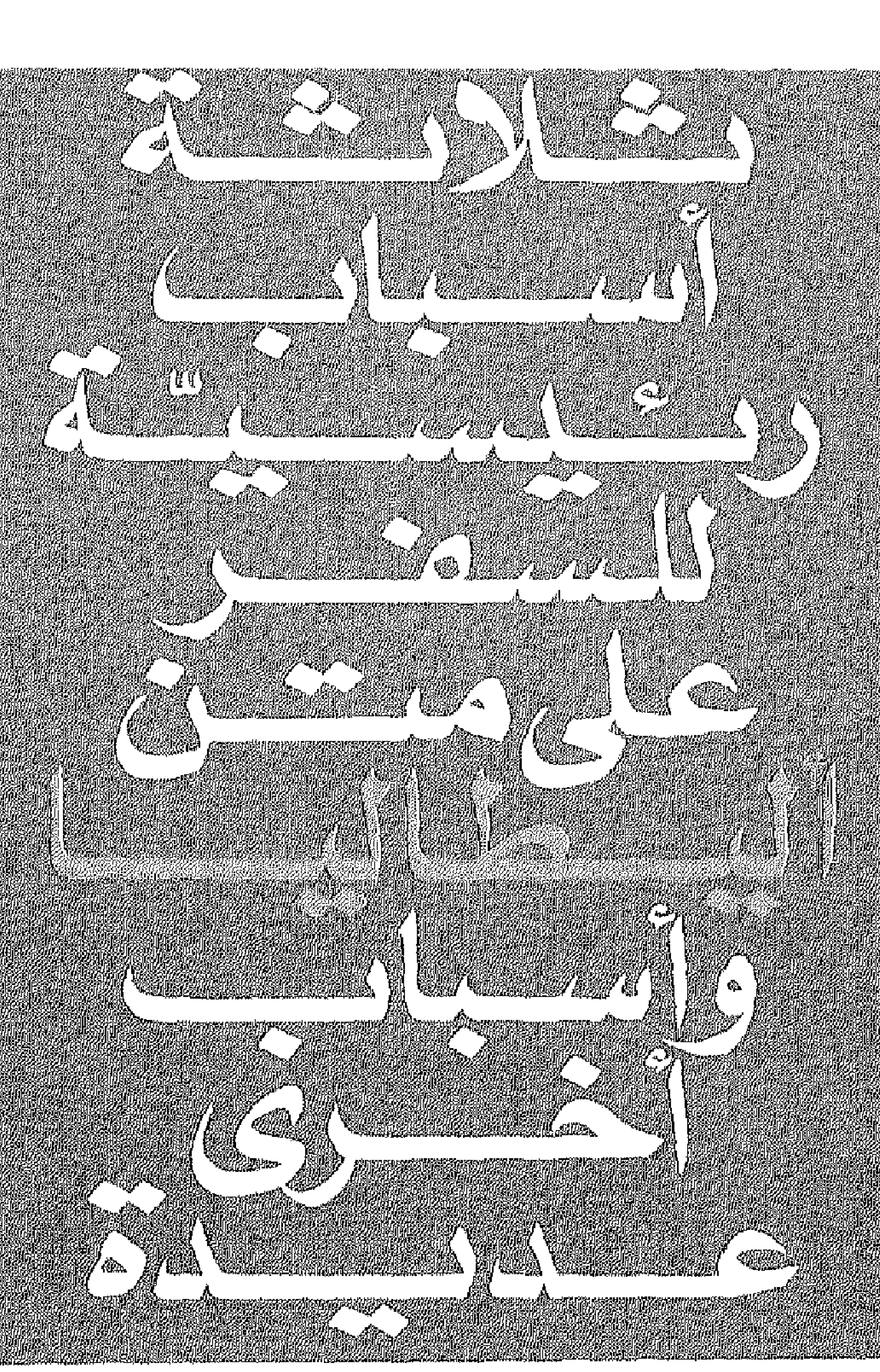
واستمد ويلك شجاعة فائقة من الكتب. وكلما وقع على قول قيم كان يحفظه عن ظهر قلب. وفي مجلد خاص بالأقوال المأثورة وقع على الشعار الآتي: "ثابر على المثابرة". ولم يَنْسَ تلك الكلمات طوال حياته.

ومن معلماته شابة اسمها جنيفا كراوتش، وهي من أجمل النساء اللواتي شاهدَهنّ حتى ذلك الحين. لكنه لم يبُح لها البتة باعجابه، لأن هذا الامر كان ينافي مبادىء العلاقة بين التلاميذ والمدرّسين.

وفي ربيع ١٩٢٨ انهى ويلك دراسته الثانوية. وكان في الثامنة والعشرين حين دخل كلية تكساس الجامعية طالباً في السنة الاولى. وباشر دروساً في اللغة الفرنسية بعدما درس اللاتينية في السنوات السابقة. وصارع علم الجبر وجعله طوع امره. واخذ دروساً في الرياضيات المتطورة والكيمياء والتاريخ.

واخذت الكلية تتقلص بعدما تركها الدكتور بانكس ليغدو رئيساً لكلية براري فيو الزراعية على بعد ٣٠٠ كيلومتر. ولما ذهبت جنيفا الى هناك ايضاً، قدّم ويلك طلباً الى تلك الكلية وقُبل.

هناك ركز انظاره على الرياضيات، وكان الوضع الاقتصادي شهد ازمة قوية عام ١٩٢٩، وايقن ويلك انه لن يستطيع الالتحاق بكلية الطب فوراً. وهكذا عقد العزم على تدريس الرياضيات في المرحلة الثانوية. وأرسل طلبات عدة الى المدارس


ثلاثة
أسباب
رئيسيّة
للسفر
على متن
اليطاليا
وأسباب
أخرى
عديدة







الخاصة بالسود في ولاية تكساس، لكنها رفضت طلبه.

النشيد الرابع

بعد التخرج، بقي ويلك في الكلية ينتظر رسالة قبول من احدى تلك المدارس. الا انه لم يحصل على شيء. وعرض وضعه على غلوفينيا بانكس التي تذكرت مثابرته على المطالعة في مكتبة كلية تكساس. وسألته هل فكر على الاطلاق في ان يصبح مدير مكتبة.

وحدّق ويلك اليها ملياً وقد راقته الفكرة. وتذكر ان "الدكتور" في رأي ابيه كان يعني الانسان المثقف. وهذا ليس بالضرورة الطبيب. وما معنى مدير المكتبة سوى حارس المعرفة الامين؟

وبعدما اتخذ قراره، طلب منحة دراسية لمتابعة دورة في علم المكتبات في معهد هامبتون في فرجينيا. وقبل طلبه. ثم عرض فكرة الزواج على جنيفا كراوتش. فقبلت طلبه هي الاخرى.

وفي خريف تلك السنة ودّع ويلك عروسه وذهب الى فرجينيا بحماسة شديدة لاكتساب المزيد من المعارف. وايقن ان السفر من وسائل القضاء على الجهل، فعقد العزم على الرحلة.

واشترى سيارة عام ١٩٣٥ واصطحب زوجته الى مدينة نيويورك لتمضية الصيف في جامعة كولومبيا. وبعد ذلك ذهبا الى مقاطعة كيبيك الكندية حيث الناس ينطقون لغة اخرى. الا ان ويلك كان يعرف تلك اللغة.

ولما عاد الى بيته جلس يفكر في هذا العالم الكبير الذي تتوزعه اقوام كثيرة تتكلم لغات مختلفة. ووجد ان معلوماته اللغوية، التي تضم الفرنسية وبعض الالمانية الى لغته الام، لا تكفي لتجعل منه مواطناً للعالم. وصمم على ان يفعل شيئاً لجبه ذلك الواقع.

وفي العام ١٩٤٤ دُعي ويلك الى العمل في مكتبة كليفلاند العمومية في اوهايو، وهي احدى اكبر المكتبات من نوعها في الولايات المتحدة. وانضم الى الفريق المسؤول عن تقويم الكتب الجديدة الواردة. وفي اواسط الاربعينات كان موضوع الكثير من الكتب يدور على روسيا.

وتمنى ويلك ان يتكلم الروسية. ولكن لم لا؟ وهكذا غدت الروسية لغته الاجنبية الثالثة.

وانتقل ويلك عام ١٩٤٨ الى مكتبة معهد تاسكغي في ولاية آلاباما. وفضلا عن شغفه باللغات تولد لديه شغف بالمحركات الصغيرة. وعلم نفسه اصلاح جزازات العشب المعطلة، بدءاً بالآلة التي يملكها هو. ولما تسنى له ذلك، راح يعرض خدماته على جيرانه.

وبلغ ويلك الخمسين وهو في آلاباما. وكان يجلس في المكتبة، يفهرس الكتب ويساعد الطلاب. لكنه اراد الذهاب الى المانيا واوستراليا، والى امكنة كثيرة اخرى، بل الى كل مكان.

وفي تلك الاثناء تلقى رسالة من صديق في كلية مورغان في بالتيمور، يقول له ان الكلية في حاجة الى استاذ

في علم المكتبات ويسأله ان كان الأمر يهمه٠

وللمرة الاولى في حياته وقف ويلك متردداً حيال امر جديد٠ وفكر في نظام التقاعد الذي اعتمده معهد تاسكغي والذي يتفوق على نظام كلية مورغان٠

وتلقى رسالة اخرى من صديقه في بالتيمور، اشار فيها الى ان اساتذة مورغان يعملون تسعة اشهر في السنة، وان عطلتهم الصيفية تمتد ثلاثة اشهر٠ واذا قبل ويلك تلك الوظيفة، فسيكون لديه ما يكفي من الوقت لتحري كل ما يشاء٠

وتأمل ويلك في الرسالة، متوقفاً عند الاقتراح الاخير حول قدرته على ان يفعل ما يشاء خلال العطلة، مما يعني ايضاً ان يذهب الى اي مكان يختاره٠

وفي كلية مورغان، غدا ويلك بيترز مثال المعلم الصديق الذي لا يكره شيئاً سوى الجهل كما عُرف بولعه بدراسة اللغات وباختفائه طوال العطلة الصيفية٠

وكان يسافر بنفقات متواضعة، ولا يقيم الا في بيوت الطلبة او مع العائلات، مراقباً طرائق العيش ومتعلماً اللغات٠ وكانت جنيفا ترافقه في بعض اسفاره، واحيانا تفضل المكوث في البيت٠ ودرس ويلك الاسبانية في جامعة برشلونة والحضارة الفرنسية في جامعة السوربون الباريسية٠ وكان كل خريف يؤوب الى مورغان بمكاسب ذهنية جديدة٠

وانقضت السنون الى ان حان وقت التقاعد عام ١٩٦٦٠ وأفرغ ويلك محتويات مكتبه وعاد بها الى البيت وهو سعيد كمراهق في اليوم الأول من عطلة الصيف٠

النشيد الخامس

بعد انعتاق ويلك من واجبات الوظيفة بات في امكانه ان يسافر في الشتاء ايضاً٠ وصار في استطاعته ان يخلد الى النوم ويستيقظ ساعة يشاء٠

وفي صباح اليوم الاول الذي تلا تقاعده، نهض في السابعة وباشر العمل على طاولته٠ وعقد العزم على تحسين لغته الاسبانية قبل زيارة امريكا اللاتينية٠

وامضى فصل الشتاء متابعاً الاسبانية في جامعة مدريد (اسبانيا) ثم في بورتوريكو والبيرو٠ وتنقل في امريكا الجنوبية واوروبا٠

وشعر ويلك بالرضا التام٠ وسنة بعد سنة، كان ينظر الى سحب الجهل تنقشع من حياته٠ واذا كان خارج السفر او الدرس او العناية بالحديقة، او اذا كانت جز٣ازات العشب لدى جيرانه تعمل على خير وجه، فهو كان يبحث عن عمل تطوعي يؤديه٠

ولدى بلوغه السبعين تسلم رسالة من مركز ابحاث تابع لمستشفيات بالتيمور٠ وكان العلماء هناك يبحثون عن متطوعين يكونون موضوعاً لدراسة حول الشيخوخة٠ وسمح لهم ويلك ان يقضوا اياماً في دراسته٠

وسأله طبيب نفسي اين امضي سني حياته٠ فأجاب انه زار ٥٦ بلداً، لكنه لا يتذكر اسماء٣ها جميعاً٠ وحين سُئل ان كانت ذاكرته سليمة، قال

انه ينسى بعض الامور، بما فيها بعض الأقوال المأثورة التي حفظها من دروسه الروسية.

وجاء تقدير فريق العلماء ايجابياً في حاله. غير ان مجرد اهتمامهم به يعني انه في مرحلة الشيخوخة.

لكن هذا غير صحيح بالنسبة اليه. وهو يعرف ان عقله ما زال يعمل بوعي ويقظة. الا ان الشيخوخة امر حتمي، وهكذا الـ...

كلا... انه يكره كلمة "الموت"، ويفضل "الفراق". غير انه، في السبعين، يعرف ان الذي امامه اقصر كثيراً مما هو وراءه.

الا ان تلك الفكرة لم تؤثر في تحريه المزيد من الالمانية والاسبانية، ثم مباشرة الايطالية. وكان في الثانية والثمانين عندما باتت اللغة الايطالية حبه الجديد. والايطالية تعني له ربيع العمر.

وذات يوم بلغته رسالة من كلية براري فيو تسأله ان يكون خطيب حفلة التخرج للعام ١٩٨٢. ووجد ويلك شرفاً كبيراً في ذلك. ووضع كتب اللغة الايطالية جانباً واكب على خطابه. ولم يكن ذلك بالأمر السهل. وعلى رغم معرفته الكثير من اللغات فان الوقت حان لكي يتكلم القلب من الأعماق.

ترى ماذا يستطيع ان يقوله للطلاب الشبان الذين لم يمشوا البتة خلف الثيران؟ وتذكر المراهقين الذين كانوا يعبرون امام منزله وهم لا يدركون مدى جهلهم. ووجد، وهو يسعى الى العبارات الصادقة، غضباً حبيساً في ذاته، غضباً حيال التذمر الذي يسمعه حوله على الدوام.

واخيراً وقف امام الجمهور، وروى سيرته، ثم اراد ان يدعمها بعظة، فقص حكاية تدور على زوجين من السود. لقد فقد الزوجان كل ما يملكانه من جراء الافراط في الشراب وسوء الادارة. لكنهما ما برحا يلقيان تبعة تلك المحنة على "الرجل الابيض".

اجل، التمييز العنصري واقع محسوس. إلا ان الشجاعة واقع محسوس ايضاً. لذلك، قال للجمهور، "يجب ان نثابر على المثابرة."

ونزل عن المنصة.

وما ان عاد الى البيت حتى استأنف دروسه الايطالية بحماسة. وبعد شهر طار الى روما.

وها هو بيترز العجوز وزوجته يحلمان برحلة الى الصين.

وبعد ذلك؟

يجب ان نثابر...

■ جون فرانكلين

برهان النجاح

بعد سنوات من اتباعها نظام حمية غير مجد،استطاعت اختي اخيراً التخلص من بعض سمنتها بناء على تعليمات طبيب. وبدت ملابسها واسعة، فنصحتها زميلة في العمل باعادة تفصيلها لتلائم جسمها. الا أن اختي اعترضت على النصيحة قائلة: "ليس الآن، اذ أحب الابتهاج قليلا بالانجاز الذي حققته."

ر.د.

فجأة، في ذلك الصباح الباكر، تغير شيء ما في هواء الغرفة وفي جو المنزل كله

ساعة لله



كان عيد ميلادي صباح ذلك اليوم من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٨، غير اني أحسست قوة تدفعني الى الخارج وانا أحمل حقيبتي وأتوجه الى فطور عمل. لقد عاملتني الحياة معاملة حسنة على وجه العموم. وكان زوجي واولادي في خير حال، وشركة الاعلانات الصغيرة التي أسستها اصابت نجاحاً. لكن شيئاً بدا ناقصاً، شيئاً لم يكن له أسم، شعرت به كبعض فراغ داخلي.

وحين دخلت المطعم وجدت دون كامبل ينتظرني، وهو شخص طويل القامة، ذو فكين مستطيلين هزيلين وخدين غائرين، في الستينات من عمره. وكان مستشاراً ناجحاً في شؤون التسويق وقريباً الى قلوب الناس. وطالما قدرت فيه الهدوء والسلام.

وفيما نحن نتناول البيض المسلوق رحنا نتحادث حول مشروع اعلاني. ولما فرغنا من الحديث المهني شكوت له امري ووصفت له ذلك الشعور المزعج بالفراغ.

وسألني دون: "أتريدين ملء الفراغ؟"

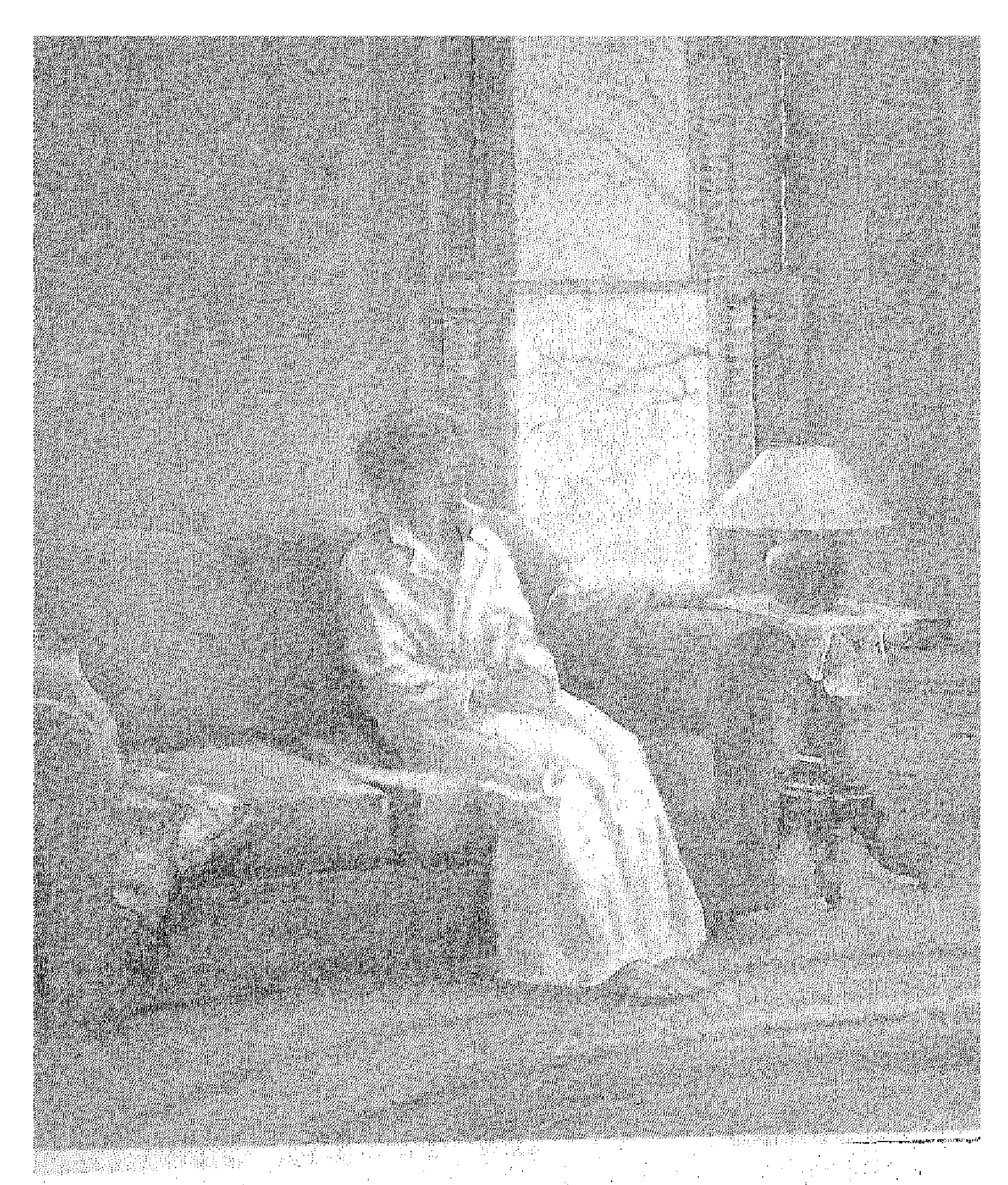
ـ أجل، وكيف لا؟

"اذاً، باشري نهارك بساعة صلاة."

ـ ليس لدي وقت لذلك!

"هذا ما قلته تماماً قبل عشرين سنة. وكنت رئيساً لشركة اعلان في شيكاغو، وكان وقتي ملسيئاً بالواجبات. وعلى رغم ايماني بجدوى الصلاة اليومية فاني لم أجد وقتاً لها. وراودني شعور ان حياتي تفلت من قبضتي. ثم اخبرني صديق أني أفعل اموري على عكس ما ينبغي. وأضاف: "انت تحاول ان تدخل الله حياتك، ولا تدري ان الصحيح هو العكس: فأنت تحتاج الى الدوران في فلك الله. وعليك ان تكرس لذلك الامر ساعة كل يوم، اذ هكذا يكون الالتزام". والهدف ان يقتطع المرء جزءاً مهماً من حياته ويعطيه لله."

ورفت عينا دون وتابع: "ظننت ان صديقي فقد صوابه. ومن أجل تكريس ساعة لله، علي تعويضها بالنهوض من النوم ساعة أبكر من المعتاد. وهذا



يعني خسارة ساعة من الراحة قد تؤدي الى مضاعفات صحية. لكني أقول لك اني لم أعرف المرض طوال عشرين عاماً."

غادرت المطعم باضطراب. ساعة صلاة؟ هذا غير معقول! الا اني لم أستطع نزع فكرة دون من ذهني.

ومن غير ان أقول شيئاً لزوجي او لاولادنا الثلاثة المراهقين - ضبطت منبه الساعة على الخامسة صباحاً، علماً اننا نعيش في القطاع الغربي الاوسط من الولايات المتحدة، حيث الطقس بارد والجو قاتم في الخامسة صباحاً خلال شهر فبراير (شباط). وشدني دافع الى البقاء في السرير، غير أني استجمعت قواي ونهضت.

ولفني الظلام من كل جانب، ومشيت على رؤوس اصابعي الى غرفة الجلوس غير آبهة لكلب الصيد "بورت" الذي نملكه، وجلست على

الاريكة. ووجدت من الغريب باديء الامر ان أكون وحدي مع الله، من غير طقوس دينية. وحدي، نعم، مع الله، ولمدة ساعة.

ونظرت الى ساعة يدي وقلت: "حسناً يا الهي، اني هنا... وماذا بعد؟".

وكنت اود القول ان الله اجابني الحال. ولكن لم يكن هناك سوى الهدوء. وحاولت ان اصلي فيما انا انظر الى شروق الشمس. لكني، عوض الصلاة، رحت أفكر في ابني آندي والمشادة التي حصلت بيننا اليوم السابق. وفكرت ايضاً في زبون واجه مأزقاً تجارياً. كما فكرت في جملة أمور تافهة.

غير ان تلك الافكار تلاشت تدريجاً. ورحت اتنفس ببطء الى ان أحسست هدوءاً داخلياً. وبت أسمع أخف الاصوات، كصوت البراد وذيل الكلب وهو يضرب الارض واصطدام الاغصان المتجمدة بالنافذة. وبعد ذلك شعرت دفء المحبة التي لا أعرف كيف أصفها. وبدا لي ان هواء الغرفة بات مختلفاً، كذلك المقعد الذي أجلس عليه وجو المنزل كله.

وبعد خمسين دقيقة من الجلوس هناك باشرت صلاتي. ووجدتني لا ألجأ الى العبارات المعهودة والمحفوظة غيباً، ولا الى سلسلة الطلبات: "اعطني يا الله هذا الشيء او ذاك."

لقد قيل لي، طوال حياتي، ان الله يحبني. غير اني، صبيحة ذلك اليوم البارد من فبراير (شباط)، أحسست محبته التي غمرت كياني وجعلتني أبقى ربع ساعة مسبحة اياه تعالى. ثم رن جرس ساعة آندي ونبح بورت، ايذاناً ببدء النهار. لكن حرارة تلك المحبة سرت في كياني بقية ذلك اليوم.

وفي الصباح التالي بدا المنزل أشد عتماً وبرداً. غير ان ذلك لم يثنني عن النهوض. وقلت لنفسي: "ها أنا أنجح، هذا اليوم ايضاً، في تخصيص ساعة لله." والكلام نفسه قلته صباح اليوم الثالث.

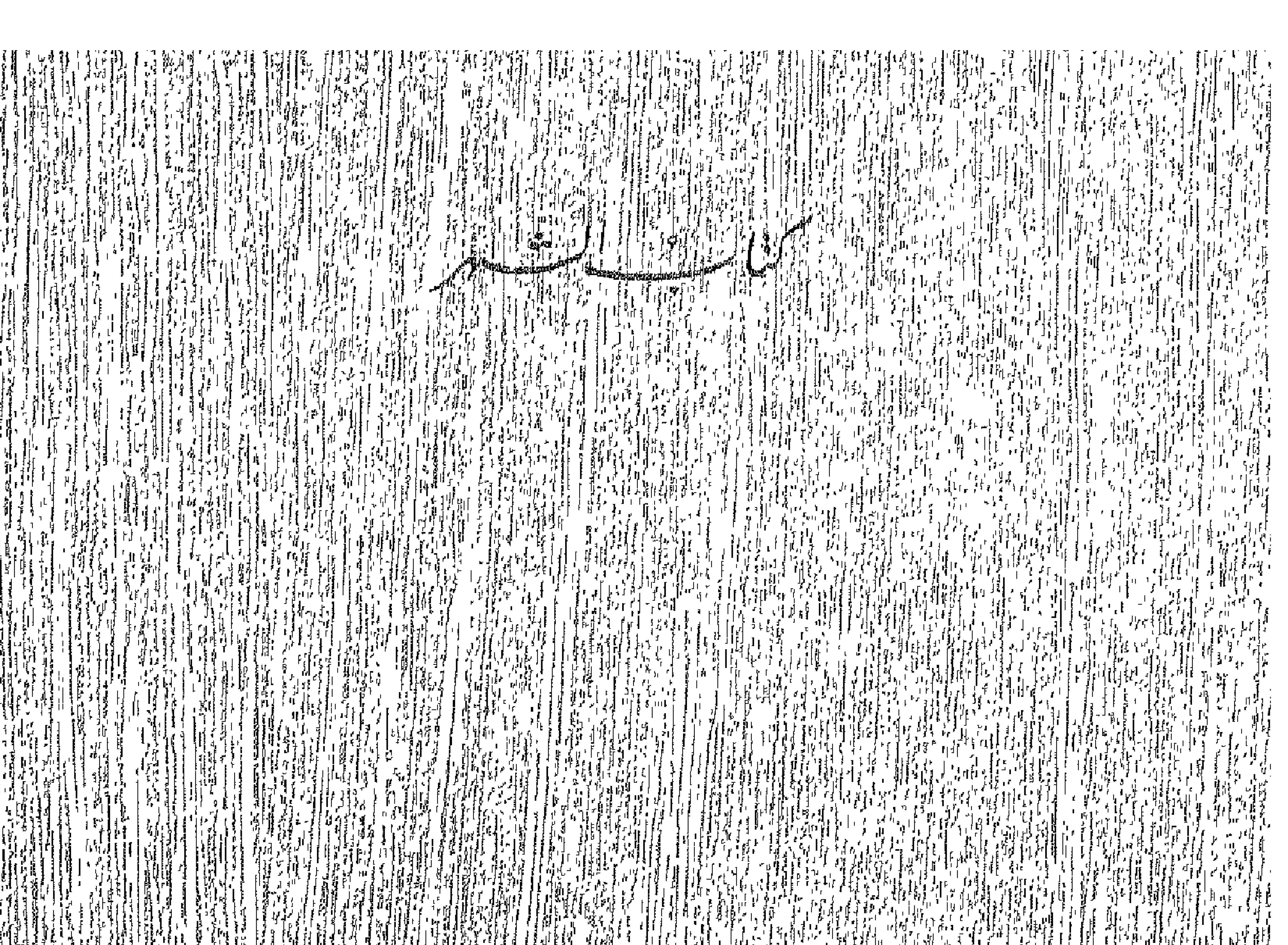
ويوماً بعد يوم، انقضت ست سنوات على هذا المنوال.

وشهدت تلك السنوات ازمات كثيرةفي اوضاعي العائلية والمهنية. وكنت اخرج من كل أزمة منتصرة بفضل تلك الساعة الصباحية مع الله التي أتاحت لي وضع كل شيء في سياقه واكتشاف الله تعالى في كل مكان. وكلما وجدته بدا حل جميع المسائل ممكناً.

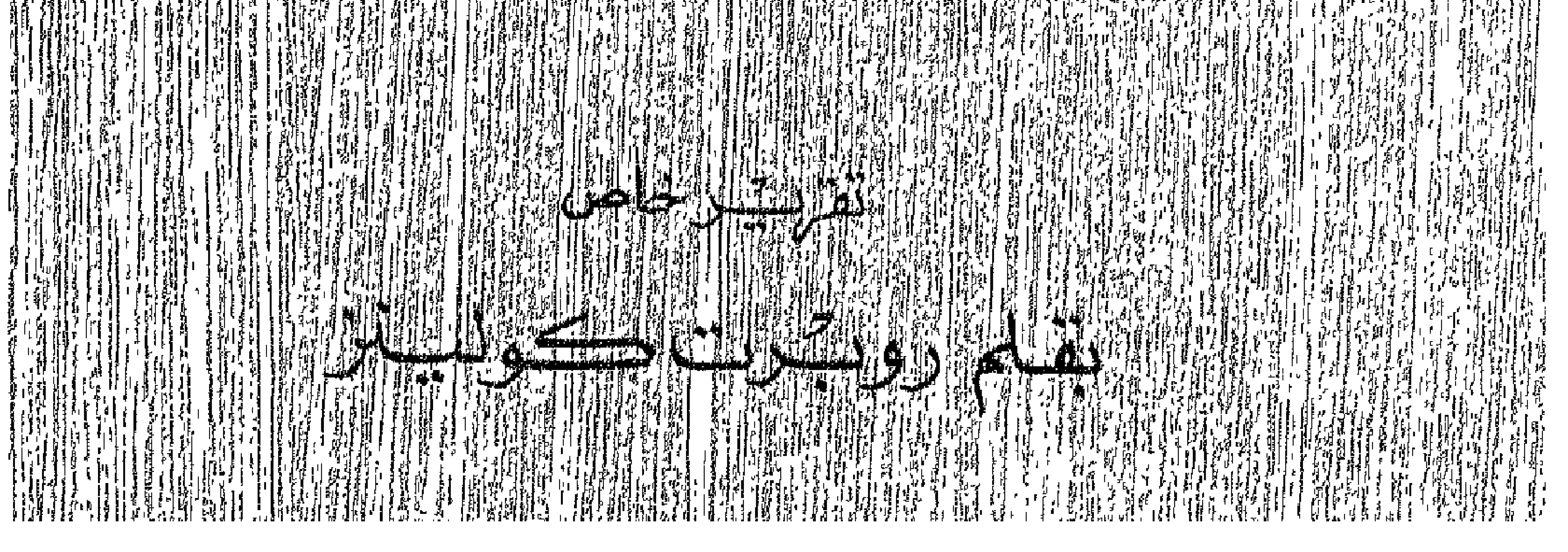
وفي بعض الصباحات أجدني امتلأت سريعاً بحضور الله ومجده. لكني في صباحات اخرى، لا أشعر شيئاً. واذ ذاك أتذكر امراً آخر قاله لي دون كامبل: "ثمة أوقات لا يأتي الله الى هيكلك. وهذا يعني أنك تقضين الوقت في غرفة الانتظار الالهية. غير أنك هناك، والله يقدر وجودك حيث أنت. والمهم في الامر هو الالتزام، اي تسليم ذواتنا للـه."

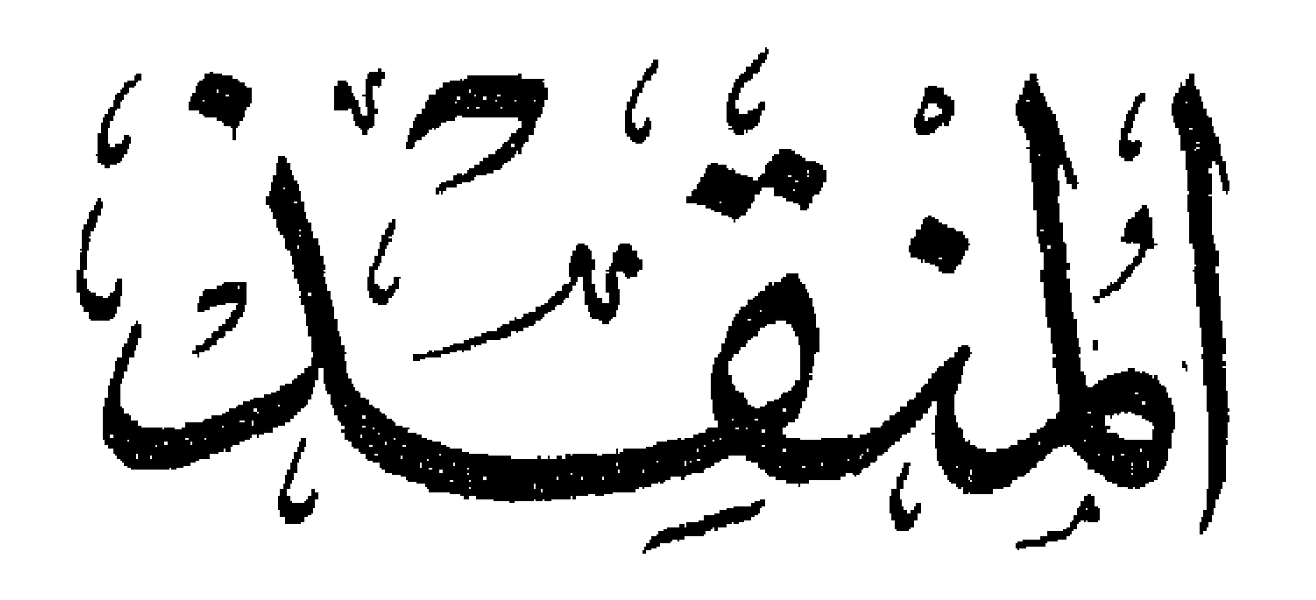
وأشهد ان حياتي باتت أفضل كثيراً بفعل هذا الالتزام. والحق ان استهلال النهار بساعة صلاة ملأ فراغ حياتي حتى الفيض.

■ **بربارة بارتوتشي**


كتاب الشهر


المنقذ


تقرير خاص
بقلم روبرت كولينز



لأكثر من ثلاث سنوات ظلّ الميجور الدكتور بن ويلر يدوّن يومياته خلسة عن أعين سجانيه اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية. وكان الطبيب الكندي الشاب على علم بالعقوبة الوحشية الملازمة لعمله، غير ان ذلك لم يثنه عن متابعته. وسرعان ما وجد في تلك اليوميات، التي جعل منها خطابا موجها الى زوجته، ما يستحق البقاء من أجله. وأمده ذلك بالسَّند المعنوي والجسدي الذي جعله يقدّم افضل عناية طبية وانسانية ممكنة لزملائه الأسرى، ويشدّد عزائمهم.

١٣

يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣.

الوقت يمرّ على نحو او اخر بأيامه السريعة. غير ان اسابيعه تبدو اشهرا وأشهُره سنوات. ومن الصعب ألا تتثبّط عزيمة المرء. والواقع ان عملي عسير جدا بلا ادوية. ويوما بعد يوم تزداد الاصابات الناجمة عن نقص الفيتامين الغذائي.

ولقد اشتد الصقيع بعد سقوط الثلوج على القمم. لكن العديد من الرجال يعملون بسراويل قصيرة. وفي الأكواخ لا يسمح لهم بالاسترخاء او بـاستخدام الأغطية. واذا عصوا الأوامر عـوقبوا بالضرب العنيف، بغض النظر عن حالهم الصحية. وكل يوم يفقد واحد او اثنان او ثلاثة منهم الوعي بفعل الهزال والتعرُّض لأحوال الطبيعة. وفي الايام العشرة الاخيرة أنقصت كمية الرز الى النصف او اقل. ولا يسعنا المضي على هذا المنوال طويلا.

يا الهي، متى تحين نهاية هذا العذاب؟ وكيف تراها تأتي؟ الا انه في امكاننا ان نعيش من يوم الى يوم من غير ان نفقد الشجاعة او الامل.

في كوخ حقير من الخيزران على جزيرة فورموزا (تايوان اليوم) التي يسيطر عليها اليابانيون، حرص الميجور بن ويلر حرصا شديدا على اليوميات التي كان يدوّنها خلسة، وحفظها بعيدا عن اعين سَجّانيه. وكانت تلك الايام اكثر ايام الحرب العالمية الثانية قتاما. فالمانيا ما زالت تستولي على معظم اوروبا واليابان على شرق اسيا.

وفي ذلك المخيم المخصص لأسرى الحرب في تايهوكو خارج البر الصيني، جعل الطبيب الكندي الشاب من مفكرته حبل سلامة ورجاء.

ولم تكن زوجته نل في بلدة ادغرتون الكندية عرفت شيئا عنه ولا هو تسلم رسالة منها منذ وقوعه اسيرا في سنغافورة قبل احد عشر شهرا. وما لبث العالم الخارجي ان حُجب عنه فترة طويلة. غير انه، من حيث الظاهر، لم يدع مجالا الا للرجاء، وان يكن في اعماقه خشي الا يرى زوجته وبلده البتة.

وظل، ليلة بعد اخرى، يخاطب زوجته نل على اوراق مفكرته، معبرا عن حبه وألمه وتطلّعاته وأحداث يومه، وقد استخدم ريشة وحبرا عصره من الأماليد والاوراق والطين. والعقوبة الملازمة لكتابة المذكرات لم تكن اقل من الضرب المبرّح. لذلك خبأ ويلر مفكرته بين اوراقه الطبية التي سمح بها السجانون. وأعانته المفكرة وحبه لزوجته على البقاء، كما اعاناه على خدمة مئات الأسرى الذين وُضعوا في رعايته الطبية.

تلك الليلة من العام ١٩٤٣ كان بن ويلر في الثانية والثلاثين، وهو رقيق الكلام وذو عينين رماديتين حادقتي النظر وشعر بني مائل قليلا الى الوراء. وكان طوله ١٧٩ سنتيمترا ووزنه الطبيعي ٧٢ كيلوغراما قبل ان يصيبه الهزال على غرار زملائه في ذلك السجن القاسي.

وكان ويلر الكندي الوحيد في تايهوكو بين مئات الانكليز والايرلنديين والاسكوتلنديين والهنود والاوستراليين. وفي العام ١٩٣٦ حملته الأزمة الاقتصادية الى انكلترا مع

زوجته الحبلى. وكان تخرّج لتوّه في جامعة البرتا، وليس لديه اي مبلغ من المال ليفتح عيادة طبية. وهناك وُظف في اللجنة الطبية التابعة للهند. وفي لندن راح يدرس ١٨ ساعة يوميا لانهاء دورة قصيرة مكثفة في الطب الاستوائي، ذهب بعدها الى الهند في بداية العام ١٩٣٧.

وتبعته نل مع بكرهما هاري المولود حديثا. وكانت شقراء ناحلة ذات عينين زرقاوين وطبع مَرِح، الأمر الذي بعث الحبور في نفوس مواطنيهم هناك. والى حين، بدت الحياة طيبة في مجمّع الموظفين الأجانب بالقرب من المستشفى العسكري الهندي في كراتشي. وولد لآل ويلر ابنان اخران سمياهما كينيث وألان. وأسوة بسائر الضباط في ايام الامبراطورية البريطانية الاخيرة، أعطي آل ويلر منزلا مليئا بالأثاث والخدم. ومع اندلاع الحرب الثانية عام ١٩٣٩ بدا غريبا ان يكون المرء في ذلك المكان القصيّ.

وشهد العام ١٩٤١ نهاية الحياة الهانئة. وفي مارس (آذار) من ذلك العام أبحر ويلر مع فرقة عسكرية بريطانية الى كوالمبور (ماليزيا) فيما استعدت نل للعودة الى كندا مع اطفالها الثلاثة. وفي ٧ ديسمبر (كانون الاول) اعلن اليابانيون الحرب على الحلفاء، وبدأوها بهجوم على قاعدة بيرل هاربور الامريكية في هاواي. وتابع العدو زحفه طوال الشتاء والربيع حتى استولى على الفيليبين والملايو وهونغ كونغ وجزيرتي ويك وغوام. وظن البريطانيون ان سنغافورة، بمدافعها القوية الموجهة الى البحر استعدادا لصد اي هجوم، غير قابلة للاختراق. غير ان اليابانيين تسللوا من الوراء وسحقوا اعداءهم في ايام. وكان ذلك بعد اسبوعين من وصول ويلر الى هناك.

١٣ فبراير (شباط) ١٩٤٢.

اليابانيون يطبقون علينا على هيئة نصف دائرة حول المرفأ الرئيسي، وهم يطلقون النار في كل اتجاه، خصوصا في الليل. وفي النهار ترتفع حجب الدخان الكثيفة من القاعدة البحرية المحترقة، وما تلبث ان تخيم على الجزيرة.

حاول ويلر مع صديقين الهرب بواسطة قارب مسروق. وقبل ان يبلغا الماء قتل احد الصديقين وأصيب الآخر في ذراعه، لكن ذلك لم يثنه عن النزول الى الماء. وحاول مع ويلر الانطلاق باحد القوارب، الا ان حركة الريح والماء عاكستهما. وزحفا باكتئاب الى الشاطىء استعدادا للاستسلام.

كان الخوف يملأ المكان، والغزاة ينطلقون من قرية الى اخرى ويقطعون رؤوس المسؤولين الصينيين الكبار ويعلقونها على أعمدة في الساحات العامة لتكون أمثولة للناجين. وفي سنغافورة اقتحمت القوات اليابانية مستشفى وطعنت بالحراب نحو مئتي مريض وموظف، وادّعت بعد ذلك انها كانت تدافع عن نفسها على اثر التعرض للنار من ذلك المبنى.

١٦ فبراير (شباط) ١٩٤٢.

الاضطراب يجرّ الاضطراب. ويظهر

امامنا اليابانيون، للمرة الاولى، بأجسامهم الصغيرة القذرة وسيقانهم القصيرة، وقد حمل كل ضابط منهم سيفا بطوله. ومن العسير ان يتصور المرء كيف امكنهم ان يغلبونا بهذه الجدارة والرشاقة.

احيانا كان بن يهيجه الشوق الى نل، فينظر عبر القناة الضيقة الى البر وهو يفكر في امكان عبورها ليلا. وبدت السباحة الى الضفة الاخرى ممكنة، لكن أدغالا واسعة كانت تقوم وراء الضفة على امتداد الفي كيلومتر. وتخلى بن عن تلك الفكرة، عاقدا العزم على اقصاء نل قليلا عن خياله.

٢٠ أبريل (نيسان) ١٩٤٢.

ماذا سيحل ببعضنا قبل نهاية هذه المأساة. اني، من ناحيتي، اتوقع اسوأ العواقب. ولكن لا جدوى من البكاء على ذلك... ترى ما الذي تفعله نل الآن؟

منذ ذلك الحين كثر ذكر نل في تلك المفكرة. وما لبث بن ان انتقل الى مخاطبتها على نحو مباشر. وغالبا ما كان يراها في احلامه. وفي يونيو (حزيران) سُمح لكل اسير بأن يرسل بطاقة بريدية واحدة الى بلده. وكتب بن: «يا نل الحبيبة! انهم يعاملونني كأسير حرب. لكني في صحة ممتازة وغير مصاب بجروح. بلّغي العائلة اطيب تحياتي، ولكِ ولاولادنا الثلاثة قبلاتي. مع حبي كله الى الأبد. بن.»

وتوقع ان تبلغها البطاقة مع عيد الميلاد. غير ان وصولها استغرق سنة كاملة.

رحلة في مركب قطيع

كان بن ويلر ونل بوزي في الثانية عشرة عندما تم لقاؤهما الاول في ادغرتون التي تبعد ٢٤٦ كيلومترا عن ادمونتون. وكانت هي من عائلة كبيرة وسعيدة وغنية، تعمل في الزراعة. اما ابوه الذي اعتاد التنقل من مكان الى آخر، فكان يبدّل عمله كلما بدّل اقامته. لكن والدته كانت معلمة وغرست لديه حب العلم. وادرك بن منذ حداثته انه يريد ان يصبح طبيبا.

وقد صادفته نل خلال زيارتها ابن عمها المقعد فيليب الذي كان على وشك الوفاة من علة في القلب. وقال لها فيليب وهو يقدّم بن: «ان لديّ صديقا مخلصا حقا، هو هذا الذي ترينه امامكِ.» ونظرت نل، فرأت بن في الخارج امام النافذة ومعه جواد فيليب الذي كان يعتني به وقد حمله اليه كي يراه.

ومنذ ذلك الحين نشأت صداقة بين بن ونل، وظل قريبا منها ما استطاع الى ذلك سبيلا. وكان، خلال فرص الصيف في مرحلة دراسته الثانوية، يعمل في مزرعة ذويها. وعندما احتاج الى المال لدخول الجامعة اقنعت عما لها باعطائه قرضا.

وفي العام ١٩٣٢ وجد بن ونل، وقد بلغا الحادية والعشرين، انه لم يعد في استطاعتهما الانتظار. وفي يوم ماطر من يوليو (تموز) استعارا سيارة وذهبا بها مسافة ٩٥ كيلومترا شمالا الى لويدمنستر حيث تزوجا سرا. وعاشا منفصلين طوال السنوات الثلاث اللاحقة، ولم يجتمعا الا في نهاية كل اسبوع.

وبعد تخرجه في الطب تدرّب في

مستشفى جامعة البرتا. وبعد ذلك تبعا الطريق التي قادته الى فورموزا.

. ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٢.

اليوم عيد ميلاد حبيبتي الـ ٣٢. آهٍ لو كان لي ان اكون معها... ولكن كيف لي الا انتف شعري والعن الاقدار حين افكر في هذا الوقت المهدر من حياتنا، وهو افضل الاوقات؟ اني محظوظ حقا بطبيعتي السهلة. ولكن ليس من السهل ان يبقى المرء هكذا، وهو ينظر الى الشهر ينقضي بعد الشهر ولا نهاية في الافق.

البارحة نظفت صور حبيبتي واولادي من الغبار اكراما لعيد نل.

ترى كم من الوقت سننتظر بعد؟

طويلا وسيئا سوف يكون الانتظار.

وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) من تلك السنة اقتيد يلر مع ١١٠٠ جندي بريطاني تابعين للفرقة الهندية الحادية عشرة الى مركب لنقل الماشية، حيث حُشروا في عنابره البالية التي تتصاعد منها روائح الرَّوث. ولم يكن المكان كافيا لكل منهم كي يستلقي على الارض. وظل المطر ينهمر يوما بعد يوم وبليت ملابسهم من الماء. وصادر اليابانيون احزمة النجاة منهم وحظروا الموسيقى والغناء، ولم يسمحوا لهم سوى مرات قليلة بالصعود الى سطح المركب. وكان طعامهم اربعة ليترات من الحساء ودلوا من الرز مرتين في اليوم لعشرين رجلا.

ولبثوا ثلاثة اسابيع في العنابر وسط حرّ شديد. وكان يقضي منهم واحد كل يوم او اثنين بفعل داء الديزنطاريا الذي يصيب الأمعاء. واستشرى الاسهال بينهم. ولم يكن في العنابر مراحيض او اوعية من اي نوع. واضطر بعضهم الى الصعود عشرين مرة يوميا لتفريغ محتويات امعائه. وحاول ويلر ان يساعدهم ما استطاع.

١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٢.

انه يوم جمعة. وغدا ننزل الى اليابسة. البارحة مات زميلنا الذي اصابته حمى التيفوئيد، ودفناه في البحر. وهناك واحد فقط قد لا يصمد حتى الصباح. وانا احاول انقاذه بشتى الوسائل. وهذا يمنحني اسوأ شعور يمكن ان يختبره انسان... آه يا نل الحبيبة، اني اتساءل، للمرة الاولى، هل سأراكِ؟

أنزل القارب مراسيه في فورموزا تحت المطر الغزير. وبعد مسيرة خمسة كيلومترات الى مخيم تايهوكو راح اليابانيون ينخسون الأسرى ويصرخون فيهم ليخلعوا ثيابهم وسط الريح الباردة. ثم رشوهم بعقاقير ضد الالتهاب واعطوهم ملابسهم المبللة من جديد، مع قباقيب من خشب. وواظب ويلر على لبس قبقابه طوال السنوات الثلاث التالية. وأمكنه ان يخبىء مفكرته ويضيف اليها.

وكانت اكواخ السجن، التي يؤوي الواحد منها ثمانين رجلا، مبنية بالطين والخيزران، وهي غير مستورة عند قواعدها وزواياها، وقد جُعلت لها ابواب ونوافذ ملبَّسة بالقَصَب. وكانت الريح تقتحمها من

غير شفقة. وأُعطي كل رجل اربع ملاءات رقيقة، مع منصّة للنوم طولها ١٨٠ سنتيمترا وعرضها ٦٠ سنتيمترا.

وفرض على المخيم نظام صارم. وكلما قابل الأسير حارسا تعين عليه الانحناء له. وكل انحناءة غير متقنة كانت تستوجب الضرب واللكم على الفور. وكلما بُدل الحراس كل ثلاثة اسابيع رافقت ذلك موجة جديدة من الضرب حتى تبين ان تبديل الحراس لا يحمل جديدا. وامضى احد الحراس معظم الصباح وهو يضرب الاسرى الذين لم يرقه انحناؤهم. وخلع سنّ احدهم نتيجة ذلك.

٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٢.

حراب برّاقة وحرّاس يصرخون ورجال يسامون الضرب والهوان... ولكن لماذا؟

اني منهمك جدا. فنصف الاسرى اصابه الاسهال والتهاب الحلق. لكن العمل يبعد الافكار المقلقة. وهذا وصف لأحد الأرقام:

٦،٣٠ صباحا: الدعوة بالبوق. تسوية الاسرة. غسل الوجوه.

٧،٠٠ صباحا: عَد الرؤوس خلال نصف ساعة. تحية الضابط الآمر مرتين، ثم تحية القصر الامبراطوري.

٧،٣٠ صباحا: الفطور: الرز المسلوق والشعير والاوراق الخضراء المغلية والخضر.

٨،٠٠ صباحا: الخروج الى العمل. انا شخصيا اذهب الى المستشفى لمعاينة المرضى حتى الظهر.

١٢،٣٠ بعد الظهر: الغداء مثل الفطور.

١،٣٠ بعد الظهر: العودة الى المستشفى وعيادة المرضى في الثكنات.

٦،٠٠ مساء: العشاء مثل الفطور.

٦،٣٠ مساء: عَدّ الرؤوس. الوقوف بين نصف ساعة وساعة مع الانحناء. الذهاب بعد ذلك الى المستشفى.

٨،٣٠ ليلا: إطفاء انوار المخيم.

الحراس يتدفقون الى المخيم طوال الليل. وفي الخارج تبقى الانوار مضاءة. ولكن من الصعب ان ينام المرء بملء اجفانه، خصوصا فوق فراش من قصب. اما الضرب فهو من القوة بحيث نجونا من كسر الاطراف حتى الآن بنعمة الله. والحق اني امقت الانحناء اكثر من اي شيء آخر.

لا بد من ان تكون ادغرتون الصغيرة جميلة جدا اليوم. ولكم يعلمنا الأسر ان الحرية هي اكبر نعمة واكبر معنى للوجود.

لم يكن المستشفى سوى كوخ خالٍ من الادويةِ والتجهيزات. وكان نحو عشرين رجلا يحملون اليه يوميا فيما ينتظر نحو مئة خارجا. وقد أخذ بعضهم يفقد الحس في يديه وقدميه، وهذا من اعراض داء «البري بري» الناجم عن نقص الفيتامين «ب» من الطعام. وأصيب بعضهم بالتهاب في مشط القدم، وهو مرض عظمي يحرق القدم.

وأصيب معظم الرجال باسهال قوي. واستشرى التهاب الحلق في المخيّم. ولم يكن ثمة دواء مضاد للتسمم. غير ان ويلر ومعاونيه مسحوا حلوق جميع زملائهم الأسرى باليود. ولم يقضِ سوى خمسة مرضى من اصل ثلاثين. وأصيب عشرات

الرجال بالاستسقاء الناجم عن الجوع الشديد والمتجلي في انتفاخ الاطراف والبطن. وتمكن ويلر من شفاء بعضهم بسحب السائل الفائض بابرة، وهي عملية موجعة جدا. ومات معظم مرضى الاستسقاء.

وفي غياب طبيب اسنان، اضطر ويلر من وقت الى آخر الى قلع الأضراس. وكانت عدته كلابا وقد استخدم الماء المقطر مكان البنج. وبعد عشر دقائق من حقن اللثة بالماء كان ويلر يسأل المريض: «أتحس شيئا؟» وغالبا ما كان المريض يقول: «كلا.» فيتابع عمله.

٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٢.

أتساءل عن سني الحقيقية. والواقع اني كبرت كثيرا من الناحية الذهنية... آه يا نل، سيأتي يوم لقائنا. انتِ دائما في افكاري، واني محظوظ إذ احيا على امل العودة اليكِ. صلي الى الله لئلا افقد عقلي وسط هذه الظروف. لا، لن افقد عقلي. وهذا امر لا اطيقه.

لم تفقد نل الرجاء والصبر. وبعد سنين تذكرت تلك الايام قائلة: «لقد كان زواجنا قويا جدا.» لكن الواقع كان قاسيا عليها.

وفي ادغرتون كان ابوها اشترى لها المنزل الذي ملكته عائلة بن يوما. ولم تَخْلُ اي زاوية في كندا من آثار الحرب. فالشباب يجندون بالمئات وحفلات الوداع تنفطر لها الاكباد. وبدا للنساء انهن يلدن الاطفال لبريطانيا او اوروبا، وليس لهنّ.

غير ان الرجال الذين ذهبوا الى الشرق الاقصى باتوا طيّ النسيان، الا في افكار عائلاتهم. ونظر معظم الكنديين الى الحرب كما لو كانت حرب الولايات المتحدة. وشقّ على نل ان تتصور اين يمكن ان يكون بن، وهل هو حي.

وكانت تأتيها اعاشة شهرية ضئيلة من الحكومة البريطانية. ثم أجّرت غرفة في منزلها للمدرّسة اديث ماكروبيرتس التي غدت مثل فرد من العائلة. وباتت كل منهما تذهب الى مكتب البريد لتسلّم الرسائل. الا ان معظم الرسائل الواردة من آسيا كانت رسائل نل الى زوجها وقد أعيدت غير مفضوضة. واحيانا كانت اديث تذرف الدمع لمحنة صديقتها. لكن نل لم تيأس البتة.

كم أحبكِ!

كان افضل الا تعرف نل شيئا عن عذاب بن. وما لبث الحراس يعاملون الأسرى اسوأ معاملة، ولا يُظهرون لهم العطف إلا لماما. وفي مطلع ديسمبر (كانون الاول) سمحوا لهم بارسال بطاقة بريدية اخرى الى عائلاتهم. ويوم عيد الميلاد وزّعوا عليهم السجائر واتاحوا للعاملين بينهم ان يستريحوا فترة بعد الظهر. كانوا يعملون في اقامة الطرق واشغال البناء الاخرى تسعة ايام من أصل عشرة.

وكان الفطور والغداء يوم الميلاد كمية الرز والخضر العادية. غير ان العشاء كان متميزا جدا بحسب مقاييس تايهوكو، اذ أعطي كل رجل قطعة لحم. وفكر ويلر

طويلا في بيته، وتصور اولاده يفتحون الهدايا، ووعد نل ان يكون معها في عيد الميلاد التالي.

وفجأة عاد سجن تايهوكو الى سابق عهده. ووُضع عشرون مريضا في غرفة معَدَّة لستة. وكان ويلر يتفقدهم بالزحف بين الأسرَّة. ومنعت كل تسلية في المخيم. وأرغم المرضى الذين لم تستوجب احوالهم العلاج الفوري في المستشفى، على التمرين اليومي والعمل.

وكانت الاوامر على الدوام تُعطي بنبرة قوية، ويلازمها الصفع والضرب. وادرك ويلر آسفا دوافع سلوك اليابانيين. فهم كانوا ينظرون الى الاسرى البريطانيين على انهم من مرتبة دون البشر. ذلك انهم، بدلا من المحاربة حتى الموت او بقر بطونهم تخلصا من عار السجن، اتاحوا لليابانيين ان يقبضوا عليهم. غير ان ادراك ويلر حقيقة الامر لم يخفف المه او آلام زملائه. وكل ما فعله انه قوّى عزيمته وزاد قدرته على التحمل.

٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣.

مهما فعلوا، فهم لن يعطلوا تفكيري في وطني وفي حبيبتي التي اقطع آلاف الكيلومترات لكي اصل اليها... آه يا نل، كم أُحبكِ! لا تصدّقي انه يمكن ان نبقى منفصلين هكذا.

بعدما وضعت الحرب اوزارها قال السجين ماكنزي في زميله ويلر: «كان بن متيَّما بحب زوجته، الامر الذي منحه القدرة على الاحتمال. وكان لديه ايمان قوي، واستطاع ان ينقله الى الآخرين. واذا كان احد رفقاء الأسر يعاني الضيق، فيكفي ان يمكث بن معه بضع ساعات ويحدثه حتى يزول كَرْبه. وكان يعالج المرضى ولا دواء في حوزته، واستطاع شفاء الكثير منهم، لكنه بذل نفسه من اجل ذلك.»

ونقص وزن ويلر كثيرا حتى اصبح ٥٤ كيلوغراما. واصابه مرض العظم الذي يحدث حريقا في القدمين، كما عانى نقص الفيتامين «ب» كالآخرين. واحيانا كان يحاول الاستسلام للنوم، ولكن من غير طائل، وارغمه الاسهال على الذهاب الى المرحاض ست مرات نهارا ومرتين على الاقل ليلا. لكنه نادرا ما انقطع يوما عن عيادة مرضاه. وكان قد مرّ عام على اسْره.

١٥ فبراير (شباط) ١٩٤٣.

انها الذكرى الاولى لأسرنا... وقانا الله مجيء الذكرى الثانية ونحن هنا. اني افكر فيكِ اليوم اكثر من اي وقت مضى. يا نل العزيزة، آه لو كان لي ان احصل على سطر واحد منكِ.

الحرية... لكم كانت خارج الفكر عندما كانت لنا. اما اليوم فهي في افكارنا على الدوام. الحرية؟ ان تذهب حيثما شئت وتقول ما تريد وتخرج من غير ان تنحني أو تُصْفَع وتذهب الى النوم كما تشاء وتتناول طعاما كافيا وصالحا.

الا ان سنة كاملة من فقدان الحرية مرت على حياتي وانا لا ازال جسدا واحدا وعقلا واحدا. واظن ان نصف وقت اسْرنا

انقضى. لكنها كانت اسوأ سنة واطولها في حياتي.

الحق ان المدة التي امضاها ويلر اسيرا كانت اقل من نصف المدة الاجمالية. غير ان الحراس، في اواخر شتاء ١٩٤٣، هجروا على نحو مفاجىء وشبه تام اللجوء الى الضرب. ايعقل ان تكون اليابان عانت خسائر في الحرب؟

اجل، لقد حصل هذا الامر. ففي شهر فبراير (شباط) سقطت غوادالقنال في جزر سليمان في ايدي الجنود الامريكيين بعد ستة اشهر من الحرب وسط الادغال.

ولكن كيف لاسرى تايهوكو ان يعرفوا ذلك؟ فالصحف الوحيدة التي كانت تقع بين ايديهم احيانا هي صحف اليابان الصادرة بالانكليزية والتي تملأها الدعايات بحيث لا يستطيع المرء ان يقرأ بين السطور.

غير ان الحياة باتت اكثر احتمالا حين لجأ جورج هاريسون، فنان المخيم ومعاون ويلر الطبي، الى صنع ضروب الحبر الملوّن، مستخدما الطين والفحم والحشرات والعشب والزهر، فبات يستعمله الأسرى لكتابة رسائلهم الى ذويهم.

اول مارس (آذار) ١٩٤٣.

اسمعي يا نل! حين أعود الى الحرية لن تعرفي كيف تملأين الوقت كي ترضيني. إن أضحك شيء، ولكن اكثره اسعادا، في هذا المخيم هو أن المرء لا يعاف اكل الرز. واني متأكد من ان هناك اطعمة يستطيع المرء الاقتصار عليها. غير اني مشتاق الى بعض الطعام الحقيقي: الى اللحم والدهن والحليب والخبز. لكننا، منذ رأس السنة، لم نذق طعم اللحم.

لقد فقست بيوض البط في المخيم. لكن ٢٨ فرخا نفقت من اصل مئة فرخ. ربما كان البط لا يستطيع العيش على الرز.

حين تسلم ويلر حصته الاولى من معونة الصليب الاحمر سجل محتوياتها بالتفصيل: علبتان صغيرتان من السكر، علبة جبن صغيرة، ١١٠ غرامات من الشوكولاته، ٢٢٥ غراما من الزبدة النباتية، علبة حليب مجفف، علبة عصير، ٢٢٥ غراما من اللحم المعلّب، خضر ولحوم معلّبة، ٢٢٥ غراما من شرائح البيكون، علبة بندورة (طماطم)، علبة رز محلًى. وارتأى ويلر الاقتصاد في استهلاكها، لكنه لم يستطع لجم شهيته عن الشوكولاتة التي تناولها دفعة واحدة فانقلبت امعاؤه.

٢٢ مارس (آذار) ١٩٤٣.

يمكن ان يكون حدث الكثير في الايام الخمسة والاربعين الاخيرة. لكن النهاية لا تزال غامضة، وقد بات التفاؤل والابتسام اصعب من قبل... اني اريد العودة الى البيت، الى حبيبتي نل.

باشرت نل العزف على البيانو مع فرقة موسيقية اربع امسيات اسبوعيا تخفيفا لوحشتها وطلبا للمال. وكانت، اذ تنظر الى الراقصين والراقصات في القاعدة الفسيحة، تحاول الا تحسدهم على سعادتهم.

واستمدت نل قوّتها من ابنائها الثلاثة. وما برحت تحدثهم عن ابيهم كل يوم وتبقي سيرته حية في اذهانهم. واخيرا، في فبراير (شباط) ١٩٤٣، بلغتها رسالة من لندن عبر وزارة الدفاع جاء فيها: «ثبت ان الميجور بن ويلر، الذي يحمل الرقم م ز / ١٥٩٤١، سقط اسيرا في ايدي اليابانيين.»

وبعد ذلك وصلت بطاقة بن الاولى، وذلك في ٧ يونيو (حزيران). وكشفت لغتها المتكلفة انها كتبت على مرأى من العدو. لكن التوقيع كان واضحاً تماماً. ولم تعرف نل عن عنوانه اكثر من كونه «مخيم الملايو». وراحت ترسل اليه الرزم البريدية التي ضاعت كلها في مكان مجهول.

الطعام، الطعام، الطعام،

في تايهوكو مرّت الايام على وتيرة واحدة. وأطلقت على الحراس اسماء مستعارة كشفت عن شخصياتهم: «وجه القمر»، مثلا، كان لطيفا على العموم، في حين كان «تروتسكي» رديئاً. ومرة ارتأى احد الآمرين ان يوثق ايدي مرضى الديزنطاريا علامة على مرضهم. ولدى نقله الى مخيم آخر القى خطبة وداع في الأسرى الستمئة، ثم قدّم اليهم بطتين علامة على كرم الامبراطور.

عقب ذلك سمح الحراس للأسرى بان يعزفوا على الآلات الموسيقية ساعتين كل مساء، كما اتاحوا لهم إحياء حفلة موسيقية يوم الفصح. وبعد يومين وضعوا ثمانية اسرى في السجن الانفرادي عقابا على مخالفات تافهة، وحظّروا التدخين في المخيم طوال الايام الاربعة التالية.

٦ مايو (ايار) ١٩٤٣.

كان طابور المرضى اليوم اطول من المعتاد. لكن امراضهم كانت حقيقية، والبعض منهم عانى كثيراً. وتقدم مني وكيل العريف المسؤول عنهم وصرخ فيّ وقد ابيض وجهه غضباً، كما لو كنت سبباً لمحنتهم. ثم اوقفهم في صف طويل وراح يزعق باليابانية ويضربهم واحداً واحداً. واختار احد الذين بلاهم المرض الشديد، وهو يعاني آلاما في جهازه الهضمي، وانهال عليه ضرباً حتى انهار. وابقي الأسرى في شمس الظهيرة من غير قبعات.

هرع الرجال بعضهم الى بعض وقد استمد احدهم قوّته من الآخر واكتشف لديه بأساً لم يختبره من قبل. وفي ايام العطل كانوا يحلقون ذقونهم بموسى جماعية صممت اصلا لسلخ جلود الحيوانات.

وكان اليابانيون ينقصون طعام المرضى بمقدار الثلث، بحجة ان المريض لا يستحق كمية طعام كاملة لأنه لا يعمل. لكن الأسرى الآخرين كانوا يهرّبون الطعام خلسة الى زملائهم المرضى.

ويتذكر جاك ادواردز، وهو رقيب في فرقة الرموز من مقاطعة ويلز البريطانية اصلا، تلك الايام بالآتي: «كنا نشترك في كل شيء ـ الدواء والغذاء وحتى القبور... أنه المجتمع الاشتراكي المثالي اذا شئت ان تدعوه هكذا. ولم يكن هناك اي كلام عن النساء او حاجة اليهنّ. فالدافع الجنسي ذوى قبل وقت طويل. والمهم لدينا بات الطعام، ثم الطعام، ثم الطعام، والامل في البقاء.»

٥ يوليو (تموز) ١٩٤٣.

هل تفكرين معي يوم ذهبنا الى لويدمنستر قبل احدى عشرة سنة؟ هل تتذكرين الامطار والوحول والهموم؟، لا، لم يكن يوما مثاليا لحفلة زفاف. ولكن لا يمكن ان تجدي زوجين اسعد منا اذا تسنى لنا ان نكون معا. لقد بتّ احبكِ اكثر، وصرتِ تملأين حياتي على مر الايام، حتى في هذا المكان النائي. واني لا افكر في الحرية والحياة ولا في اي شيء آخر الا من خلالكِ.

تسرّب المزيد من الانباء الى المخيم. ومنها ان ديكتاتور ايطاليا، بنيتو موسوليني، أرغم على مغادرة قصره (صحيح)، وان هتلر قُتل (خطأ)، وان روسيا دخلت معركة ضد اليابان (خطأ)، وان الولايات المتحدة استعادت الجزر الأليوشية (صحيح)، وان ضابطا بحريا يابانيا رفيع المستوى قُتل (صحيح) وهو الاميرال ايزوروكو ياماموتو آمر الأسطول الياباني المشترك الذي اطلقت الطائرات الامريكية المحاربة النار على طائرة كانت تنقله.

غير ان الأسرى لم يستطيعوا تمييز الحق من الباطل. ولم يتأكد ويلر إلا من امر واحد، وهو نقله فجأة مع ١٢٠ سجينا الى مخيم آخر في فورموزا، اسمه كيناكازيكي.

المبضَع المسنون

١٠ اغسطس (آب) ١٩٤٣.

اوقظنا في الرابعة فجرا واوقفنا في الطابور، مع صراخ كثير، في السادسة صباحا. وأعطيت امتعة تزن ١٨ كيلوغراما لحملها. وبعدما ودعنا الزملاء الذين بقوا هناك، قطعنا مسافة خمسة كيلومترات على الأقدام، ثم ركبنا قطارا اوصلنا الى المحطة المقصودة ظهرا. وبعد ذلك تسلقنا مسافة عشرة كيلومترات وعرة. ولن انسى ابدا تلك الرحلة التي لم نسترح خلالها اكثر من خمس دقائق والتي رحت اتعثر في مرحلتها الاخيرة.

ولئن يكن سجن تايهوكو سيئا، فالسجن الآخر كان كابوسا. وهو يقوم على جانب تلة صخرية، وقد تلاصقت اكواخه الخشبية بعضها ببعض واحاطها سياج من آجر. وكان الأسرى ينامون على الواح عارية بعرض ٤٥ سنتيمترا. وتسرّب القمل الى ثياب معظمهم.

وطوال اشهر المطر الاربعة او الخمسة كانت ملابسهم مبللة على الدوام. وغدا سَدّ الثغرات في الأكواخ ضربا من الفن. وابتكر احد الأسرى، وهو الكابتن مايك براون، طريقة دقيقة لتصريف الماء، مستخدما انابيب من خيزران. لكن الجرذان كانت تقضمها ليلا، فيعود المطر الى الداخل كما كان. وقد سرحت الجرذان في كل ناحية واتت على كل شيء، بما في ذلك الصابون وفلين القوارير والثياب الملطخة بالدم.

ومع هزال الوافدين الى كينكازيكي، فقد لوّحتهم الشمس التي تعرّضوا لها من جراء اشغالهم الشاقة في تايهوكو. وبدا مرضاهم اشبه بالموتى السائرين فوق الأرض. اما قاتلهم الفعلي فكان منجم النحاس الذي أجبر القادرون بينهم على العمل اليومي فيه. وكان بلوغ قاع المنجم

يعني النزول ١٧٣٠ درجة منحرفة، ثم تسلقها بعد نهاية العمل. ولدى وصولهم الى تحت كانوا يحملون مصابيح الكربيد التي تخفت بسبب قلة الاوكسيجين. واحيانا كان بعضهم يهوي عشرة امتار ويصطدم بصخرة. وكثيرا ما حُملت الاجساد المكسورة على ملاءات لعدم توافر الحمّالات.

والذين لم تصبهم الجروح أُصيبوا بالتهابات في الشعَب الصدرية وتبقعت جلودهم بفعل كبريتات النحاس الناجمة عن تفاعل الماء بالمعدن الخام. وكلما انحدر المنجم عسر نقل النحاس الى فوق. ولكن لم يكن للأسرى مهرب من تأمين العمل اليومي وإلا ضُربوا بالمطارق. وأُصيبت اقدامهم بآلام لم تبرأ بعد ذلك الحين.

وكان الكابتن بيتر سيد، وهو طبيب ايضا، نقُل من قبل الى كينكازيكي. ولما رأى ويلر رحب به كثيرا واعترف بتفوّقه عليه في الجراحة. ولدى وصول بن صادر الحراس اوراقه الطبية جميعا، بما فيها يومياته. ومن حسن حظه انه ضمّن اليوميات ملاحظات طبية مستفيضة بحيث لم يستطع الحراس - وجلهم يجهل الانكليزية - قراءتها. واخيراً اعادوها كلها اليه.

وعلى عادته في تايهوكو، لم يتوقف ويلر عن كتابة رسائل احتجاج مهذّبة الى آمر السجن، واصفا فيها الأحوال السيئة التي يعمل فيها، وليس له شيء من العقاقير والمعدّات الطبية اللازمة. واغاظت تلك الرسائل المسؤولين في السجن وقال احدهم انه سيقطع رأس ذلك الطبيب الوقح.

وكان مفتش طبي ياباني يرتاد السجن من حين الى آخر لمراقبة عمل الأطباء الاسرى. واضطر ويلر وزميله سيد الى العمل بشروط المفتشين الجهلاء الذين اتخذوا من الجروح مقياسا وحيدا للمرض. وهكذا اضطر الطبيبان الأسيران الى جرح بعض المرضى لئلا يؤخَذوا عنوة الى العمل.

واخيرا اقنع ويلر اسياده باعطائه سبعين بطاقة بيضاء، على عدد المرضى الذين ينبغي اعفاؤهم من العمل، وخمس بطاقات حمراء، على عدد الذين يجب ادخالهم المستشفى. وهذا يعني تسليم اليابانيين بأن مئة اسير يمكن ان يمرضوا في وقت واحد. ولدى اصابة عدد اكبر بالمرض، كان ويلر وسيد يعمدان الى اخلاء المرضى السابقين الذين تحسنت حالهم قليلا من اجل ادخال المرضى الجدد. وكان المصابون بالاسهال والحمى يُخْرَجون بعد يوم او اثنين من معالجتهم. اما الجرحى فلم يكن هناك وقت لابرائهم نهائيا.

ومن اجل البقاء على صلة بالعالم الخارجي، ابتكر ادواردز خدمة صحافية طوّع لها عددا من العاملين في المنجم. وكانوا خلال النهار يختلسون قصاصات الصحف اليابانية ويعودون بها ليلا الى المخيم، حيث كانوا يفكون رموزها بمساعدة قاموس ياباني - انكليزي استولوا عليه. وكانوا احيانا يضيفون الى ترجماتهم خرائط تُظهر تقدم القوات الحليفة في المحيط الهادىء والبحر الابيض المتوسط.

ويقول ادواردز: «لقد رفع ذلك العمل معنوياتي. ولا بد للمرء من الصراع للبقاء. هكذا فعل الميجور بن ويلر الذي ضمن

استمراره من يوم الى يوم عبر محاولته شفاء امراضنا. اما انا فلجأت الى نشر الأنباء.»
واحيانا كانت اخبار ادواردز مفتقرة الى الدقة او قديمة جداً، لكنها ساعدت الأسرى في الصمود.

٢٣ اغسطس (آب) ١٩٤٣.

توفي زميل آخر - سميث، الذي قضى عليه البري بري والارهاق النفسي. لقد استسلم للموت، ولا يمكن لومه. وبدا، وهو في السابعة والثلاثين، كأنه في السابعة والستين بعدما استنفدت طاقته وابيض شعره.

ومما قاله سيد في زميله ويلر بعد الحرب: «لم يقل بن عن اي مشكلة انها مستحيلة. وكان يصر على وجود جواب عن كل سؤال، ويظل قلقا حتى يجد ذلك الجواب.»

. وأصيب احدهم بالقروح في انحاء جسمه. وغطاها ويلر بنبات الأشنة الذي جمعه بالقرب من المخيم وهو يقول: «لا بد من ان ينطوي هذا النبات على بعض اليود والحديد.» وزالت القروح فعلا. وظهر الحزاز على ارجل كثيرين، حاملا معه خطر التضخم واستئصال الساق. لكن ويلر اسرع الى معالجة المصابين عبر سفع سيقانهم بقضيب محمى. وشفى العديد منهم.

واسفرت ذات الرئة لدى اسير عن تجمّع القيح في تجويفه الصدري. وفتح ويلر حزا صغيرا في صدره. مستخدما شفرة ولكن من غير بنج، ثم صفى القيح خارجا عبر انبوب صنعه من عجلة دراجة قديمة. وبرىء المريض.

وجيء بأسير آخر سقط على صخرة، واسمه دوهيرتي - وقد شُلَّ نصفه الأسفل. ووضعه ويلر فوق سرير رملي اقامه بعض الأسرى البارعين. وبعد ذلك طلب من بعض المرضى تدليك رجلي دوهيرتي يوميا لابقاء عضلاته حيَّة.

ويتذكر احدهم: «جلسنا هناك ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم ندلّك رجلي ذلك الرجل، حتى جاء يوم تحرّكت اصبع في قدمه. ووجدت نفسي على وشك البكاء من الفرح.»

وابتكر ويلر دراجة للتمارين الرياضية، صنعها من هيكل خشبي مع مقعد وجعل لها لوحا عن كل جانب مكان الدواستين. وراح دوهيرتي يحرّك «الدوّاستين» يوميا الى ان تمكن من الوقوف على قدميه والمشي.

١٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٣.

الحادثان الاخيران حملا اليّ رجلين كسرت جمجمة كل منهما. وكان كسر احداهما اكبر من كسر الاخرى. وتعين علينا ازاحة العظم ٣٨ مليمترا للوصول الى الدماغ. وعلى رغم بدائية اساليبنا فقد زال الخطر عن المريض بعد يومين.

والواقع ان الجرّاح يخشى معالجة هذه الحالات حتى في ظروف عادية. ولكن يبدو ان الضيق منحنا الشدة. ولا اخاف القول انه بات من الصعب ان يخيفني شيء بعد الآن.

الادوات الوحيدة التي استخدمها ويلر آنذاك كانت شفرة حلاقة وكلّاب اسنان. وكالعادة، أجرى الجراحة من غير بنج.

وكان كل يوم جديد يحمل المزيد من المرضى الذين اتى عليهم الضرب والقذارة الجسدية الى باب المستشفى، وهم يأملون في الحصول على بطاقة بيضاء او حمراء. وتذكر ويلر دوره في ما بعد على النحو الآتي: «كان عليّ ان اتصرَّف كما لو كنتُ معصوما عن الخطأ، الأمر الذي امقته كثيرا.»

وتكرر مشهد الذهاب الى المقبرة كل اسبوعين وقد لُفَّت الجثة بملاءة. واكراما للميت، حافظ اليابانيون على عاداتهم في الدفن، فكانوا يحملون الى المقبرة هدايا من الفاكهة والرز المحلى. ومعظم الوفيات كانت تحصل في المنجم. وخلال الدفن كان الاسرى الأحياء يقاسمون موتاهم الفاكهة. وكان الدفن يحصل سريعا قبل انحلال الجثث تحت حَرّ الشمس. واذ لم تكن المدافن عميقة تحت الارض الصخرية، كان المطر يعيد الجثث الى سطح الارض، فيضطر الأسرى الى اعادة حفر المقابر لمواراة موتاهم الثرى.

وذات يوم قال إدواردز بعد وفاة اسير: «ما سبب موته يا عزيزي الميجور؟»

ـ قد قضت عليه الديزنطاريا وسوء التغذية والاستسقاء الناشىء عن المجاعة. لكن السبب الأهم هو داء انعدام الرغبة.

«لم اسمع بهذا المرض البتة.»

ـ اسمع، اذا: انه الرغبة عن الحياة وحب الموت. وهو اهم الامراض في هذا المخيم.

كوخ الموت

بحلول عيد الميلاد للعام ١٩٤٣ استعاد الأسرى بعض ارادتهم في الحياة. واتاح لهم اليابانيون انشاد الترانيم الخاصة بالعيد واحياء حفلة موسيقية. ووزعوا عليهم ثمار الموز واللحوم والحلوى والشاي المحلّى.

لا عجب اني، طوالِ ذلك اليوم، رحت اتصوَّر البيت. واخرجتُ صورتك، يا نل، وصور الاولاد، ووضعتها امامي. وقد تسربت الرطوبة الى احدى زوايا صورتك، لكنها بقيت سليمة. لكني ما ان اضعها امامي حتى اعيدها الى السر، اذ لا اريد ان يعرف هؤلاء الحيوانات اسراري.

يؤسفني الّا يكون هذا اليوم سعيدا لمعظمنا. فهذا العيد يهيج الذكريات الحبيبة، وهي تحمل معها الرثاء لأنفسنا ونحن على هذه الحال.

اني اسأل الله، يا حبيبتي، ان تكوني على احسن حال هذا اليوم، انتِ واولادنا والعائلة كلها. آهِ كم كنت اودّ مساعدتكِ وانتِ تملأين سلال الميلاد بالهدايا لأطفالنا الثلاثة. ولكن يحسن ان انزع هذه الافكار من رأسي واعود الى حالي الحيوانية، اي العيش من يوم الى يوم على بعض الطعام والماء... تصبحين على خير يا حبيبتي.

سرت اشاعة بين الأسرى حول سعي المانيا الى السلام. والحقّ انها كانت محض امنية، اذ ان الالمان ما زالوا يحتلون اوروبا، واستعادتها على ايدي الحلفاء لم تحصل الا بعد اشهر. وضيّق اليابانيون الخناق على الأسرى، اذ كانوا يعدّون الرؤوس اربع مرات يوميا خوفا من الهرب. وفقد اثنان منهم، ولكن سرعان ما أُعيدا مربوطَين مثل كلبين. ثم نفذ فيهما الاعدام. ولكن هبّ

ان احدا استطاع الخروج من فورموزا التي يملأها الجواسيس، فماذا يفعل بعد ذلك، والبرّ الصيني يعجّ باليابانيين ايضا؟

ووجد الأسرى انفسهم يلوذون بالميجور ويلر اكثر فاكثر، حتى غدا صخرتهم الامينة وسط ذلك البحر الجامح. وتذكر الأسير ماكنزي لاحقا: «في امكان ويلر ان ينفذ الى داخلك ويمنحك الرجاء. ولقد كان الرجاء موضوع كلامه الدائم. وهو لم يفقده قَط.»

٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٤.

رأس السنة جاء وولى. وانا لم اتمنَّ شيئا لهذا العام. وهل ثمة مجال لأمنية؟ أوَليس افضل ان نعيش من يوم الى يوم على خير وجه ممكن لقد باتت حياة الأسر حقيقية وطبيعية بالنسبة الينا. وكل ما عداها يبدو بعيدا جدا، كما لو كان عالما آخر او حلما... صحيح ان المرء يفكر في وطنه وبيته وكل من له، لكن هذه الافكار لم تعد واضحة كما كانت، بل غشّاها الضباب.

وصلت دفعة بريدية الى المخيم في شهر يناير (كانون الثاني)، ولكن لم يكن ضمنها اي رسالة الى الميجور بن ويلر. وفي الشهر التالي سمح اليابانيون للأسرى، للمرة الاولى، باستخدام ورقتين لكتابة رسائل الى عائلاتهم. ولكن ما عساهم يقولون؟ اليس الافضل ان تأتي الرسائل من الطرف الآخر؟

واخيرا وصلت الرسائل، بعد انتظار سنتين تقريبا.

١٨ فبراير (شباط) ١٩٤٤.

أحبائي! هذا اسعد يوم منذ وقوعي اسيرا. لقد بلغتني ثلاث رسائل منكم وواحدة من امي. اشكر الله على انكم جميعا بخير، وان الامور كلها كما يُرام. امي تقول انكِ تبدين اصغر واجمل. آه لو كان لي ان اراكِ وآخذكِ بين ذراعيّ وأُقبّلكِ، ثم نلعب ونلهو معا، يا حبيبتي، كما تقولين. لقد اشتاقت حاسة الذوق لديّ الى غير الرز.

قرأتُ الرسائل مرّتين حتى الآن، واريد اعادة قراءتها بتأن مرار. وها هي مع صوركم، وهي الكنز الذي أملكه في هذا المكان.

كُتبت تلك الرسائل في اواسط العام ١٩٤٣. وبعد شهر تسلم ويلر دفعة اخرى كُتبت عام ١٩٤٢. وعرف اين تعيش نل. وتخيل الساحة والحقول المحيطة بالمنزل، ونل في غرفة النوم على فراش وثير، كيف له مثله وهو ينام على الواح الخشب؟

الا ان خيالات البيت بثت فيه الحماسة والحيوية. وما زال عشرات الرجال يعانون مرض الديزنطاريا الأليم. ووصف لهم ويلر شرب الماء الذي غُلي فيه الرزّ. فهو مُغَذٍّ وجيد للأمعاء الملتهبة. وحين برىء المرضى واصبح في استطاعتهم قبول الطعام وصف لهم الفحم المسحوق لتخفيف امكان الاسهال. وراح هو ومعاونوه يسحقون القضبان المحروقة ليجعلوا منها دقيقا أسود.

وقال احدهم لاحقا: «انه عبقري حقا.»

وابتُلي نحو نصف الأسرى بالديدان المعوية السلكية التي كانت تخرج عبر القيء او البراز. وقضى ١٣ رجلا في شهر واحد،

حتى أُطلق على المستشفى اسم «كوخ الموت.» وحين مرض ادواردز وحُمل الى هناك رَجا ويلر قائلا: «ارجوك يا سيدي ان تخرجني من هذا المكان.»

واجابه ويلر: «سأبذل ما في وسعي.» وذات مساء أخرج دودة طفيلية كبيرة من امعاء ادواردز بواسطة خيط وقد عاونه العريف ديفيد دونيلي.

. وقال ادواردز لاحقا: «عندما كنت في كوخ الموت اعتاد الميجور ان يأتي كل مساء ويتحدث الينا جميعا.»

وكان لكلمات ويلر فعل السحر لأنها فاضت من اعماقه. ولم يتورع عن كتابة الرسائل الى المسؤولين اليابانيين طلبا للدواء والادوات الطبية. واخيرا قابله طبيب ياباني زائر واقتنع بصدق كلامه.

١٢ ابريل (نيسان) ١٩٤٤.

جاءنا طبيب زائر آخر البارحة. وكان مهذّبا وبدا منطقيا وذكيا، وقال انه سيحاول ارسال بعض العقاقير التي نحتاج اليها.

ربما ادرك اليابانيون، على غرار اسراهم، ان ويلر لا يمكن ان يستسلم. وهو تلقى الضرب واللكم والصفع كالآخرين، وكان عليه ان ينحني مثلهم لتحية السجانين. غير انه لم يفقد سيطرته على نفسه ولا كرامته.

وذات يوم كان هو والعريف المعاون في فرقة الرموز، جوش طومسون، يفحصان مصابا بالبري بري انتفخت خصيتاه. وصادف مرور حارس ارعن رفس المريض في اربيّة فخذه وكاد ان يُفقده وعيه. ونهض طومسون غاضبا لكن ويلر اوقفه قائلا: «قف مكانك يا جوش.» وتجمد طومسون مكانه، وربما انقذ حياته بذلك. وقال لاحقا: «يبدو ان لا شيء كان يزعج الميجور. وهو كان يتصرّف بكل رباطة جأش كما لو لم يكن اليابانيون هناك. ولم يكترث لهم، بل وضع اهتمامه كله في رفقائه الأسرى.»

مقامرة لا تُصَدَّق

٥ يوليو (تموز) ١٩٤٤.

لقد مضى على زواجنا اثنتا عشرة سنة يا حبيبتي. ويؤسفني اننا قضينا معظم هذا الوقت منفصلَين. ولكن صلي الى الله لكي نكون معا في عيد زواجنا المقبل وفي كل عيد بعده.

اشاعة جيدة: لقد بدأ الحلفاء اجتياح فرنسا. صحتي جيدة، لكن السأم ينهشني والانتظار بات اعسر مما كان. ولكن ها هي الأمور الكبيرة بدأت... فهل نخرج من هنا قريبا؟

والواقع ان اجتياح فرنسا بدأ قبل شهر. وعلى الجبهة الشرقية كان السوفييت يحاولون اخراج الألمان. اما القوات الاوسترالية والامريكية فكانت تحاول استعادة غينيا الجديدة جنوب غرب المحيط الهادىء. ولكن ايستطيع اسرى كينكازيكي الانتظار طويلا؟

وشعروا ان نهاية الحرب وشيكة. وفرضت سلطات السجن تعتيمه ليلا. ولجأت الى اطلاق صفّارات الانذار احيانا خلال النهار. وباتت كميات الطعام المسموح بها اقل.

وكان الاسرى احيانا يسرقون القمامة في الحديقة الخلفية للسجن ويأكلونها.

وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) أرسل الأسرى الذين يعانون امراضا قوية، وعددهم مئة، الى مخيم آخر ربما كان احسن حالا من سابقه.

٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٤.

لا أريد ان ارى مشهدا كهذا بعد الآن. انهم اناس اتت الكسور والحروق على الاجزاء العليا من اجسادهم.

ليمنحنا الله نعمة النسيان.

في الوطن كانت عناوين الصحف تُشيع التفاءل في النفوس: «ماك آرثر يصرّح ان اسطول جاب حمّل العدو هزيمة ساحقة». . . «النازيون يتراجعون عشرة كيلومترات». . . «القوات السوفييتية عبرت الحدود الى النروج.»

أما في كينكازيكي فقد شاهد الأسرى عيد ميلاد آخر خلال شهر هطل فيه ٢٢٥ سنتيمترا من المطر. ووجد ويلر وقتا لتسجيل نسبة الامطار. وتلقى من رفقائه بطاقات صنعوها بأيديهم ودوّنوا عليها تحياتهم وتمنياتهم لمناسبة العيد. الا انه عمل طوال ذلك اليوم ونسي ان يدوّن مذكراته.

٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤.

عيد الميلاد حل ورحل، كما يحل اي يوم ويرحل. وحاولت تصوُّر شجرة الميلاد التي لا بدّ من ان تكون نل هَيَّأتها للأولاد، كما تصوّرت الهدايا التي كنت احب ان اقدمها اليهم. ولا شك في اني سأفعل ذلك في العام المقبل. ومرّت في خيالي مائدة العيد، ونحن هنا نعيش على الرز والخضَر المسلوقة يوما بعد يوم. لكنهم أضافوا اليها قطعة لحم واربع برتقالات للمناسبة.

لقد مات اخيرا ثلاثة رجال بالديزنطاريا. وهناك اثنان لن يصمدا أكثر من يوم وثلاثة يأتيهم المرض ثم يختفي ليعاودهم. وجميع المرضى مصابون بالاستسقاء من جرّاء المجاعة، كذلك بالاسهال الشديد. وهم لا يستطيعون هَضم الطعام ولا يتحملون البرد، مع ان الحرارة لا تنزل عن الدرجات العشر المئوية. ومراقبتهم وهم يتعذبون تفطر القلب.

ولدينا ١٤٠ حراما لاتقاء البرد، لكنها مبللة بالمطر على الدوام، ومن شبه العسير عَصْرُها. وليس هناك من صابون او فرشاة او ماء ساخن. وقد بلغت نسبة المطر في الايام التسعة الاخيرة ٦٦ سنتيمترا. والأسرى يموتون بأعداد كبيرة. والعديد منهم يرفض الطعام، ربما لانه اصيب بمس من جنون وسط هذه الظروف المأسوية. فهم يتوقعون النهاية التي لم تَحِنْ بعد.

وباتوا يسمعون اصوات القنابل من البعيد. ولكن كيف لهم ان يعرفوا ان الطائرات التابعة للاسطول الامريكي الثالث حطمت ما يزيد على مئة طائرة في مورموزا وحولها خلال شهر يناير (كانون الثاني)؟ وشن الاتحاد السوفييتي هجوما جديدا على طول الجبهة الشرقية. وفي اوروبا مال الميزان الى انتصار الحلفاء

المحتوم. وفي مطلع مارس (آذار) صبت ٢٧٩ طائرة امريكية القنابل الحارقة فوق طوكيو فقتلت أكثر من ثمانين الفا في ليلة واحدة.

أما في كينكازيكي فقد تساءل ويلر: هل ثمة عالم خارجي؟ والرسالة الأخيرة التي تلقاها من الوطن يعود تاريخها الى عام مضى. وحتى منتصف فبراير (شباط) كان قد رأى ١٨ رجلا يموتون في ستة اسابيع. وأصيب احد المرضى بالجنون وراح يغني ويصرخ طوال النهار والليل في كوخ يضم ٤٥ مريضا. وادّخر ويلر قارورة صغيرة من الأفيون الذي كان يعطي نقاطا قليلة منه للمنازعين كيما يخفف عنهم عذاب الساعات الاخيرة.

واصيب الطبيب الآخر، بيتر سيد، بمرض قويّ افقده ١٨ كيلوغراما من وزنه خلال اربعة اشهر. ترى ايمكن ابقاؤه حيا؟

وفي تلك الاثناء قلع طبيب الاسنان، الكابتن جون بادجيت، ضرسا لأحد الحراس، وكوفىء بقطعة لحم شهية. وقال بادجيت لاحقا: «فكّرت في بيتر الذي كان يعاني نقصا شديدا في البروتيين، وحملت شريحة اللحم اليه. غير اني تذوّقتها - واخجلاه - وأنا في الطريق اليه.»

وفي مارس (آذار) كان سيد على وشك الموت، الأمر الذي حدا ويلر على لعب ورقته الاخيرة تجاهه بنقل الدم اليه. وهو امر غير مضمون، لكنه المخرج الوحيد في تلك الظروف. ولم يكن لدى ويلر من معدات لنقل الدم سوى حقنة. وبقي، على مدى اسبوعين، يسحب كل يومين مقدار مئة مليليتر دما من احد الاسرى المتطوعين ويحقنها في شرايين سيد بعد اضافة محلول السيترات اليها منعا للتخثر. وهكذا انقذ حياة زميله.

وبعد اسبوعين نُقل الطبيبان والمرضى الستة والثمانون في سفينة الى مخيم آخر على الجزيرة. وقبل ويلر الأمر على مضض، لكن رفقاءه شجعوه.

الانتظار الممض

كان مخيم شيراكاوا ارحب من سابقه وقد ملأت باحاته الأشجار والعشب. ووجد ويلر في مستشفى المخيم سبعة اطباء آخرين، مما خفف عنه اعباء كثيرة.

هنا كانوا يتناولون وجبتين من الطعام يوميا، هو طعام اسوأ مما عرفوه في كينكازيكي. وغدا ويلر برما بسلوك بعض زملائه الضباط الذين ظنّ انهم ينبغي ان يكونوا قدوة للآخرين.

والحق ان السجن يُظهر اسوأ خصال الناس وافضلها. وكان ويلر في ما مضى، كلما وصلت دفعة جديدة من الحليب المجفف النادر حاول اقناع الاصحاء بتوزيعها على المرضى. لكن ذلك لم يكن يحصل الا بعد مناوشات طويلة. وعندما حصل على بعض حبوب الفيتامين «ب» رفض بعض الضباط المشاركة في دفع ثمنها.

٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٤٥.

لاحظت اليوم اني اعيش مع اناس يحاولون الحصول على كل ما يمكن من سواهم بشتى الوسائل. انها قسوة الفؤاد التي

لم تفلح القشرة الخارجية الرقيقة في سَتْرها. واذا امضوا اشهرا او سنوات اخرى على هذه الحال، فانّ غالبيّتهم ستهبط الى مستوى الحيوانات.

جاء النصر الاوروبي في الثامن من مايو (ايار). لكن الاسرى لم يسمعوا به الا بعد انقضاء شهر. وتساءلوا عن نهاية حربهم وطريقة تصرف اليابانيين حيالهم. وكانت اقلية منهم - وبينها ويلر - على علم بقرار اتخذته القيادة اليابانية العليا حول تصفية جميع الاسرى في حال انتصار الحلفاء. وتأكدَ هذا الظن خلال المحاكمات التي تلت الحرب.

ولو عرف الاسرى عن ذلك القرار، لدفعهم يأسهم الى عدم الاكتراث له ذلك الصيف. واجبرتهم المجاعة على قتل كل كلب يدنو من المخيّم وطهوه وأكله.

٩ يوليو (تموز) ١٩٤٥.

مرة اخرى، ماذا اقول، والأيام تمضي وخلفها الاسابيع والاشهر؟ لقد بت لا استطيع الكلام عن السنين. واصابتني حمى الملاريا للمرة الاولى، وارتفعت حرارتي الى ٤١،٤ درجة مئوية.

لقد اخرجتُ صورتكِ، يا حبيبتي، وصور الاولاد ووضعتها امامي على الطاولة واطلقت العنان لأفكاري. ولكن يبدو ان الوقت توقّف. وكلما فكرتُ في اقتراب النهاية بدت ابعد.

لا شك في ان أذيّة ما اصابت اليابان. وفُرض نظام صارم على المخيم، حرّم على الاسرى الظهور في الباحات. وراح الحراس ينهالون على الرجال ضَرْبا بلا سبب. وأنقص مقدار الطعام اليومي حتى بات ٣٠٠ غرام رز مع القليل من الخضَر المسلوقة، يضاف اليها شيء من البطاطا الحلوة للرجال الذين يعملون خارجا. وزادت نسبة الوفيات.

٤ اغسطس (آب) ١٩٤٥.

ان وجودنا هنا دخل مرحلته الاخيرة. ولكن لا ندري ان كانت ستبقى اسابيع ام أشْهُرا، وما إذا كنا سنقوى على الصمود. وليس من الممكن ان يتحمل المرء هذا الشحّ في الغذاء طويلا.

بعد يومين، اي في السادس من ذلك الشهر، القت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية الاولى التي اتت على ثلثي هيروشيما. وبعد ايام ثلاثة ألقيت قنبلة اخرى على ناغازاكي. وفي ١٥ اغسطس (آب) استسلمت اليابان.

١٩ اغسطس (آب) ١٩٤٥.

هل انتهت الحرب؟ لقد سرت اشاعات قوية جدا في اليومين الاخيرين. لكن التجارب التي عانيناها جعلتنا نشكك في كل شيء.

كانت تلك الكلمات آخر ما دوّنه ويلر. وفي ذلك اليوم كان وزنه ٤٥ كيلوغراما،اي ٢٧ كيلوغراما اقل من المعدّل الطبيعي. وبعد ثلاثة ايام اصدر آمر المخيم بيانا رسميا

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت . لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

جاء فيه: «لقد انتهت الحرب، واصبحنا اصدقاء بعدما كنا اعداء.»

وما هي الا ايام حتى حلقت طائرات على علو منخفض جدا فوق المخيم والقت صناديق تحمل مواد غذائية. لكن احدها صدم المستشفى، فقتل ثلاثة اشخاص وجُرح واحد وعشرون. وراح احد الناجين يصرخ باهتياج وقد شاهد بعض رفقائه يقضي على ايدي الأصدقاء بعدما تحمل الكثير من الاعداء.

واقتسم الأسرى الهدايا، وبينها الشوكولاتة والسجائر والطعام المعلّب. وتولى الميجور كروسلي والضباط الآخرون تجريد اليابانيين من السلاح، ثم اعادوا اليهم بنادقهم لتحية الأمريكيين حين يأتون.

وفي تلك الليلة احسّ كروسلي هدوءا منقطع النظير. وكان رجاله، قبل يوم واحد، تعهدوا تمزيق سجّانيهم إرَبا فور تبدُّل السلطة. فأين الحراس الآن؟ ووجدهم كروسلي هنا وهناك مع الاسرى يشاركونهم في الحديث كما في السجائر والحلوى.

وكان بن ويلر جالسا مع بعض الاصدقاء. ولم يصدّقوا تماما ان السلام تحقق. واخيرا قال احدهم: «اما وقد صرنا احرارا، فدعونا نغني اناشيدنا الوطنية.»

لا عودة البتّة

طوال تلك السنوات لم تعرف نل مكان زوجها الحقيقي ولا هي تلقت اكثر من خمس بطاقات كتبها اليها. والآن بلغتها برقية تقول انه حيّ. وتبعتها رسائل. ووقف ويلر على ظهر سفينة راسية في فورموزا يراقب اخلاء رجاله. وحُدّد موعد وصول سفينته الى قاعدة فيكتوريا البحرية الكندية في شهر نوفمبر (تشرين الثاني). وذهبت نل والاولاد الى منزل والدي بن في ليدي سميث على بعد ٨٧ كيلومترا من فيكتوريا.

وقرّرت ان تنتظر السفينة على رصيف الميناء. لكن الزكام اصابها في اللحظة الاخيرة واضطرّها الى ملازمة الفراش. وذات عصر توقفت شاحنة محمّلة جنودا امام بوابة المنزل الرئيسية. وترجّل بن وودّع الرجال الذين تعرّف عليهم خلال الرحلة. ثم تقدم بجسمه الهزيل وطوّق نل، على نحو خجول، للمرة الاولى في خمس سنوات.

وما برحت تتساءل، في الآونة الاخيرة، هل اولادها سيستقبلون اباهم كما يليق به. وكان ألان في الخامسة وكين في السابعة وهاري في التاسعة وقد تعوّد ان يكون «رَجُل البيت». وهرعوا كلهم نحو ابيهم كما لو كانوا يعرفونه جيدا. وبعد استراحة في منزل ذويه، عاد ويلر وعائلته الى منزلهم في ادغرتون لاستئناف حياتهم.

وبما ان ويلر لم يخدم في القوات العسكرية الكندية ولا هو قبل دعوة المؤسسة الهندية للعمل معها من جديد، فهو لم يقبض اي راتب. والتعويض الاخير الذي تلقاه من بريطانيا بلغ ١٤٦ جنيها استرلينيا. وسُجّل اسمه في عداد قدامى المحاربين البريطانيين. اما حكومة بلاده فمنحته حق الاستشفاء المجاني طوال عام من الامراض

التي الحقتها به سنوات العبودية الطويلة.

الا ان المكافأة الحقيقية التي حصل عليها أتت عن غير طريق. فبعيد إطلاق الأسرى من اليابان عام ١٩٤٥ كتب ثلاثة منهم رسالة الى صحيفة كندية حول بن ويلر الذي دعوه «الرجل المرسَل من الله.» وجاء فيها كيف انه انقذ حياة كثيرين وملأ قلوب العديد منهم رجاءً بقوته الصامتة وأفعاله الطبية الخارقة التي ما زالت بارزة في الكثيرين من الذين كتبت لهم الحياة والذين يجلونه أيما إجلال.

ويقول فريد داون، وقد سكن مقاطعة ايسيكس البريطانية بعد تقاعده: «انظر الى الوراء واتساءل عما اذا كنتُ عرفتُ شخصا صالحا مثله.» ويقول جورج هاريسون، وهو اليوم تاجر فني يعيش في مقاطعة ساسكس البريطانية: «كنت على استعداد للذهاب معه حيثما شاء ولتنفيذ كل ما يطلبه مني.»

وظل بن ويلر وقتا طويلا بعد عودته ينهض خلال النوم وهو يصرّ اسنانه من البرد ويضطرّ الى الاستحمام لتعديل حرارة جسده. وظلّ يراجع المستشفى في شأن حريق قدميه الذي أرّقه وكثيرين سواه في فورموزا.

وفي البداية لم يكثر الكلام الى امه حول ايام الأسر. وكانت نل تصغي الى حديثه وهي في المطبخ. وحين لاحظت ان الكلام عن السجن يثير لديه الغضب دائما، تجنبت اثارة هذا الموضوع معه. ومرة قال لها: «مذكّراتي هناك لتقرأيها. وهي كُتبت من أجلك في أي حال.» لكنها لم تَقْوَ على ذلك، إذ ان تلك الاوراق انطوت على مآسٍ كثيرة وحرّكت اعمق المشاعر.

وفي العام ١٩٤٦ تلقى دعوة للادلاء بشهادته عن جرائم الحرب التي اقترفها اليابانيون. وذات مساء خرج افراد عائلته من المنزل قصدا وتركوه وحيدا عله يحزم امره. وعادوا ليجدوه على طاولته وقد بدا عليه الاضطراب الشديد وهو يرسم الوجوه وحوله اوراق الاسر مبعثرة.

ومكث صهره الدكتور هافيلوك ماكلينان لديه بعضا من ذلك المساء وهو يصغي الى اخباره. ولما انتهى ويلر كان ماكلينان غارقا في البكاء.

وفي تلك الليلة اتخذ ويلر قراره، وهو أنه لن يترك عائلته البتة. وبعد ذلك لم يتحدث عن عذاب الأسر إلا في ما نَدَر.

السنوات الذهبية

أخبر ويلر زميلا له ذات مرة ان السنة التي تلت عودته من الأسر كانت من أصعب سني حياته. فقد تدنت معلوماته الطبية بعدما شهد الطب قفزة كبيرة، كما كانت حال بعض العلوم الاخرى، خلال تلك السنوات. ومن الأمثلة على ذلك ان ويلر لم يعرف شيئا عن البنسيلين الا بعد عودته.

لكنه كان في الخامسة والثلاثين، وليس لديه استعداد كي يضحي بالوقت او المال لمتابعة بعض الدروس الجامعية. وانتقل مع عائلته الى ادمونتون، وانضم الى ماكلينان وزملائه في عيادة بيكر وراح يدرس في الليالي استعدادا لاجتياز امتحان تخصص

بالطب الداخلي. وطالما حثّته نل في نهاية بعض الأسابيع، وقد اشتد ارهاقه، على هجر تلك السبيل. الا انه ظل مثابرا حتى النهاية. ومرة قال زميل الأسر جاك ادواردز ان الناس يغادرون السجن كالخشب الذي يلفظه البحر وقد تلف خارجه، لكن لبّه ظلّ كما هو. وهكذا حال ويلر الذي لم يعرف مستحيلا.

وكان في الثامنة والثلاثين عندما ذهب الى شرق كندا لمتابعة دورة طبية مكثّفة. واجتاز الامتحانات الشفوية بعد الخطية وغدا عضو في الكلية الكندية للأطباء والجرّاحين. وفي المساء خابر نل وزفّ اليها البشرى: «لقد اصبحتُ طبيبا اختصاصيا.»

وفي ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٦ وُلدت لهما ابنة سمّياها آن. وابتهج بن الذي احبّ كثيرا ان تكون له ابنة وان يرافق نمو احد اطفاله منذ البداية. وطوال طفولتها لم تعرف آن شيئا عن دور ابيها في الحرب العالمية الثانية. فالأمر لم يبحث البتة في حضوره، ولم يتكلم عنه احد بالتفصيل.

إلا انّ الشواهد كانت حولها. ففي دهليز المنزل صندوق كبير يحوي بزة عسكرية وسيف وعملة يابانية وحقيبة طبية سوداء اتى عليها الزمن، وفيها كلّاب اسنان وعلبة تحوي اوراقا ودفاتر، فضلا عن قبقاب من خشب. ومرة ضيّع احد اشقّاء آن فردة من ذلك القبقاب، الأمر الذي احزن بن كثيرا وجعله يرسل جميع افراد العائلة في أثر تلك الفردة التي بقيت مفقودة.

وكانت البطاقات تنصبّ على منزل آل ويلر كل عيد ميلاد، ومصدرها بريطانيا، وفيها كلمات كالآتية: «اني مدين لكَ بحياتي.» واخذت آن ترتاد المكتبات بحثا عن كتب حول مخيمات التعذيب علّها تعرف شيئا عن خبرة ابيها. وسبّبت لها تلك التحرّيات احلاما مزعجة.

اما بالنسبة الى بن ويلر، فالسنوات التي أعقبت رجوعه كانت العهد الذهبي في حياته. فهو حصل على كل ما تمناه في السجن: نل والأولاد والسلام والعمل. وغدا عضوا مؤسسا في جمعية ألبرتا لاختصاصيي الطب الداخلي ورئيس اكاديمية ادمونتون الطبية واستاذ الطب العيادي ورئيس الاطباء في مستشفى الكسندرا الملكي في ادمونتون.

وكان ذلك الطبيب الذي يسعى اليه الجميع، وذلك بفضل مثابرته وصدقه. وكان يعمل طوال النهار في عيادة بيكر ويعود المرضى في منازلهم بعد العشاء واحيانا خلال الليل ويتفقد المستشفيات صباح كل سبت وأحد.

اما عصر الأحد فقد خصصه لعائلته. وغالبا ما كانوا يخرجون في السيارة للتنزه. واحيانا كان يأخذ ابنته الشقراء الى صيد السمك. وتقول آن: «كنا نجلس طوال النهار وقد القى السنانير في الماء. ونادرا ما كان ينطق بكلمة. لكن علاقتنا كانت أقوى من الكلام.»

وكانت في الثانية عشرة عندما اهدى اليها والدها فرسا. وذات ليلة ولدت الفرس مهرا. ولما رآه ابوها قال وهو يبتسم: «يا له من مهر جميل!»

وطوال تلك السنوات السعيدة ما برح

بن يذكر نل بالآتي: «يجب ان نستغل هذه الايام الى اقصى حدّ ممكن. فأسرى الحرب يقضون في سنّ مبكرة.»

والواقع انه مات في الثالثة والخمسين على اثر نوبة قلبية يعود بعض سببها الى القهر الذي عاناه ايام الأسر. وحصلت وفاته وهو يطبب مريضا في عيادته. وجاءت بعد يوم واحد من عيد ميلاد آن السابع عشر.

وبعد سنواتٍ اكبّت آن على مذكّرات والدها التي صفرها الزمن، وأيقنت انه كان بطلا حقا. واتخذت قرارا بالتعويل على تلك المذكرات لتروي سيرته على الملأ. ووجدت الوسيلة عبر المجلس الوطني للسينما في ادمونتون. ومن ضمن عملها في الانتاج والاخراج والكتابة انجزت في العام ١٩٨٠ شريطا حول عذاب بن ويلر نالت عليه الجائزة لأفضل فيلم وثائقي. ويدوم عرضه ٨٢ دقيقة.

وأرسلت الشريط الى الممثل الكندي دونالد ساذرلاند في هوليوود الذي لم تكن قابلته قطّ، وسألته هل يوافق على تسجيل صوته لقراءة المذكّرات.

وبعد اسبوع رنّ الهاتف في مكتب آن. وجاء صوت ساذرلاند عبر الخط ليقول انه يقبل العرض بكل سرور. وبعدما جاء صوته غاضبا في القراءة الاولى، عدّله قليلا في القراءة اللاحقة.

اما نل فقد تزوجت بعد ترملها واصبح اسمها اليوم نل ويلر هومر. وهي لم تستطع قراءة المذكرات كلها. فكلمات زوجها، حتى بعد مرور اربعين سنة على كتابتها، لا تزال تثير نشيجها.

وأما آن فلا تستطيع نسيان حادث جرى وهي مع والدها. ففي طريق عودتهما الى البيت ذات احد قالت له: «اتعرف يا أبي ان الانسان يذهب الى الجحيم ما لم تغفر خطاياه؟»

وأجاب بن ويلر برفق: «لقد ذهبتُ الى الجحيم يا حبيبتي.»

■ روبرت كولينز

ايّاك ان تطري احداً كما لو كنت تريد شيئاً في المقابل.

ب.ب.

عالم بلا ترقب

هل يمكن ان نتصور عالماً اختفت قصص الجرائم من صحفه وبات جميع اهله كليي القدرة بحيث غابت حرائق المنازل وحوادث السيارات والطائرات والخيانات، ولم يعد أيّ ملك يتخلى عن عرشه لارواء نزواته، وصار الجميع يحفظون العهود، ويضع كل لنفسه صورة وهو في العاشرة لما يريد ان يكون، ويحافظ عليها حتى النهاية؟...

ان عالماً كهذا تملأه الرتابة والملل وتختفي منه بهجة الترقب. وبموت الخطيئة والضعف البشري، يموت الادب ويذوي العمران وتنطفىء جذوة الحماسة في النفوس.

لين يوتانغ، فقيه صيني



خيرات الطبيعة
على مائدتك
Swiss Maggi Soup
11 vegetables
11 légumes
ماجي
شوربة
١١ صنف خضار
لتحضير الحساء بالخضار، تختار ماجي أجود أصناف
الخضار وتستخلص منها العناصر الغذائيّة وتعلّبها
على أحدث الطرق الحديثة، في عبوات لا تمسّها
الأيدي ولا ينفذ إليها التلوّث.
ماجي
طبق كلّه عافية

